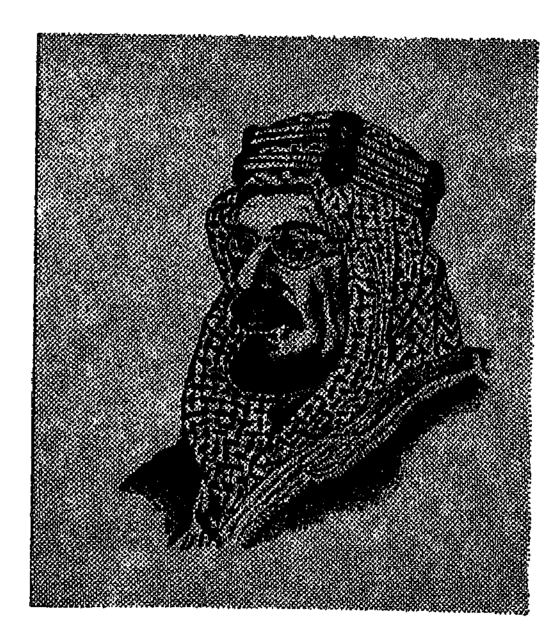
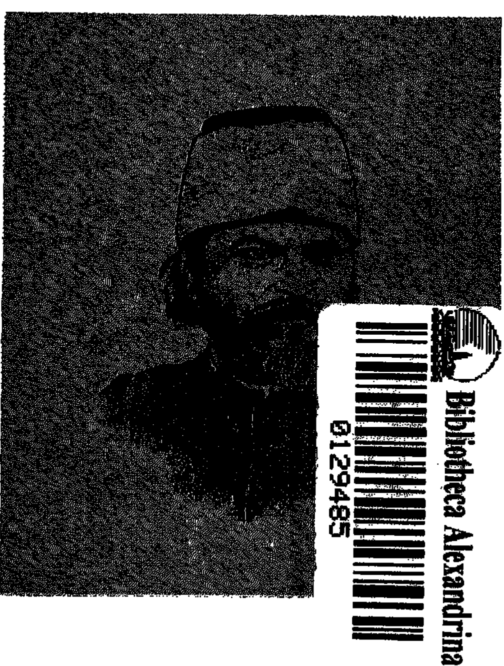
أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر









الدكتور محمود دياب



الدكتور محمود دياب

أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر

مطبوعات الشعب

● الطبعة الأولى ●

● يونيــة ١٩٧٨ ●

● الغلاف للفنان : حسن خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الى روح اللواء محمد صالح حرب
في علياء سمائها
الى ارواح المجاهدين من المسلمين الابطال الذين يعملون ولا يجدون التقدير الواجب لهم في حياتهم وبعد مماتهم .

اقدم هذا الكتاب عسى ان يعرف الذين يجحدون فضلهم انهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم يجزون الآن بما كانوا يعملون وانهم في جنة الخلد خالدون .

الدكتور/محمود دياب



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ترجع صلتي بالمرحوم اللواء صالح حرب حين اجتمعت الجمعية العمومية لجمعية الشبان المسلمين فى مقرها الحالى بشارع رمسيس لانتخاب رئيس لها خلفا للمرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد .

وكان شخصية فذة ظن بعض الناس انه لا يمكن ملء الفراغ الذى تركه فلقد كان مجاهدا اسلاميا ووطنيا من الطراز الأول وكان ندا لمصطفى كامل ومحمد فريد وانتخبنا محمد صالح حرب بالاجماع رغم عنف الهجوم عليه فى جريدة البلاغ وكانت لسان حال الوفد المصرى فى ذلك الوقت .

ولقد قال لى المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ان عبد الحميد سعيد قال له يوما ان صالح حرب هو خير من يخلفنى . ولقد اثبتت الأيام صدق فراسته . فلقد أصبحت جمعية الشبان المسلمين جامعة للشعوب الاسلامية حقيقة . وكانت تفتح ابوابها من الخامسة صباحا الى الثانية عشر مساء وكانت خلية نحل لا تهدأ بعيدة عن المظاهر والرسميات .

وكانت ملجأ لكل مسلم مضطهد ولقد ساعدت جميع زعماء البلاد العربية والاسلامية المضطهدين بطريقة او باخرى .

ولا يجحد ذلك الا كل جاحد . ولقد مكنت منابرها الأشخاص الذين وصلوا عن طريقها الى ما هم فيه الآن .

ولست أحب أن أصف العقوق الذى تعودناه من كثير من الناس فى هذا البلد من أن الشخص اذا وصل تنكر لماضيه فكان كاحد خريجى مدرسة

المعلمين العليا حين ارسل فى بعثه من وزارة المعارف وكان سعد زغلول باشا وزيرا للمعارف فى ذلك الوقت وكان من عادته ان يقابل كل مبعوث على حده ولا يترك لأحد غيره الكلمة النهائية ٠

فلقد ساله سعد زغلول انت رجل كبير فى السن وستذهب الى انجلترا مدة سبع سنوات فهل انت متزوج فقال نعم بنت خالى قال وماذا تعمل زوجتك طول هذه السبع سنوات قال طلقتها قال سعد زغلول انت مرفوت من البعثة والوزارة انت لا تصلح لتربية ابنائنا ٠

كم اخرجت جمعية الشبان المسلمين وغيرها مثل الجمعية الخيرية الاسلامية من شبان تسلموا اكبر المراكز ولم تنل هذه الهيئات منهم غير العقوق واستمرت صلتى بالجمعية لا تنقطع حتى وفاة المرحوم اللواء صالح حرب ٠

وطالما كنت اتناقش معه ومع بعض اعضاء مجلس الادارة فى كل احوال مصر فلقد كانت اكبر منتدى سياسى يتعلم فيه من شاء السياسة الاسلامية والسياسة الشرقية والسياسة العربية والسياسة الوطنية اذا كان عنده استعداد لذلك طبعا ٠

وكانت سياسة من نوع خاص بعيدة عن الحزبية ٠

ولم يكن من السهل على اى انسان ان يتكلم فى مثل هذه الأمور الا اذا تعود عليها وفهمها وهضمها وكان يحسب حساب كل كلمة تقال فيها ٠ وكان الحزبى حين يدخل بابها ينسى حزبيته ويتكلم بطريقة لا تمت مطلقا بما يتكلم به فى حزبه او فى الشارع للناس ٠

فلقد كان يحضر هذه الاجتماعات اعضاء من جميع الأحزاب وما سمعت واحدا منهم يتكلم عن حزبه فلقد ارتفعت جمعية الشبان المسلمين بتفكيرها عن هؤلاء جميعا وكانت تعمل فى السياسة العليا لجميع البلاد الاسلامية والعربية دون التدخل فى داخليتها او ايذاء شخصياتها ٠

اشمت مدة رئاسة محمد صالح حرب مرهوبة الجانب يعمل كل سبابا ويرنو ببصره اليها كل مضطهد ٠ حين تضيق عليه الارض وحين تطارده جميع السلطات كان يجد عند ذلك فى دار الشبان

من يقابله ومن يسمع له ومن لا يتضجر بوجوده لأنه مضطهد وان كان يتضجر من اعماله ولا يظهر اى اثر لأى ضجر امثلة نادرة قل ان يوجد لها مثيل . وكانت الجمعية تدعونى لأخطب بالانجليزية حين يوجد باكستانيون أو اندونيسيون أو أمريكيون أو افريقيون لأن اللغة الانجليزية هى السائدة بينهم . وكان يرحمه الله حساسا جدا فكان اذا مرض احد هؤلاء الكبار من المسلمين او المسلمات استدعانى لأهتم بأمره وكنت اقوم بذلك مسرورا من هؤلاء اميرة ... تركستانية هى الأميرة محرمه ماه بيجوم لم ار فى حياتى من هى اجمل او اهدأ او اصبر على الألم او اكثر ادبا منها . فلقد تزوجت ابن القائد التركستانى الأستاذ نصر الله مبشر الطبرازى وهو موظف الآن بدار الكتب المصرية وحضرت معه الى القاهرة لأجله وماهى الا ان أصيبت بالسرطان فادخلتها المستشفى وافردت لها سريرا فى ركن من العنبر فما تضجرت ولا غضبت وهى الأميرة التى كانت تشير فيرتجف الخدم والحشم وما سألتها يوما ان كانت تريد شيئا الا وقالت بالسلب وما طلبت شيئا قط وما تكلمت الا ومضغت آلامها وجعلت همها القراءة .

وقائد تركى كان زميلا لمصطفى كمال وكان عنده سرطان فى المعدة وهو القائد الذى اطعم الجيش التركى حين مروره بقريته فى الاناضول وقد عصف مصطفى كمال به حين تنكر للخلافة وحكم عليه بالاعدام فهرب الى مصر لاجئا لا يجد قوت يومه وهنا كانت تتلقفه يد صالح حرب الحانية ولما مرض ادخلته المستشفى وكنت احاول ان اخدمه بنفسى فكان يخجل من ذلك فاقول له لا عليك من ذلك .

هذه هى الأمثلة التى كان يلجأ الى فيها صالح حرب وهذه الخدمة العادية بالنسبة لنا نحن الأطباء كان متعنت صالح حرب كبيرة جدا لا تقدر بمال وكان يشكرنى بطريقة تخجلنى ولقد مرت بأسوان منفيا الى عنيبه بأمر وزير الصحة وكان صالح حرب منفيا هناك اثناء الحرب العالمية الثانية ورأيته فى منزله كالأسد الهصور لم تغيره الأيام ولا كر الدهور والأعوام .

وشاء القدر ان نعود نحن الاثنين من المنفى فنلتقى فى القـــاهرة مرارا وأدافع عن البلاد بقدر ما أستطيع فما هى الا ان انقل الى مستشفى ليس به آلات او اى اهتمام بالطب وانما يترك مريضه لتصاريف القدر حتى يموت ولقد تضجرت من هذه الحالة فذهبت اليه . وكنت قد قابلت احد الوزراء السابقين الذين كانوا احد اصدقاء وزير الصحة فى ذلك الوقت ولم يقبــل رجاءه وشرحت اليه كل الملابسات ومن قابلته فقال لى :

ـ سأتكلم مع وزير الصحة لكن على شرط قلت له ما هذا الشرط قال ان تذهب الى الوزير السابق (وقد كان وزيرا مع صالح حــرب فى وزارة واحدة) . وتقول له انك استغنيت عن خدماته فقلت له هذا غير ممكن ؟؟ قال لى هذا هو الشرط حتى يفهم انه لم يعمل لك شيئا ؟ قلت له سأتصرف فذهبت اليه وقلت يا سيدى الوزير لا تتعب نفسك مع الوزير واشـــكرك كثيرا على مجهودك السابق معه واكتفيت بذلك .

وذهبت اليه وقلت له ما حدث وهنا اتصل بوزير الصــحة وقال له ارجو نقل الدكتور دياب الى مكانه الاصلى واذا لم يبلغنى فى ظرف ٢٤ ساعة نقله الى مستشفى الملك كما كان فسيصبح الأمير خطير فأجابه الوزير لماذا التمسك بالدكتور دياب ..

قال له لأنه طبيب جمعية الشبان المسلمين .

فأجابه الوزير ارسل لك مائة طبيب بدل الدكتور دياب ..

فقال لو ارسلت جميع اطباء مصر ما امكنهم ان يقـــوموا بما يقــوم به الدكتور دياب ..

وهذا انصاع الوزير وقرر نقلى كما كنت احرص على حضور جميـــع الجمعيات العمومية ولم اتقدم مرة واحدة لعضوية مجلس الادارة . مع أننى كنت أتتبع جميع اعماله واناقشها اولا بأول وارسم فى كلمتى الســـنوية الخطة اللازمة للسنة المقبلة .

الباب الأول

البلاد التى عاش فيها صالح حرب

فى مطلع شبابه كما رأيتها

لا يمكن لأى شخص ان يصف حياة المرحوم اللواء محمد صالح حرب الا اذا مر بفلات البلاد التى عـــاش فيهـــا ورأى الأماكن الصحراوية من الاسكندرية الى مرسى مطروح الى الســـلوم الى طبرق — الى بنى غازى ، وتصور صعوبة المواصلات فى ذلك الوقت بالجمال وتصور ارض مجدبة وقوما فقراء يحاربون بأبسط وسائل الحرب امام اقوام عتاة من الطليان يظنون انهم وارثوا الامبراطورية الرومانيـــة وانهم فى عهد يوليوس قيصر واعتبروا شاطىء ليبيـــا بانه الشاطىء الايطالى الرابع وانهم حين يثبتون اقدامهم فى ليبيـــا فانما هى الطريق لمصر قلب العالم العربى .

لذلك قمت برحلة الى ليبيا سائرا فى ذات الطريق الذى سلكه صالح حرب بالسيارات والطيارات ولكن هيهـــات ان اكون لقيت شـــيئا مما لاقى .

الفصل الأول

من الاسكندرية الى السلوم

لم أشعر ان مصر قلب العروبة النابض وانه اذا اهتزت منها جارحة اهتزت لها سائر البلاد العربية بقدر احساسى بذلك حين زرت ليبيا .

فلقد وجدت فيها شعبا عربيا أبيا وشعبا ناهضا زكيا انه يتخطى العقبات بالرغم من عمليات الابادة التى أقامها له الايطاليون مدة ثلاثين عاما ويرتد الى الأفق البعيد معتقدا انه سيسلم فى النهاية ما سلمت مصر ويرتفع فى النهاية ما دامت مصر قوية مؤمنة بالله .

ولعل خير بيت سمعته فى هذا المعنى هو قول الأستاذ أحمد رفيق المهدوى عضو مجلس الشيوخ الليبى السابق :

عليك يا مصر بعد الله نعتمد — انت الرجاء وانت الغوث والسند

وقوله فى حوادث القنال يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ :

قلب العروبة يشكو ما ألم به — فكيف لا يتأذى سائر الجسد
يا مصر آن أوان الجد فاجتهدى — وجاهدى فى سبيل الحق واجتهدى
يا مصر ما ظهر الاسلام منتصرا — الا بما كان فى بدر وفى احد
الحق ينصره صبر وتضحية — لا خوف من قلة الاعداد والعدد
اما لكم اسوة فى نهج قائدكم — محمد جينما جاءوه بالفند
قال لا والله لو هلكت — فى مطلب الحق روحى عنه لم احد

وعلى هدى الله سافرت الى الاسكندرية متخذا طريق البر الى مرسى مطروح وحين وصلت الى الاسكندرية ذهبت الى كلية الطب هناك ووجدت ان حال المستشفى الأميرى قد تغير وعنابر جديدة قد بنيت وكلية الطب بأقسامها المختلفة قد ازدهرت وعيادة خارجية ومدرسة لطب الاسنان واخرى للصيدلة .

وقد ملأت الفتيات مدرجات الكلية .

وذهبت إلى الصحة العالمية واخذت ادرس ما فيها من تقارير نحــو ليبيـــا .

وقابلت المرحوم الدكتور على توفيق شوشة وهو دبلوماسى بارع فضلا عن أنه طبيب ماهر وكان يعرف جيدا كيف يكلم جميع الأشخاص بحيث يرضيهم ولا يخرجون بنتيجة ما عدا القليل النادر .

وسافرت بعد ذلك الى مرسى مطروح ومررت بمنطقة العلمين والأماكن الحربية التاريخية الكثيرة التى اشتهرت فى الحرب العالمية الأخيرة ولقد أقام الانجليز هناك مقبرة تاريخية عظيمة تمجيدا لذكرى ابطالهم فى الحرب .

ورايت هناك المنطقة التى وقف عندها رومل لا يتعداها والمنطقــة التى وقف عندها الانجليز فى الشرق لا يتعدونها .

ثم ابتدأت المعارك بعد ذلك بين مونتجومرى وبين روميل وانتهت بهزيمة الايطاليين والالمــانيين لان الدبابات الانجليزية كانت تفوق عددا وأضعافا مضاعفة الدبابات الالمـــانية وكذلك كانت القوات ومن طريف ما يذكر أن تشرشل قرر فى كتابه انه يعد الهزيمة منسوبة اليه وذكر ان السبب فى ذلك هو سماحه للقائد فون ريتشى بأنه يمكنه ان يقود المعركة وهو خارج ميدان الحرب . وكان يحتسى الخمر مع النساء فى فندق بمصر الجديدة اثنـــاء المعــــركة .

ولذلك حضر تشرشل وامره بالانتحار فانتحر واحضر معه قوادا آخرين ومنهم الكسندر ومونتجومرى على أن يقود مونتجومرى المعركة فى ميدانها .

ومما يذكر عن مونتجومرى انه حين حضر الى القاهرة احضر له الخادم عددا كبيرا من البيض فتألم من ذلك وقال له لا تحضر لى غير المكتوب فى جراية لندن حتى اشعر بما يشعر به الانجليز هناك بعيدا عنى وحتى أعـلم ما يلاقونه فأتعب واشقى من اجلهم وامره بألا يحضر غير بيضة واحـدة فى الأسبوع كالجراية فى لندن .

قاد مونتجمرى المعركة حتى وصل الى طرابلس وبذلك انتهت الحرب الليبيــــة .

وفى مرسى مطروح استمتعت ببـــلاجها الهادىء ونظرت الى خليجها الجميل وذهبت الى مينائها وهو لا يستعمل الا مراكب صيد الاســـفنج وهناك رأيت من بعيد ما يسمونه كهف روميل والحقيقة انه ليس كذلك بل هو كهف اقامه الانجليز فى اثناء الحرب ويقال انه قد تم فى عهد الرومانيين

وأصلحه الانجليز ويقع فى منطقة جبلية وسط البحر ومنه ركبت مدافع يمكنها ان تضرب العدو وهو لا يعرف كيف يرد لها ضرباته واستفاد منه روميل حين استولى على مرسى مطروح .

وزرت النادى المبنى خصيصا للموظفين هناك .

ونزلت فى فندق ريو وهو فندق نظيف بأسعار مقبولة بعكس فندق الليدو فهو غالى جدا لا يقدر عليه المتوسطون وهو يفتح ابوابه فى فصل الصيف

وصاحب ريو هو فانجيرى اسبناتاكس ويقيم اليونانيون فى مرسى مطروح دكاكين عدة للبقالة ومطاعم للاكل واقاموا أحسن اللوكاندات هناك . وأول يونانى استوطن مرسى مطروح هو جورجى كاند بوجولو وبعده نيقولا انا خرستو .

وكان عند جورجى مكان فى كل بلد من أول الدخيلة الى السلوم وكان الدكان يبيع الأكل وكان يسمى فى ذلك الوقت كنتين الحكومة فكان يبيع المواد الغذائية والاقمشة بسعر الاسكندرية وكان يبيع للاهالى ويأخذ منهم الصوف والماشية .

وكان الوصول الى مرسى مطروح والبلاد الساحلية بواسطة المراكب قبل السكة الحديدية وقبل رصف الطريق بالاسفلت .

وقد منح جورجى رتبة البكوية فى عهد الخديوى السابق عباس حلمى الثانى وهو اول من بنى حائطا فى مرسى مطروح وكان قد ذهب مع الخديوى على الجمال الى سيوه .

وكان قبل الحرب الأخيرة كثير من اليونانيين بموسى مطروح وكان بالمدرسة اليونانية ٧٠ ولدا وبنتا .

اما الآن فعددهم ١٤ شخصا وعائلاتهم فى الاسكندرية ويوجد بها مدرسة يونانية بها ٦ اولاد .

ويوجد ديمترى باليوس وهو قد نزل مطروح ١٩٠٧ وله لوكاندات عدة فى مرسى مطروح والاسكندرية ومنازل بها وعنده توكيل فى الصحراء للبنزين والسجاير .

كيف يعمل اليونانيون وكيف يخدمون انفسهم وبلادهم وأهلهم .. يكون الواحد منهم نفسه فى الصحراء يذهب بعد ذلك غنيا الى الاسكندرية يعطى

البدوى الشاى والسكر والأرز ويأخذ بدلا منه شعيرا واغناما وصـــوفا وزيتـــونا .

ويوجد بقرب مرسى مطروح قرية اسمها ام الرخم وهى تسمى عجيبية وهى من لفظ عقيبة (تصغير عقبة) وعندها هزم رمسيس الثالث الليبيين وعمل معهم معاهدة فى هذه البلدة وكتب نصوص المعاهدة على المعهـد الذى اقامه هناك وبها مقابر رومانية قديمة .

ودرست هناك مشاريع المياه الجوفية والآبار الرومانية والصـــحراء القديمة صالحة للزراعة وطرق صلاحيتها تتوقف على المياه والمياه يمكن ان تستحضر بهذه الكمية .

١ — مياه الفيضان بواسطة ترع تمر الى الصحراء .

٢ — تخزين مياه الأمطار .

٣ — الآبار الرومانية .

لقد كان يزرع ٤ مليون فدان فى عهد الرومان قمحا وهذه الارض هى التى كانت تمون الامبراطورية الرومانية بالحبوب .

وكان يزرع ٢ مليون فدان بالكروم وكانت تمول روما بخمرها والبئــر الرومانى عمقه ٨ متر فقط لأن المـاء بعد ذلك مالح وماء البئر الرومانى يأتى من مياه الأمطار التى تسيل وفوق فوهة كل بئر رومانى فتحة هوائية .

وهذه الآبار موضوعة على ابعاد متساوية من الاسكندرية . الى السلوم فهل آن الأوان ان تعيد مجد الصحراء على هذه الآبار وتستفيد منها .

ومطالب الصحراء كما سمعتها من الشيخ عثمان الصافى عمدة ســيدى برانى وهو شيخ قبيلة المحافيظ وعددها ٤٠٠ شخص والشيخ رســـلان ميكائيل وهو شيخ قبيلة البجلات .

هى :

١ — مشروع الميــاه .

٢ — مشــغل اقمشة .

٣ — مشغل ســجادة .

٤ — تحسين منتجات البلح والزيتون .

٥ — اصــلاح ســيوه .

ولقد سمحت الحكومة للشركات الأجنبية بالبحث عن البترول ولكنهم قفلوا جميع الفتحات التى فتحوها ســـواء أكانت ماء أم بترول .

٦ ــ تعليم العرب صيد الاسفنج لأن اليونانيين والايطاليـــين هم الذين انفردوا به وهم ينزلون المـاء على أعماق بعيدة ويحدث الواحد منهم شلل فى البحر ويموت ٩٠٪ من المشلولين ويعيش ١٠٪ ومن عـاش يأخذ ماهية ثلاث اضعاف لأنه يعوم كالسمك كما يقولون .

٧ ــ منع التموين من مطروح الى السلوم .

ويقولون انه يجب على كل عربى يريد ارزا أن يأخـذ تصريحا فى البطاقة ويقولون ان ليبيا شعب صديق فلا داعى للقيود ويدفع ٥ أو ٦ قروش تمغة من غير البطاقة .

٨ ــ رصف الطريق الى سيوه .

وايجاد مصنع للزيتون ومصنع للمشش (قمر الدين بها) وتمليـــك الأراضى لأهالى الوادى المجدين العاملين .

مررت بالبلاد الآتية وبمعنى ادق بالدكاكين الآتية :

فالبلاد لا تعرف الا ان هناك دكان وهو نادى العرب وحوله خيــــام بعيدة فى الصحراء والدكان هو مكان التموين بالأرز والصابون والملابس .

وادى الرمـل :

مفارق سيوه وهى المكان الذى يوجد فيه طريق متجه الى ســـيوه ــ الشولى ــ ام الرحم ــ اخوان جبريل ــ حلازى ــ البهنيهى ــ ابو عطـه ــ ابو شهية ــ عائلة عجيره ــ الصواية ــ مرزوق ــ شماس او هبهب ــ مقلته ــ الطرفاية ــ شبيطة ــ سيدى ابو شطيل ــ سيدى ابو ثطيل ــ سـيدى برانى النجيله على بعد ٧٠ كيلو من مطروح وهى من غير مدرســـة وعـدد سكانها ١٢٫٠٠٠ نفس وبها منطقة بوليس الحدود ، بها ماكينتين للطحـين احدهما للحاج رجب الرطب والأخرى لحسن عريشه .

ويطلب الأهالى ايجاد مدرسة ابتدائية بها .

محطة عائلة عميره وبها دكاكين للخردوات وحولها نجع حرينز ونجـــع الصافى ونجع ابو هيهب .

سـيدى برانى :

هى عبارة عن اشلاء سيدى برانى القديمة وقد هدمتها القنابل المختلفة وبها قسم جديد ومدرسة جديدة ومستشفى جديدة وقد بنى بها النادى وهو قد بنى من نقود الأهالى التى كانوا يدفعونها على التموين .

ويوجد بها يونانى يسمى جرجوكارامبلدس وهو يعتبر ملك هذه المنطقة فهو يعطى العرب الشاى والسكر والدقيق والزيت ويعطيه العرب مقـابل ذلك الشعير والزيتون والاغنام والصوف .

ويحبه الأهالى حبا لا يمكن تصوره .

ولقد مررت بالشبيكات وركبت معنا سيدة تسمى سعاية ولها عيـون كالصقر ويهابها العرب خشية الموت ويقال ان لها سطوة كبيرة فى هـذه المنطقة ويدين لها تثيرون بالولاء ويقـال انها ترأس عصابات التهريب على الحدود .

ومررت بمقبرة للالمـان ومقبرة للطليان ومقبرة للانجليز فى الطريق الى السلوم وهى التى كانت عروس الصحراء يوما من الأيام فدكتها القنـابل واصبحت اثرا .

ولقد ابتدات الحكومة فى بناية مبانيها وانهت المركز والمستشفى والحجر الصحى للحيوانات .

لقد وقفت المبانى للمدرسة .

وابتدا الأهالى فى بناية المبانى منهم الحاج كريم شعيب جبريل وهو من أولاد على فلقد بنى النادى واللوكاندة وبدون هاتين الاثنتين لا يمـكن ان يوجد استراحة فى السلوم .

ويوجد بها يونانى يسمى ديمترى مازونى .

وبالسلوم رايت :

١ ــ عملية تكرير المياه وهى عمليات قام بهـا الجيش الانجليزى وكانت عملية المياه معطلة .

٢ ــ آثار عملية الرفع من الميناء لرفع الذخيرة من البحر الى محطة السكة الحديد وبالعكس .

ومن الحرام الا نبقى على ذلك .

٣ ــ جميع المصالح لها مبانى ومساكن للموظفين ما عدا الحجر الصحى .

٤ ــ الجوازات تتبع الداخلية ولكنها فى السلوم تتبع الحدود .

ما رايت موظفا هناك ما عدا القلة لا يشكو سوء حالة وغربته وانه ترك اولاده فى بلده وهناك منهم من ترك العريش الى السلوم .

المقبرة الانجليزية :

لعل احسن ما فى السلوم وانظم ما فى السلوم هى المقبرة الانجليـــزية ولقد زرتها فرايت حسن نظامها ونظافتها وروعة مدخلها والصلب الكبير الذى يشرف عليها والاشجار المورقة حولها .

ولقــد رايت :

R.A.F. Lawrd R.N.N.R.
H.M.S President
S. November 1943

نجمة يهودى

7, 902, 759
J.F. Jacab — Royal Jan k Regiment (Tank)
Royal arniorve 2 Conps.
20 November 1941

قبر الجندى المجهول :

مكتوب عليه بالانجليزية : اسم مجهول . معلوم (للاله) .

مقبرة المسلمين :

٨٨٨٩ هافيلدار ــ محمد خان ــ ١٦ فصيلة بالبنجاب ــ ٢٢ نوفمبر ١٩٤١ عمره ٢٧ سنة .

انا لله وانا اليه راجعون.

ومكتوب على قبر الجندي المجهول :

Their hame live ever more

ان اسمه خلد الى الأبد .

وبجواره لوحة على الجانب الأيمن عبارة لطيفة هى ان الأرض التى تقوم عليها هذه المقبرة هدية من الشعب المصرى لتكون مثوى دائما لأفراد القوات المتحالفة الدين قتلوا فى حرب ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ ويخدمون هنا .

ووجــــدت :

7,890,058
F.G.W. Birlingham
91 Noveber 1941 agc 22

ومكتوب على لوحة من زوجته جوين هذه الكلمات الدالة عــــلى الحب العميق والولاء الدائم الذى لا حد له والثقة فى ان زوجها فى الجنة .

God be with you, till we meet again my darling
your ever loving wifc (G wen-

ما الذى جعلنى اذهب كل يوم صباحا ومساء الى هذه المقبرة اهى للعظة ام للراحة والسكون .

لقد كنت أذهب الى المقبرة واذهب الى مقــابر المسلمين لأترحم عليهم هؤلاء الدين قدموا من الهند ليموتوا فى قرى مصر . هؤلاء لم يهدهم احــد زهورا اقد وجدت امام الانجليز وامام الفرنسيين ورودا اتى اهلهم خصيصا من مسافات بعيدة ليضعوها على قبورهم . وليعيشوا فى ذكرى دائمــة اما المسلمين فلم يات لهم احد فمزق قلبى ذلك الشعور بفقر المسلمين .

وكم بللت ارض هذه المقبرة دموع ام على عزيزها ودموع زوجة عــــلى زوجهــا .

يا سبحان الله يقود الانسان الملايين الى المجزرة الرهيبة ولا يشـــعر بهذه الآلام وهذه الدموع وهذه الحسرات التى تهد الصدر المكتوم .

ما اقسى الانسان وما اسفله ان جميع مدنيته ومادياته هى فى ســبيل الموت فأحدث الآلات الميكانيكية للحرب والآلات الصوتية للحرب واخطر تقدم فى الذرة هو للموت .

ما ابشع الانسانية بل ما اقسى الهمجية والوحشية ان انسان الغــابه الأول افضل بكثير لأن غاية ما يقتل انسانا واحدا اما المتمدن فانه يهدم مدنا ويقتل ملايينا لا ذنب لهم ولا جريرة . ولكنه الانسان الخائن الذى وصــل على أكتاف غيره ليموت اقرب الناس اليه ويقتل الملايين فى سبيل اســـمه الهزيل وما اعتبر الناس ولن يعتبروا .

من الذى كان يتصور أن هتلر الذى كان يتكلم فينصت العالم فيم كان يتكلم فتضيق عليه الأرض بما رحبت . لم يجد مكانا يأويه فينتحر بعد أن خرب المــانيا وقضى على زهرة شبابها الذين كان يقول لهم (احكم العـــالم أيها الجرمانى ألف عام والى الأمام) وموسولينى الذى كان يخاطب العالم على مدفع الذى كان يبيد الليبيين بقذفهم الى الصحراء ويأمر بقتل الأعزل عمر المختار .

ويقول اتباعه لعمر ادع محمدا كى يحفظك فيرفع يده الى السماء ويقول الله ..

واستجاب له الاله بأن يعلق موسولينى من قدميه وهـــو ومحظيتــه كلاراپيتاتشي ولا شيء يستر عورتهما بيد الايطاليين .

يا الله ما اكبر حكمتك واحسن موعظتك ولكن هيهات كيف يتعظ الانسان التافه ما اكبر حكمتك يا ربى .

هيهات ان يفهم انه يمد له فى حبال الغى حتى اذا اخذه لم يفلته .

هيهات ان يفهم الظالم الباغى ان له يوما يكون فى البئر ويهال عليه التراب ويقول يا مغيث ولكن لا مغيث لانه ترك مدة طويلة وما علم ان هناك عينـــا ترافبه وتحسب عليه ذات اليمين وذات اليسار حتى تظهر حكمة الاله ونقول له هنا قف مكانك وهنا يثوب الى رشده ويندم حيث لا ينفع الندم .

لقد تركت مقبرة السلوم والعلمين تأثيرا كبيرا فى نفسى وتأثيرا اكبر على حال المسلمين فلقد تقاتل المسلمان وكل يتبع حاكما تقاتل الهنود تحت خدمة الانجليز ونقاتل الليبيون تحت خدمة الايطاليين ولا راى لهما .

استرخاء فى السلوم :

لقد اضطررت الي ان انتظر فى السلوم لعدم وجود سيارات توصلنى الى بنغازى فاسترخيت فى السلوم ولم أقلق وقمت صباحا لأرى بزوغ الشمس وأتأمل جمالها وسحرها وانعكاس ضوئها على المـــاء .

وقمت بتمرينات رياضية جرى سريع على الشـــــــاطىء الهادىء حتى وصلت الكابينا ثم رجعت واخذت حماما وجلست على كرسى بجوار الفندق المطل على البحر أسمع خريره وصوت مياهه وانظر الى زرقة البحر وارى الخليج الهادىء الجميل ومنارته البيضاء المعممة بسواد ورشاحات مياهه المعطلة عن العمل والتى بح أصوات القائمين بالعمل فيها بالاستغاثة بالقاهرة ولكن لا مغيث .

واجلس هادئا ساكنا على غير ما تعودت .

انه استرخاء فى السلوم واسترخاء فى الصحراء انظر الى الشمس المشرقة والشهب البيضاء واغفو غفوة اتذكر فيها اولادى . هناك فى المدرسة حيث يلعبون وحيث يتناقشون وحيث يتشاكسون ، ولقد زرت العرب فى خيامهم لأعرف حياتهم .



الفصل الثانى

من السلوم الى طرابلس

والآن آن الأوان أن يأتى تاكسى الجبل الأخضر ويستمر يوما ونصف فى الانتظار حتى نركب الى ليبيا وصعدنا فوق هضبة السلوم وهى متناهية فى الارتفاع ذكرتنى بجبال لبنان وتركيا فى طرق دائرية مهدها الايطاليـون وسرنا حتى وصلنا كابوتزو وهى الاسم الايطالى وحقيقة اسمها مساعد العربية وهى التى اخذتها مصر من ليبيا لتسلم ايطاليا واحة الجغبوب مقر السنوسية لتقضى على جميع المقاومات التى كانت تهب عليها وعلى استعمارها .

لقد سلمها أحمد فؤاد واحمد زيور ومن اليهم الى الايطاليين سنة ١٩٢٦ **لأنهم العنصر الممالىء للاجانب فى جميع بلاد الاسلام** وما أن تسلمها الايطاليون حتى أبادوا الفدائيين العرب وعلى رأسهم عمر المختار واستمرت المقاومة ست سنوات ومررت ببوابة موسولينى وهى التى اعدها ليدخل منها الى مصر علامة لظفره وعندها وقف موسولينى يوما ليقول انه (حامى) الاسلام وأنى لهذا الهزيل أن يكون حاميا للاسلام وللاسلام رب يحميه ..

ولقد حمى الله الاسلام منه ومن أمثاله لقد وقف يوما بحصانه الأبيض حين هزمت جيوش روميل الانجليز فى الصحراء الغربية التى لم يتمكن جيش موسولينى من اقتحامها والذى أرجعهم الى العجيلة جيوش الانجليز المتحالفة من هنود وجنوب افريقيين واستراليين ومن اليهم ولكنه اراد شيئا واراد الله شيئا آخر وهكذا كانت نهاية الطغيان .

ورأيت مقبرة الانجليز وتحصينات روميل العديدة على الطريق ورايت تكنات ايطالية حربية قديمة فى البردية أعدت لغزو مصر التى أعد لها برنامج الابادة وعين لها المحافظين والمديرين واعد لها ان المصريين يسكنون جنوب اسيوط واما السادة الايطاليين فيسكنون الدلتا وشمال الصعيد .

ومررت فى طريق دائرى عند البردية وسط صحراء جرداء ورايت طريق الأسفلت المعبد وهو العمل الانشائى الذى اقامه الايطاليون طبعا لأنفسهم لأنهم كانوا يعدون شاطىء ليبيا الشاطىء الايطالى الرابع وفى كل ٢٥ كيلو

يوجد يمنا خاص يسمى Tanton كان يسكن فيه ايطاليون ويقومون بالرقابة والاسعاف والتموين عند اللزوم للسيارات التى تجوب الصحراء .

ومررت ببوابة فى الطريق ولقد سمعت ان ايطاليا كلفت الطريق ٥٠ مليونا من الجنيهات .

ولقد كلفت الحرب الايطالية الليبية ١٥٠ر٠٠٠ عسكرى ايطالى من ١٩١١ — ١٩٣٢ .

واشد ما اعجبنى وآلمنى ان الايطاليين قد اقاموا فى كل مكان قتل فيه احدهم نصبا تذكاريا دالا على بطولة وشجاعة مع ان الايطاليين خلو من الشجاعة ولكنهم كانوا يريدون أن يعيدوا عهد روما بقسوته وبربريته على الأمم الضعيفة الخالية من السلاح اما اذا التحموا بأصغر الأمم ومعهم الأسلحة فهناك الاستسلام وهناك قوم ليس لهم هم فى الوجود غير الرقص والغناء والحب والغرام وما أحرى الحكومة الليبية ان تؤلف كتابا وتبحث عن قبور الضحايا الذين ماتوا فداء لأمتهم وفداء لاسلامهم .

ومررت بقرية قصير الجدى وكمبول وبير الاشهب والبطنان ودخلت الى طريق طبرق وفيها لوكاندة جميلة تسمى لوكاندة الجبل الأخضر لصاحبها الحاج بربك غفير وهى فى منتهى النظام والنظافة وابتدات الخضرة التى يشتهر بها الجبل الأخضر وهو سويسرا الشرق واخيرا وصلت الى درنة بعد أن دارت العربة ١٤ دورة خطيرة ودرنة مدينة شوارعها نظيفة وفنادقها رخيصة ونظيفة وماؤها عذب ورايت خليجها وهو عبارة عن ميناء صغير ترسو عليه السفن وكان يستعمل اثناء الحرب بكثرة ورايت حدائقها الغناء وتماثيل الايطاليين وسط حدائقها .

ورايت المساكن الانجليزية على شاطىء البحر وكانت قبل مملوكة للايطاليين فسبحان المعز المذل ورايت مساكن الجند مصنوعة من الصاج على شكل دائرى ورايت قلعة على طريق البحر ومصانع للطوب .

وركبت سيارة الجبل الأخضر الى الجبل فى مطلع دائرة ورايت مدرسة كان قد بناها الايطاليون على طريق الأسفلت وسط الجبل ورأيت خيوش العرب وسط الصخور والوحل .

ومررت بأم جديح وفيها مبانى ايطالية اخذها العرب رايت منزل ايطالى وحوله مزرعة وحيوانات متروكة ترعى الكلا ورايت منازل متفرقة كثيرة حول قرية والقرية بها :

١ ـ مركز بوليس .
٢ ـ مدرسة داخلية .
٣ ـ كنيســـة .
٤ ـ مستوصف .

وحالة الأراضى لم تنظم بعـد والأراضى الآن اعطيت للقبيلة التى كانت توجد فى هذا المكان فى المـاضى ولذلك اصبحت مثار نزاع بين الاهـــالى والقبائل والحكومة واعتبرت الآن الأراضى كلها ملكا للحكومة وكانوا يريدون توطين ٦٠٫٠٠٠ فلسطينى فى هذه المساكن والجبل الأخضر لعدم وجـــود مزارعين ليبيين ولكن الجامعة العربية شاءت الا يسكنوا هناك حتى تحـــل مشكلة اللاجئين العرب .

القبقب :

مررت بقرية القبقب ورايت منازل العرب هناك وهى من الوجهـــة الصحية لا تناسب بينها وبين منازل الايطاليين ومن العجب انى سمعت أنهم لا يمنحون رخصة المنزل الا بصعوبة ورايت القلعة التركية .

ورايت الحاج محمد عوض العبيدات وحوله اناس كثـــيرون لا يعملون شيئا وسألته لم لا يعمل الناس والارض صالحة للزراعة امامهم والســماء تنزل عليهم مدارا من الأمطار فقال ماذا نعمل ؟؟

وفى الطريق الى بنى غازى رايت مزرعة الزيتون الجـــديدة والارض حمراء ورايت رفع المياه بواسطة الهواء وكان معنا فى السيارة الحاج احمد صالح من مراكش ترك مراكش منذ عام على اقدامه ليحج الى بيت الله الحرام

ورايت فى **جـردس** العبيد كيف ينظف الايطاليون الارض ثم يزرعونها ورايت جبال الجبل الأخضر كأنى فى سويسرا وحين تنزل الامطـار تحيل الأرض الحمراء كأنها اشد حمرة من طمى النيل الذى يأتى وقت الفيضـان وحين يسير الانسان فى طريق طويل معبد بالأسفلت بين صفين من الأشجار ومزارع واسعة من الدر الى جرزه نرى جمالا وابداعا لا يدانيه فى الوصف غير شمال ايطاليا وبحيرة جنيف فى سويسرا ورايت حدائق السيد صـديق السنوسى ورايت اراضى الكونت فارزنو التى كانت سببا فى مقتل الشلحى .

ورايت قرية فارزدغا وبها مدرسة داخلية .
ورايت كوبرى (البونسى)
ورايت توكرا وحوش الحمر والبرسيس .

ورايت درانا وبها اغنام ومواش كثيرة .
ورايت معسكرا انجليزيا كبيرا فى موقع حربى خطير .
ورايت نخيلا كثيرا ونحن فى الطريق الى بنى غازى سنة ١٩٥٤ .

بنى غـــازى :

مدينة عصرية جميلة رايت بها المبانى الجميلة وشاطئها الجميل ورايت مقبرة سيدى غازى ومقبرة سيدى عبيد .

ورايت كنيستها الفخمة التى بناها الايطاليون بها ورايت بها تماثيـــل المسيح مصلوبا والمسيح ميتا .

ورايت بها مخزنا كبيرا لتنظيف الغلال .

ورايت بها حصنا قديما بنى فى عهد الأتراك وكانت عادة الأتراك والطليان من بعدهم ان يقيموا سورا حول البلدة ويدخل الاهالى قبل الغروب وتقفل الأبواب ومن اتى بعد ذلك يقتل .

وكانت عندهم حصون عند الأسوار لقذف المهاجمين من الوطنيين الذين كانوا يهجمون عليهم ليلا .

ومررت بطريق طويل حتى وصلت الى جوليانا وحولها مبانى ايطاليـــة متهدمة وبجوارها قطعة من أول مركب ايطاليـــة هاجمت بنى غازى أقام حولها الايطاليون منبر من الرخام ونقش الأسماء الآتية :

١٩١٨ الجاديش ساريتا اينكومس .
١٩٢١ الجنرال فاليتو جيوفانى .
١٩١٦ فاتارى لجنى .
١٩٢٠ فرانك فالتو .

ورايت تمثال جوليانا وفى ذراعها الأيمن عصاة على شكل رمح وفى ذراعها الأيسر درع وتحتها قبر فيه جمع قواد ايطاليا الذين قتلوا بجوار بنى غازى وعلى القاعدة صور لمراكب واسد وورد ورايت حمام الانجليز وحمام البلدية واستراحة ادريس .

وكان الايطاليون يمنعون الاهالى من الاستحمام فى البحر .

ورايت المقبرة الايطالية وبها جميع الايطاليين الذين ماتوا عند غزو ليبيا كانوا يحفرون الحفرة ويضعون الميت فى الصندوق ثم يضعون رخامه عليه باسمه بعد وضع اسمنت حوله . ويوجد صورة للميت على الرخام .

ووجـدت بالمقبرة يونان وأحباش أتت بهم ايطـاليا ليحاربوا ويموتوا فى ليبيا كما أخذت من ليبيا ليحاربوا فى الحبشة ويموتوا هناك وكان بالمقبرة الـمان ولكنهم نقلوا موتاهم الى طبرق ووجدت بالمقبرة مقبرة البحرية الايطالية ومقبرة لكل عائلة .

وزرت بها قبر عمر المختار ـ فى مقبرة سيدى عبيد ووجـدت عليه وردا وعلم الجهاد الأسود من شعب برقة ومكتوب على قبره رمز البطولة وشهيد الوطنية المجاهد الكبير عمر المختار .

١٤ جمادى الأولى ١٣٥٠

١٦ سبتمبر سـنة ١٩٣١

وعليه سور من حديد وشجرة داخل السور وبجواره قبر عمر فائق شبيب المتوفى فى ٩ أغسطس سنة ١٩٥٣ .

ولقد وقفت خاشعا أمام قبر عمر المختار أتمثل فيه البطولة والوطنية والاسلام وتاريخا حافلا من تاريخ المجاهدين المسلمين الأول ولقد شنق فى سلوق ودفن فى مقبرة سيدى عبيد وكان عليه حرس دائم ولقـد وضعه الفاستشت الايطـاليون مقرهم فى بنى غازى وأكرهوا جميع الناس ان يروه ميتا مقتولا كى يكون عبرة ولكن الله قد أرى الايطاليين العبرة فى مقتل موسولينى وكلارا بنياتشى وتعليقهما من أقدامهما انتقاما لعمر المختار .

ومررت بالبركة فى أطراف بنى غازى وبها ملجأ لفقراء المسلمين ومخزن الكلال الضخم وضاحية القوبهات الجميلة الرائعة وهى التى كان يسكنها الأمراء وعلية القوم .

ورايت جمينس واجدابية والعجيلة ورأيت القوس وهو كبير جدا بناه موسولينى وعليه رسوم التسليم من العرب الى ايطاليا وعليه اثنـان من العبيد يتقاتلان والقوس هو الحد الفاصل بين برقة وطرابلس والايطاليون كانوا يعـاملون العرب فى منتهى القسـوة وكانوا يشعرونهم بأنهم أذلاء والاستعمار الايطالى كان اسـتعمارا اباديا فكانوا يأخـذون ارض العربى الصالحة للزراعة ويرمونه فى الصحراء وسط أسلاك شائكة حتى يموت ولقد حرم على العربى أن يركب حنطورا أو يمسح حذاءه لأن الايطاليين يقومون بهذه المهمة وكانوا يحرمون عليهم دخول بعض المحلات العامة ونواحى معينة فى المدينة وكان العربى لا يتعلم الا اللغة الايطالية حتى يمكنه أن يقوم بمهمة الخدمة وكانوا لا يسمحون للعربى أن يطأ أرضه الزراعية القديمة و يرى

شيئا من الآلات الزراعية الحديثة حتى لا يقوم بعمل مثلها .

سرت :

وصلت سرت الساعة ٣ صباحا ونمت فى الاستراحة الحكومية وعندهم طريقة لطيفة هى دفع المقدار الواجب فورا لخادم الاستراحة ولا يمكن انتظار قطع من الماهية او خلافه .

ولقد شعرت فى هذه الليلة كأنى أعيش فى الجو الذى كان يعيش فيه المرحوم الدكتور سيد دسوقى من الذى كان يتصور أنى سأصل الى المكان الذى قتل فيه بين سرت ومصراته فى بير زمزم على مسافة يومين بالجمال فى أيام ١٩١٨ وعلى مسافة ساعات بالسيارة فى عصرنا .

لقد قتل فى ذى الحجة ونقل فى صفر بأمر نورى قائد القوات التركية الافريقية وأقام له احتفالا رهيبا حين دفنه يا سبحان الله

حسبناها خطى كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

هذا الذى أتى الى هذه القفار ليموت فيها لأنها هى التى دعته لينام فى ثراها الى الأبد ما أكثر آمال الشباب التى تؤدى به الى القبر وما أكثر تفانيه فى سبيل المثل العليا وما علم ان الذين لا يتبعون المثل العليا هم الواصلون وما علم ان الذين لا خلاق لهم هم الفائزون .

أيلبس الخز من لانت مهزته

وأنت تخرج من دنياك عريانا

وفى الصباح مررت بسرت ورأيت شوارعها النظيفة ورأيت سوقها ودكاكينها على الجانبين ورأيت الجامع بمئذنته الخضراء فى نهايتها ورأيت فرع حزب الاستقلال فى مصراته ورأيت المدينة الايطالية خارج المدينة العربية وهناك أراض كثيرة صالحة للزراعة وبها نخيل كثير جدا ورأيت ضريح أبى همام خارج مسراتة فى الخلاء وسمعت عن عمران نجم كركاش (الأسود) وهو الذى قابلته فى أزمير وهو أحد أبناء القبائل العربية الذين أخذهم نورى باشا ليعلمهم فى تريا ويكونون دائما همزة الوصل بين ليبيا وتركيا .

ومررت بقرية بيرات الحسون وهى مدينة ايطالية هدمتها الحرب وبها دور صغيرة عربية فى الصحراء ورأيت بعدها همة الحكومة الليبية فى اصلاح الطريق ولقد قرأت اخوان ثم لشدة وهشتى وجدت اسمه محمد خليل طاطاناكى وكنت اظنه يونانيا ولما سألت صاحبه قال ان والدى اسمه محمد خليل ططن وهو اسم تركى ولكن والده عاش فى اليونان وأراد أن ينصروه وسمى نفسه طاطاناكى .

ورأيت فى الطريق آلة حديثة لعمل اسفلت الطريق وهذه علامة خير على ابتداء تقدم العرب .

ورأيت تاورغا عن بعد ربها كثير من النخيل وهى بعيدة عن الطريق المعبد بالأسفلت .

ورأيت كثيرا من المنازل مهدمة على طول الطريق واشجار الصفصاف ويبتدىء التعمير على بعد ٣٠ كيلو مترا من (استراحة) فهناك الأشجار العالية والبيارات الكبيرة والقنوات المتصلة بها المبنية بالاسمنت المسلح وهناك مربعات من الزرع تحوطها القنوات وهناك منازل المستعمرات الايطالية ويسكنها الايطاليون وكل منزل مرقوم .

ويأتى الماء للبيارة فى الأرض بواسطة نافورات ورأيت النخيل واشجار الزرع العديدة حول مسراته ورأيت الآبار العربية المتواضعة والخيام العربية المتواضعة والخيام العربية وجبانة الايطاليين وسمعت عن المرابطين وهم المجاهدون المسلمون القدماء سيدى أحمد زروق شرقى مسراته .

سيدى أبو علم

سيدى أبو شعيفة

سيدى ابو البرباط

سيدى ابو شتوان

ذهبت فى الساعة ١ر٣٠ بعد ظهر يوم الأربعاء الى مقبرة سيدى احمد زروق لأبحث عن مقبرة المرحوم الدكتور سيد دسوقى وسألت شيخ الجامع عن المجاهدين وعن مقابرهم هنا فقال لى انه لا يوجد سوى المجاهد عبد الله الادام من زليطة والمجاهد ابو بكير ابو عوله من مسراطة ١٣٤١ هجرية وسألته عن المرحوم السيد دسوقى فقال لى انه فى هذا الجامع من ايام الفريق نورى باشا لأن عمره ٨٥ سنة ولم يدفن احد هنا بهذا الاسم

فسألت الله أن يهدينى سواء السبيل وأرى قبر السيد دسوقى فمررت باجثا حول المسجد واذا بريح عاطرة تهب على شرق سيدى احمد زروق فقلت هنا لا شك قبر السيد دسوقى ولكن الرجل يكذب الخبر .

فقلت للسائق اذهب بنا الى سـيدى أبو عليم شرقى قبلى مسراطة وهناك شممت ذات الرائحة العطرة ونظرت حوله وجدت قبر عبد الكريم أبو عليمه وقبر على أبو عليم وبجوارهما مكتوب المطوع الدسوقى بكتابة رديئة على الاسمنت وطلبت من زميلاى أن يقرآ معى فقرآ الكتابة واقرانى على قراءتى وهما أحمد محمد الاحول ومحمد عبد الرضى فهد .

وزرت مقبرة سيدى أبو شنوان بحرى مسراطة وبوجه غربها ساحة اعدها الطليان لقتل العرب بالجملة أمام أهلهم .

الساعة ٢٫٣٠ فى الطريق الى مسراطة :

ركبت سيارة يسوقها ابراهيم منتصر ورأيت الطريق من مسراتة الى طرابلس ووجدته عبارة عن حدائق غناء على اليسار ملك للايطاليين ويسكنها الايطاليون الآن كما كانوا فى عهد الاحتلال .

ورأيت على اليمين أرضا جرداء صالحة للزراعة تنادى من يزرعنى ووجدتها ملكا للعرب ورأيت الأشجار الشاهقة فى كل صف فهناك الزيتون وغيره وجميع الأشجار فى نظام هنـدسى بديع وأينما اتجهت نجد خطا مستقيما ونجد الأشجار مشذبة ووجدت البيارات والماكينات وآلات الرفع بالآلات الهوائية وكانت الحكومة الايطالية تصادر الأرض ولا تمكن العرب من الاقامة فيها حتى تتغير ملامحها وتصبح صالحة لهم وواجب الحكومة الآن أن تعيد تنظيم الأراضى الصالحة للزراعة وتعيد تقسيم الأراضى المزروعة .

ولقد أرادت الحكومة الايطالية فى سنة ١٩٣٦ أن تبنى بعض المنـازل للعرب للدعاية قبل غزو مصر والسودان وباقى البلاد الاسلامية التى كانت فى مخيلة موسولينى الضيقة والتى كان يود أن يسيمها العذاب وكان يظن فى خياله السقيم أنه يكفى أن يبنى بضع مئات من المنازل للعرب فى ليبيـا كى تخضع هذه البلاد وتعتبره حاميا للاسلام بالسخرية والغدر وبالرغم من قيام هذه المبانى سنة ١٩٣٦ فانهم لم يتموها ولم يسكنها أحـد من العرب .

وفى الطريق سمعت عن قتلة قافلة الدكتور سيد دسوقى وانهم قتلوا فى بير زمزم التى تقع ١٤٠ كيلو متر شرقى مسراطة والمســـافة من سرت ومسراطة ٢٥٥ كيلو مترا .

وقتل بيد اتباع السويحلى غدرا وخيانة وشاء القدر الساخر أن يقتل رمضان السويحلى بيد بنى غربان انسباء عبد الرحمن عزام ويقتل جميع القاتلين ولم يبق منهم غير رجل عجوز شاء الله أن يقتل ابنه أمامه ١٩٥٤ فتحدث الناس بقتله للمسلمين المؤمنين المخلصين المجاهدين سنة ١٩١٨ وان القدر أراد أن ينتقم ويكون انتقامه أشد ومررت بزليطن وســيدى عبد السلام ومن زليطن خرج الدكتور حسن عبد القــادر رئيس المعهـد الاسلامى فى لندن . ويوجد فيها قبر سيدى عبد القادر وفيها أملاك للعرب وأملاك الطليان وجميع الملكيات الصغيرة الغير منظمة ملك العرب والملكيات الكبيرة الهندسية ملك للطليان . ورأيت بها حدائق ونخيلا كبيرا .

ورأيت بعدها جمعه زليطن (سوق الجمعة) وبها نخيل كثير وسمعت عن مصاهرة عبد الرحمن عزام لبنى غربان حين كان مجاهدا فى طرابلس وهى على بعد ١٥٠ كيلو متر جنوب غرب طرابلس وقد أنجب من هذه السيدة بنتا تزوجت أبا بكر عزام ضابط السواحل .

وصاهر أيضا خالد القرقنى وهو المسمى (خالد بن الوليد) مستشار المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود .

ولقد رأيت نخيلا كثيرا يدل على اجتهاد العرب فى الجبل الى ســاحل البحر الأبيض المتوسط فى سوق الخميس .

ورأيت لبده وهى بلدة قديمة من آثار الرومان وفيها مسارح وشوارع منظمة ولقد قامت مدينة الخمس على انقاض مدينة لبده وحين حـــكم الايطاليون عملوا رسوما للقرية وتخطيطا مناسبا لها ولذلك تجـد القرى العربية منظمة ومنسقة ونظيفة ورأيت المركب بجوار الخمس على جبل عال ومن يحتله يمكنه أن يسيطر على مسافات شاسعة ورأيت المعســكرات الايطالية الضخمة التى أقامها الايطاليون لجنودهم لغزو مصر وبلاد الشام ورأيت تشجير النباتات مستمرا ورأيت حرث الأرض بمحاريث عميقة لتصل الى ٥٠ سم لتخزين المياه فيها وتحفظ الماء من حرارة الشمس ومن برودة الهواء .

وسمعت عن عائلة سيف النصر عبد الجليل سيف النصر فى فزان وهى من قبيلة عربية ولقد كان المرحوم احمد سيف النصر واليا على فزان .

وكان قد دخل مع الفرنسيين الأحرار فأتى لفزان ضد الايطاليين وولى بعده عمر سيف النصر .

وسيف النصر عبد الجليل كان رئيسا للمجلس التنفيذى فى فزان سنة ١٩٥٤ — وهو ابن أخيه وهو شاب مهذب أقامت عائلتهم مهاجرة فى مصر وملكوا أرضا فى الفيوم وحين رجعت البلاد اليهم رجعوا لخدمتها وهوشخص فى منتهى الأدب والتهذيب وفزان واحة فى الصحراء الكبرى وحولها واحات أصغر منها وسكانها ٤٥٫٠٠٠ نفس وهى تقع على حدود الصحراء الكبرى وفزان هى الواحة التى كان يريد الفرنسيون أن يستمروا بها وكانوا يريدون أن يعملوا منها جغبوب أخرى لأن موقعها بالنسبة لتونس والجزائر كجغبوب بالنسبة لمصر وليبيا وأرادوا شيئا وأراد الله شـــيئا آخر أذهبت ثورة الجزائر .

ورأيت سدودا على الوديان كل ٥ كيلو ، ١ ٥٠ كيلو متر لأن السيول حين تنهمر يجرى أمامها كل شيء والوديان عديدة ويوجد وادى المجتيين بجوار طرابلس وبمر بسيدى المصرى وسمى مجننيين تصغير مجنون لأنه حين ينهمر يأخذ كل شيء أمامه .

ورأيت شجر الزيتون ويزرع كل عشرين مترا فى طرابلس ولكننا نزرعه فى مصر على بعد أقل والزيتون يستمر فى الأرض ٦٠ سنة ويزرع الطليان ٥ مليون شجرة فى ولاية طرابلس وحدها ونرى الشجرة كأنها عصا واحدة فى أسفل كى تكون معروضة كلها للشمس وهناك نرى همة شركة الانتى الايطالية وهى شركة تعاونية لاستثمار الأراضى لمصلحة الايطاليين فهناك الأرض التى لا يوجد بها عشب وهناك الحدائق الغناء ومعـــاصر الزيوت والمحاريث الميكانيكية والأحواض المملوءة بالماء فى باطن الوادى الآتية من أعلى الجبال وعمليات التشجير للاشجار المفروشة فى الرمال كى تمنع هبوب الرمال على الطريق .

وكان الايطاليون يعــدون بحوالى ١٢٠٫٠٠٠ قبل الاحتلال الانجليزى والآن قد قل عددهم حتى أصبحوا ٤٢٫٠٠٠ يسكنون زراعتهم القديمةولكن روحهم المعنوية قد تغيرت عن ذى قبل فكانوا يحرمون على العربى أن يركب الامنبوس الا فى الدرجة الثالثة مهما كانت الأولى خالية ومهما كان مركزه لأنه لا مركز له لديهم .

ورأيت كوبرى وادى الشرق وقد نسفه الطليان عند انهزامهم ورأيت الحصون الايطالية على الطريق .

وحدائق البرتقال التى لا حد لها ولا حصر .

وفى الطريق سمعت عن العـــائلات المصرية التى لها اصل ليبى مثل الفريانى من غربان .

الناضورى من مسراطة .

تريانه من مسراطة من قبيلة زاوية المحجوب وعندنا فى الاسكنــدرية وقف تربانه العبانى من قبيلة العبينات من ترهونة .

الموم من برقة .

السماس : من برقة .

ويقال ان اسماعيل صدقى من الفواخر .

وفى التاريخ ان عائلة ليبية حكمت مصر فى صا الحجر سنين طويلة والأستاذ العقارى رئيس المحكمة الاتحادية الذى حكم حكما دستوريا من كوم الخشن بحيرة واصله من ليبيا .

وهناك تفاصيل عن ليبيا فى كتاب دراسات فى التاريخ العربى (مصطفى معبد) والمجمل فى تاريخ ليبيا (مصطفى معبد) .

وكتاب السنوسية دين ودولة الدكتور فؤاد شكرى .

وصلت طرابلس والحمد لله مساء الأربعاء ونزلت فى فندق ليبيابشارع فزان وقمت مبكرا لأرى طرابلس فاذا هى مدينة اوربية نظيفة وبها مبان شاهقة ورأيت بها حدائق بها تماثيل ايطالية .

ورايت تمثال العذراء والغزالة ويسمون الميدان هناك ميدان الغرام .

القلعة القديمة :

وذهبت لأرى القلعة القديمة وهى بناء فى منتهى الروعة والفخامة ولقد مرت عليه عصور من الرومان الى الاســـبان الى العرب الى الأتراك الى الايطاليين وهو باق ما بقى الدهر وكل ترك أثرا فيه .

ورايت خزانة الكتب ورايت البئر التى كان يقتل فيها الناس ويذبحون ويلقون فى مجرى الى البحر المتوسط ليلتهم المســـاكين اســـماك البحر وحيتانه .

ولقد بنى المسجد على انقاض كنيسة رومانية .

ولقد رأيت السجن الذى كان يضع فيه الايطـــاليون العرب ورايت مكتوبا عليها طرابلس غرب .

بنى هذا الشاوران

حضرت عثمان باشا

ابان ملك إدريس الأول عاهل ليبيا وولاية الصديق المنتظر بطرابلس الغرب يوم ذكرى الاستقلال الثانية ١٣٧٢ هجرية .

ومكتوب أيضا .

بنى شادر مكون من قطع مختلفة المصادر نصب فى وسط هـذا البناء الراجع الى عهد احمد باشا القرمانلى بعد ازالة طابق الروم السميك عنـد ترميمه .

ورايت فسقية الثعابين وآثار الرومان وآثارا تركية فى بنى غربان ورايت ورايت النقاق فى عهد سلاطين العثمان .

حمـد الزمن العرش المجيــد ... أعطى لنـا الغـازى المجيـد

قـد أسس المبنى الجـديد ... سـلطاننا عبـد المجيـد

دقت النـــداء والعقبـود ... قال الرعايـا والجنـود

يا رب انصر بالسـعود ... سلطاننـا عبـد المجيـد

أجنـاده الفـا ألفـوف ... شرقا وغـربا بالصـفوف

بشرى لأصحـاب السيوف ... سلطاننـا عبـد المجيـد

ورايت شواهد الرخام التى توضع على المقابر وكور اسـبانى وخزان الفاشست وعصا متحدة مع سيف ومقصين .

وأول قائد ايطالى دخل ليبيا اسمه برسبليرى ، ورايت طرابلس من الحصن العالى ، ورايت حوض القزمانلى وبه مكتبة فخمة ورايت الاقسام المختلفة للرومان والأتراك والعرب ورايت مسكن القرمانى يقال انه قتل اخاه ورأيت مدافع م٢ المـانى وايطـالى . ورأيت الموافع التى كانت تضرب فى عهد الطليان ــ الساعة ٧ صـباحا ، ٥ مسـاء فيقف الناس احتراما للفاشست ورأيت عليها أيضا تمثال قيل وفم أسد ينزل منه الماء . ورايت المتحف الليبى وفيه أنواع الصخور المختلفة والطيور والفيلة

ومختلف الأسلحة والخنـــــاجر . ورأيت القسم الزراعى وبه محراث صغير أولى من العهـد البـدائى كأنه منقرة صغيرة ورايت المركب الليبى الشراعى وهو شعار ليبيـــا . ورأيت الحلقـــان المختلفة . وغـــرف العروس فيه وصندوق ومقعد ودفاية ورأيت مســاكن غدامس والآلات الموسيقية من التشنيا الى الدربكة والقنافد والسحلفاء . ورأيت بعد ذلك قصر الملك السابق ادريس وكان قصر اعد لحاكم ليبيا الايطـالى اقسامه المختلفة ورياسته الفخمة ومضيفته النمسوية ورايت حديقة غنـاء وهى مقسمة على شكل ولايات ليبيا فهناك ليبيا القديمة وهناك ليبيا الجديدة ومساكن بنى غربان تحت الأرض وهناك مزروعات كل قسم . ورأيت سيدى الشعاب ومنزل طـائره بالبحرية ومعســكرات الانجليز ومعسكر البحرية ومساكن العظماء والسور الذى كان مضروبا حول العرب وحدائق البلدية ورأيت الشوارع وقد شطبت أسماء الايطاليين وسميت بالأسماء الآتية :

شارع عرابى باشا ، شارع محمد عبده ، شارع القاهرة ..

وسمعت طرفا عن الاحتلال الايطالى من ذلك ان أى عربى يجب انيقول لاحقر ايطالى حاضر يا سيدى . وأن يقف لأى ضابط وان أية قضـــية لايطالى ضد وطنى يجب سجن الوطنى بل وقتله واخذوا أملاك العرب بسعر المتر ٣ مليم ومن لا يعجبه يسجن والمزارع العربى يجلد اذا لم يخدم المزرعة فى الأعمال البسيطة بأكله والمواقع التى قام الايطــاليون بها هى كالآتى :

١ ــ ذهب الجيش الايطالى الى سيدى برانى
٢ ــ رده الجيش الانجليزى من برانى الى العجيلة
٣ ــ رد الالمان الانجليز الى طبرق
٤ــ رده الانجليز الى العجيلة مرة أخرى
٥ ــ رد روميل الانجليز الى العلمين
٦ ــ رد مونتجومرى الالمان والايطاليين الى تونس واخرجهم من البلاد .

رجعت الى اجدابية وفيها قلم الجوازات ورات فيهـا مقهى هايبنى واسم هايبتى محبوب لأنها الدولة (الصوت الوحيد) الذى رجح استقلال ليبيا وبجوار المقهى القصر القـديم الذى كان يقيم فيه ادريس السنوسى

وهو أمير برقة وبجواره معسكر الجيش السنوسى سنة ١٩٢٤ حين تنكر له الايطاليون ورأيت القرية بشوارع نظيفة وفيها .

متصرفية اجدابية ومستشفى به ٨٠ سريرا ومدرسة وجامع وقبر الجندى المجهول الايطالى ومركز البوليس كان مقرا للفاشست ورأيت مزارع التشجير فى اجدابية (٤٠٠٠٠ شجرة) لمنع الرمال عن المدينة وهو من عمل الحكومة العربية .

وسمعت ان الجمل يأخذ ٢٤ يوم من طرابلس الى طبرية ، ٢٨ من طبرية الى الحمام فى الصحراء الغربية . وسمعت عن مشروعات التغطية الرابعة وهى تعطى العامل ٦ كيلو قمح فى اليوم والكيلو ثمنه ٣ قروش ، ورأيت سيدى فرج ومرسى الزويتية كان مصنعا للايطاليين وهى منطقة غنية بالزراعة .

ورأيت سيدى سلطان وسيدى أحمد المفردية وعلى بعد ٣٠ كيلو متر جنوبى المفردن توجد سلون حيث قتل عمر المختار وابنه كان نائبا لمحافظة المرج واسمه محمد وفى الطريق الى بنى غازى ٣٠ كيلو متر اشجار على الجانبين .

الباب الثانى

الفكر الاسلامى

تجديد الفكر الاسلامى

لا يمكن لشخص ان يؤرخ لصـــالح حرب دون أن يتعرض للاسلام ومجدديه لأنه اتصل اتصالا وثيقا بالسيد/احمد الشريف السنوسي حين كان ضابطا بخفر السواحل فى الصحراء الغربية وحين هرب الى ليبيا ليجاهد مع الليبيين ضد ايطاليا وهم فقراء لا يجدون القوت أو الأرزاق كما يسمونها ولا يجدون السلاح وهو الذى كان يمدهم بالاثنين حين كان ضابطا يمده الأمير عمرطوسون وبعثة الهلال الأحمر بالسلاح والأرزاق وهو الذى كان يسهل لهم وصول ذلك ومن هذا يمكننا أن نتصور مدى ما كان فيه صـــالح حرب من نفسية حين هر ببرجاله وسلاحه الى الســـنوسيين ونتصور مدى ما كان يملأ قلبه من ايمان لا يمكن وصفه ولذلك لا بد لنا أن نصف مجددى الاسلام الثلاثة فلهم جميعا نصيب فى تكوين شخصية صالح حرب •

فهو قد استعمل السيف للدفاع عن الاسلام مثل محمـــد عبد الوهاب ممثلا فى السعوديين واستعمل القلم واللســـان والمثل الحسن مثل جمال الدين الأفغانى واتصل اتصالا وثيقا بالسيد/أحمد الشريف السنوسى •



الفصل الأول

ازدهار الحضارة الاسلامية

لقد بلغ العالم الاسلامى شاوا بعيد المدى فى فجر الاسـلام وضحاه . ولقد ازدهرت الحضارة الاسلامية بذهن عربىواسلامى يتميز بالقوة والصفاء والحـدة ، هذا الذهن الدائم اليقظة فى محيطه الخاص جاءت الوحدانية البسيطة التى جاء بها محمـد عليه الصلاة والسلام ، فكان لها فى نفسه سحر غريب رفعه من الأرض الى السماء ، واصبحت عبادة الله أكبر صيحة بالغة الأثر، لا فى حياة العربى فحسب بل فى حياة الانسانية جمعاء .

وكان القرآن هو الحافز الأكبر لرفعتهم ورفعة الاسلام .

وجاء الأمويون واتخذوا دمشق عاصـمة لهم ، وكانوا حكاما قادرين متسامحين ، وضربت النقود بالعربية ، واستخدمت اللغة العربية فى أعمال الدولة شيئا فشيئا حتى أتت سنة ستين بعد الهجرة فأصبحت لغة عالمية.

وحين اتى القرن الثانى للهجرة ، وانتشر الاسلام فى جميع العالمالمعروف فى ذلك الوقت .

وأصبح القرآن العربى القوى الاثر يتلى فى كل مسجد من الهنـد والصين شمالى افريقية الى الأندلس والى جنوبى أوربا .

وربطت اللغة العربية بين جميع شعوب آسيا وافريقية واسبانيا .

ولقد انشأ العباسيون بغداد فى عهد المنصور ، وقد أدى انتقـال العاصمة الى بغداد الى أثر بعيد المدى .

وقد وصلت الحضارة الاسلامية فى عهد هرون الرشيد الى أوجها .

وكان المأمون حر الراى واسع الأفق فى تفكيره . فزاد فى العمل على تنشيط العرب المشتغلين بالعلوم الدينية وغيرها .

ولم تكن دار الحكمة فى بغداد التى أقامها المأمون بمكتبتها ومرصدها الفلكى الا واحدة من الأبنية الفخمة الكثيرة التى أقامها الخلفاء العباسيون فى عاصمة ملكهم وفى ضواحيها المترامية الأطراف ، وقد استمرت رفعة بغداد مع الأسف الشديد قرنا واحدا من الزمان أصبحت بعده فريسة للمرتزقة من جنود الأتراك ، لكن حضارتها أصبحت الباعث المحرك لجميع العالم الاسلامى .

وبرغم اجتذابها التجار من جميع البقاع فانها اصبحت مدة طويلة من الزمان مركزا للثقافة الاسلامية العربية ، ولم يحدث فى تاريخ المدينة حركة أكثر روعة من ذلك ، الشغف الفحائى بالثقافة الذى حدث فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، فكان كل مسلم من الخليفة الى الصانع كأنما قد اعتراه فجأة شوق الى العلم ، وظمأ الى الشعر ، وكان ذلك خير ما قدمه الاسلام فى جميع الجهات .

أما المساجد وهى التى كانت ومازال بعضها جامعات الاسلام فانها غنيت بالطلبة الذين ملأتهم الرغبة فى العلم ، وقد جاءوا للاستماع الى محاضرات العلماء فى علوم الدين والشريعة والفلسفة والطب والرياضة ، وقد جاء العلماء أنفسهم من جميع أرجاء العالم الذى كان يتكلم اللغة العربية ، وكانوا يلقون محاضراتهم بالطريقة التى تروقهم ، وفى الوقت الذى كان يناسبهم من غير أن تكون لهم شهادات دراسية ودون ان يتقاضوا مرتبات أو يكونوا تحت اشراف دراسى منظم ، وقد تيقن ذوو الكفاية من هؤلاء العلماء اقبال الطلاب على حلقاتهم والاعتراف بفضلهم ، كما كانوا لا يتناولون غير أجر ضئيل يؤدى اليهم طواعية واختيارا ، وكان يرحب بكل طالب مهما كانت جنسيته .

وكان القرآن قبل كل شىء أساس الدراسات جميعا ، فكنت تجدالدقة فى دراسة اللغة والنحو وفقه اللغة والتفسير ، وكان تنوع الأساتذة الذين جاءوا من مختلف البلاد شاحذا للقرائح ، كما اشعلت العقول الجديدة بآرائها المبتكرة أضواء جديدة ، فكانت كالفتيل الذى يشتعل من الشرر المنبعث من الزناد .

فالعالم من اقصى مرقند أو جند بســـــابور يعقبه فى التعليم آخر من اشبيلية أو قرطبة ، لأنهم جميعا كانت تجمعهم اللغة العربية ، ويجمعهم نفس الهدف ، وهو خدمة الانسانية ، وكان المسلمون يشعرون وهم فى مسجد فاس كأنهم فى وطنهم وبين أهلهم .

ولقد قام هؤلاء العلماء الأفذاذ من امثال ابن رشد بعرض أفكار ساطعة عن الفلسفة الاسلامية أصبحت منارا للنهضة الأوربية ، لقد كانت اللغة العربية هى المجرى الوحيد الذى سارت فيه كل الثقـــافات القديمة من اغريقية وفارسية ، وكان يصب فى هذا المجرى روافد من مصادر مصرية وفارسية وهندية .

وكانت اللغة العربية هى القوة الموحدة للغة واحدة وديانة واحـدة ، وكان فضلها الكبير على العالم يرتكز فيما قدمته له من خدمة جليلة فى حفظ الحضارة القديمة العظيمة ونشرها فى وقت كانت أوربا تتخبط فى ظلام الجهل والأمية .

ان صحو اللغة العربية وحماسة علمائها هما اللذان مهدا الطريق لحركة احياء العلوم .

الفصل الثانى

تجديد الحضارة الاسلامية بعد انحدارها

بدأت فى العالم الاســـلامى عوامل الضعف حين وهم قبـائل الترك الرحالة الممالك الاسلامية وكانوا لا يستطيعون غير القتال المناسب اوقتهم فى غير رحمة والفتك من غير روية ولم يكن لهم صلة بالعلم أو الحضـارة ـ ودخلوا فى الاسلام ولم يدخل الايمان فى قلوبهم ولم يكونوا للمسلمين اخوانا بل كانوا لهم مستعبدين متجبرين متكبرين ولم يرحموهم بل تعالوا عليهم واضاعوا علمهم وحضارتهم .

وما هو الا ان نهضت أوربا فاذلتهم وأذلت المسلمين واستعمرت بلادهم وهنا نهض المصلحون منأ أبناء الأمة الاسلامية وكان الثلاثة المبرزون هم :

١ ـ محمد بن عبد الوهاب

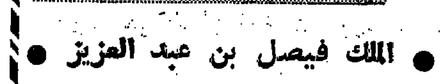
٢ ـ محمد بن على السنوسى

٣ ـ جمال الدين الأفغانى

ولقد بحث كثير من مفكرى المسلمين فى أسباب الضعف الذى ألم بالعالم الاسلامى وانتهوا الى التفكير فى التفاف العالم الاسلامى حول دستور واحد هو القرآن الكريم وبرز الثلاثة السابقون فى الاصـــلاح بعـــد اقامتهم فى الحجاز حيث تأثروا بروحانية الكعبة ومسجد الرسول .



● الملك عبد العزيز ●
● آل سعود ●



● الملك فيصل بن عبد العزيز ●



ب العزيز ●



● الأمير فهد بن عبد العزيز ●

الفصل الثالث

بعث الفكر الاسلامى

الوهابية

تنسب الى محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ ــ ١٧٩١) ميلادية الذى نادى بالعودة الى التوحيد وهو الاعتقاد بأن الله وحده خالق هذا العالم والمسيطر عليه وهو الذى وضع القوانين الطبيعية التى يسير عليها والتى لا تتغير ولا تهتز . وليس هناك شخص فى الوجود أيا كان مركزه من المناصب الدنيوية امثال الملوك والرؤساء الجمهوريات وارباب الصناعة والمال من يستحق العبادة والتعظيم الا هو قال الله سبحانه وتعالى :

((قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون)) .

شغل ذهن محمد بن عبد الوهاب فكرة التوحيد فى العقيدة مجردة من كل شريك وفكرة التوحيد فى التشريع لا تصدر الا عن الكتاب والسنة ولقد اضطهد فى بلدته البينة وخرج الى الدرعية مقر آل سعود وعرض دعوتها على الأمير محمد بن سعود وتعاهدا على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع ونشر الدعوة فى الجزيرة العربية باللسان عند من يقبلها وبالسيف عند لم يقبلها واذ ذاك دخلت الدعوة فى دور خطير وهو اجتماع السيف واللسان.

وقد حاربهم محمد على تابع السلطان محمود لأن أمير المؤمنين كان لا يعلم فى مملكته غير الجوارى الحسان فى قصر صنوله باغشى وكان لا يعلم من السياسة الا الفتك بالضعفاء وترك ولاته يسرقون وينهبون .

وكان لا صلة لذلك بالايمان الاسلامى الحق فسار محمد على بجيوشه الى الوهابيين وهزمهم . وبالرغم من هذه الهزيمة عاد الايمان بالوهابيين أقوى مما كانوا على يد عبد العزيز آل سعود رجل العرب العظيم الذى لم تخرج جزيرة العرب شخصا مثله فى سياسته وفى كياسته اذ لم يكتف بالايمان بل سلحه بالعلم وسلحه بالحضارة الحديثة وسار على طريقة الملك

فيصل فعرف كيف تصبح شخصيته شخصية عالمية لها وزنها ولها قيمتها.

لقد قابلت الدعوة الوهابية كأى دعوة اسلامية صعوبات شديدة ولكن الله هيأ لها من رجالها الأبرار قوما يؤمنون بما عاهدوا الله عليه .

لقد انتكست بعد الهزيمة على يد محمد على ولكن محمد على ذاته سحب جيوشه من نجد والحجاز بعد أن تألبت عليه دول أوربا وهزمته هزيمة نكراء فى اليونان والأناضول وسوريا .

وكانت نتائج حروب محمد على :

١ ــ دخول الانجليز فى الخليج العربى

٢ ــ انتصاره على الدولة العربية الاسلامية الأولى فى العصر الحديث

ولم يكن انتصاره للاسلام أو العرب وانما كان انتصاره لبناء مجد شخصى . والقضاء على الدولة العربية السعودية الأولى .

ولقد نفى أمراء العائلة السعودية بعد ذهاب محمد على من الجزيرة العربية كلها ورجعت الى الاحتلال العثمانى الذى يعتبر بخلافته المهلهلة خلافة أبو الهدى الصيادى .

من بات يلتمس الخلافة فى بكرى

لم يلق غير خلافة الصيادى

وقد كانت هذه الخلافة العوبة فى يد جميع الأجانب من انجليز وفرنسيين وروس والمان فكانت تميل حسب الشراع وحسب ما يرسم لها ولقد بدأ الاحتلال البريطانى للخليج العربى وقت احتلال محمد على لنجد والحجاز . وأفسح المجال امام الدول الأوربية لبدء سياسة التدخل وبسط السيطرة على البلاد العربية والاسلامية .

لقد عاد الامام فيصل بن تركى من منفاه فى مصر الى موطنه فى نجد بعد خروج قوات محمد على بعد ان أقام فى مصر منفيا خمس سنوات .

وحارب ابن ثنيان الذى كان قد نصب نفسه أميرا على القصيم وهزمه وحكم ٢٤ عاما .

وعندما توفى الأمير فيصل بن تركى ١٨٦٥ قام التنافس بين ولديه عبد الله وسعود ونتج عن ذلك استيلاء الانجليز على عمان واستيلاء تركيا على الاحساء ومزقت الحرب الأهلية الدولة السعودية .

ودخل ابن الرشيد بجيوشه الرياض عاصمة السعودية والحقهابحائل التى كانت مقرا له .

وحكم الامام عبد الرحمن بن فيصل الأخ الأصغر للامام عبد الله الفيصل ورفض أن يكون أميرا على الرياض فى ظل الدولة العثمانية وفضل بأن يكون فى البادية ويستقر فى واحة قرب الربع الخالى ليقيم هناك عدة اشهر كمرحلة اولى حيث تربى ابنه عبد العزيز على الفروسية وسرعة الزحف والانقضاض .

كانت قطر هى المرحلة الثانية واقام بها ٦٠ يوما ثم سافر الى البحرين ومنها الى الكويت وبقى فيها مدة من الزمن حتى استطاع ابنه عبد العزيز الذى عرف فيما بعد باسم الملك عبد العزيز آل سعود بأن يحرر الرياض بعد مقتل الأمير عجلان عامل الرشيد بطريقة اسطورية حين خروجه من الحصن الى منزله .

وحرر بعد ذلك نجد كلها ونازل العثمانيين وابن الرشيد وهزمهم وقتل ابن الرشيد فى القصيم .

وحرر المنطقة الشرقية وانحاز مع الحلفاء اثناء الحرب العالمية الأولى ضد العثمانيين وأقام معاهدة مع الانجليز منها لا يمنح امتيازا فى أرض بلاده لدولة اجنبيه او شركة اجنبيه بدون رضى الحكومة البريطانية .

ويتحاشى الاعتداء على الكويت والبحرين وقطر وسواحل عمان وكل المشيخات الموضوعة تحت الحماية البريطانية .

استفاد عبد العزيز من هذه الاتفاقية اذ اتخذ منها موطىء قدم ينطلق منه الى التحرير الكامل والسيادة المطلقة حتى الغيت بعد ذلك واصبح عبد العزيز سلطانا لنجد .

وقامت حرب بينه وبين الملك حسين ١٩١٧ فى الخرقة وهاجم الاخوان الوهابيون سنة ١٩١٩ جيش الملك حسين فى ترسه وهزموه وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى قسمت البلاد العربية وأصبحت مستعمرات فسوريا ولبنان لفرنسا وشرق الأردن والعراق للانجليز .

حارب آل الرشيد وهزمهم فى جبل شمر وحائل . وكان حسين قد منع الحجاج الوهابيين من الحج مدة خمس سنوات فأفتى علماء الشريعة بدخول الحجاز بالقوة ما داموا قادرين على ذلك لتحرير الحجاز وتخليص البيت الحرام .

وابتدأت معركة الحجاز بالطائف سنة ١٩٢٤ .

وخلع الملك حسين ونصب ابنه على ملكا ثم فر هاربا بذهبه وما يمكن حمله الى الخارج .

ونادى عبد العزيز أهل الحجاز وعاهدهم على حفظ أموالهم وان يخدم البيت واهله ولا يعاملهم الا بحكم الشرع فى عاجل الأمر وآجله ودخل مكة محرما كما احرم معه من دخل من رجال جيشـــه وأبدى أسفه لما وقع بالطائف من الوهابيين أثناء هجومه عليها . وأصبح عبد العزيز ملكا للحجاز وسلطانا لنجد وملحقاته ثم غير اسم الدولة الى المملكة العربية السعودية .

وشطب تدويل الحجاز اسلاميا وانتهت الخلافة الاسلامية فى تركيـــا وذهبت خلافة الملك حسين الوهمية وكذلك خلافة الملك فؤاد الخيـــالية ونظم الدولة واخذت الحضارة تدب فى أرجائها ومات عبد العزيز فى سنة ١٩٥٣ . بعد ان انتقل بالجزيرة العربية من طور متخلف الى طور حضارى أكثر تقدما وأصبح الفرد مواطنا فى شعب بعد ان كان فردا فى قبيلة صناعتها الغزو والنهب وأمن الحجاج الذين كانوا يعصف بهم الاعراب وكانت كل دولة ترسل محملا بجيش ليحمى حجيجها .

واستطاع أن يكون دولة بدون موارد مالية لأن البترول لم يظهر الا عام ١٩٤٦ ميلادية . ولم تكن موارده السنوية تتعـــدى بضع ملايين من الجنيهات كل عام . ولم ترفع الى ٢٥ مليون جنيه الا عام ١٩٥٠ ميلادية .

وبالرغم من ذلك وضع قبل وفاته نواة عـــلاج الشعب مجانا وتعليمه مجانا ونودى بالملك سعود ملكا بعد وفاته وبقى ١١ عاما ثم خلع وتولى الملك فيصل سنة ١٩٦٤ .

وهنا ارتفعت المملكة الى القمة فى البلاد العربية والاسلامية وأصبح لها مكان مرموق فى العالم كله بفضل سياسة فيصل وبفضل البترول الذى افاض الله به عليها .

واصبح كل مسلم يصيح وافيصلاه فيرى فيه الأب الرحيم .

وغير المملكة من نظام قبلى الى نظام حضارى وحرك دواليب العمل والانشاء والتعمير فى كل مكان .

فانك تجد فى مكة والمدينة وجدة مبانى تشاهق السماء وكأنك فى امريكا أو أوربا . ونسق الطرق فى ارجاء المملكة واصبح الطيران احدى الوسائل فى النقل الداخلى . وأصبح التضامن الاسلامى معنى وكان لوجوده فى مؤتمرات القمة العربية والمؤتمرات الاسلامية ثقل أى ثقل .

وبالرغم فى كل ذلك قتله المجرم فيصل بن مساعد بن عبد العزيز الذى تربى فى امريكا وكان صديقا لفتاة لعوب عرفت كيف تستغله بواسطة الصهيونية ليقتل اكبر ملك مسلم .

وكان طالبا فاشلا لم ينجح دراسته وصرف ملايين الجنيهات وهكذا كانت نتيجة الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرة أى مفسدة .

وانى لأرجو وضع لوحات تذكارية على قبور شهداء المسلمين الأوائل والمرحوم الملك عبد العزيز آل سعود والمرحوم الملك فيصل .

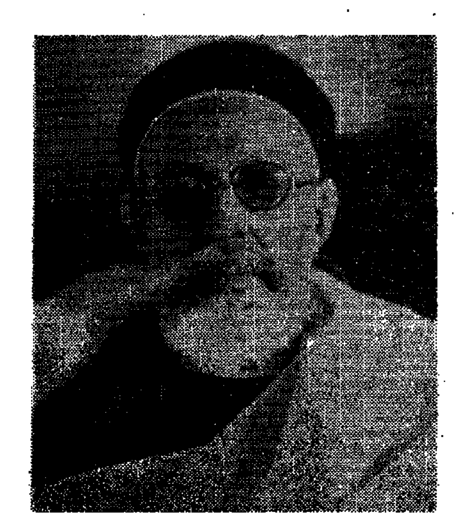
والهدف من ذلك تعريف المسلمين بتاريخ هؤلاء العظماء

وان هدم القبور فى البقيع لم يمنع الشيعة من البكاء على ائمة الشيعة اكثر من الذين يلمسون حائط القبر .

والمملكة العربية السعودية تسير فى الطريق الذى رسمه مؤسسها الملك عبد العزيز آل سعود وشبله العظيم المغفور له الملك فيصل بقيادة جلالة الملك خالد بن عبد العزيز الذى يعمل جاهدا لرفعة المملكة فى داخلها وخارجها أما فى الداخل فاستمرت المنشئات فى الارتفاع والمدارس والمستشفيات فى زيادة العدد والتجارة فى نمو وازدهار .

واما فى الخارج فهو يعمل جاهدا لتوحيد الأمة الاعربية والعمل على راب صدعها . ويعمل أيضا على تضامن الأمة الاسلامية ويده اليمنى فى ذلك سمو الأمير فهد بن عبد العزيز ولى عهده .

السنوسية



الملك
ادريس
السنوسي

محمد بن على السنوسى

من سلالة الادارسة الذى اسسوا الدولة الادريسية ونشأ فى بيت علـــم ودين هو بيت آل سيدى عبد الله الخطـــابى ببلدة مستغانم بالجزائر وولد فى ١٢ ربيع الأول ســـنة١٢٠٢ هجرية (٢٢ ويسمبر ١٧٨٧ م) فى محلة يقال لها الواسطة .

ووالده السيد/على كان يجمع الى العلم الفروسية والرماية ولما توفى تولت تربيته عمته السيدة فاطمة وكانت متبحرة فى العلوم منقطعة للدرس وفى عهده احتل الفرنسيون الجزائر ولقد قال حين سأله احدهم فيم تفكر (انه يفكر فى حالة العالم الاســـلامى الذى لا يعدو عن كونه قطيعا من الغنم لا راعى له على الرغم من وجود سلاطينه والسبب انعدام الغيره الدينية لدى علمائه الذين لا هم لهم الا راحة اجسامهم ولا ضمائر لهم تؤنبهم على اهمالهم ارتماء الوثنيين فى السودان والصحراء فى أفريقيةالغربية فى المسيحية . ولما سألوه ماذا ستفعل قال ســـأجتهد وانتقل واوعظ الناس وكانت النتيجة مراقبته وارتحل الى عين مهدى ولا فواث . وفى اثناء ذلك احتلت فرنســـا الجزائر وحضر محمد بن على السنوسى الى مصر أيام محمد على .. وحضر على الأئمة الشيخ حسن العطار والشيخ الامير القويسنى ولم تطب نفســـه للاقامة فى الازهر فى وقت كانت تسود فيه علاقةالعلماء بكباررجال العثمانيين (محمد على فى ذلك الوقت) والعثمانية اسم ثقيل كان المسلمون يهتفون (اللهم اهلك العثمانيين وأثار القوم معارضة ضده وسافر الى الحجاز وكان يأخذ على الدولة العثمانية عدم الاضطلاع بالمســـئولية الملقاة على عاتقها كدولة الخلافة وكان يرى أن المسلمين فى حاجة الى مصلحين وأن علماءهم خاملين وذهب الى مكة وهى ملتقى كافة المسلمين وهناك درس احوالهم واخذ عن الوهابية حسن العقيدة وكثر مريدوه بعد وفاة السيد احمد بن ادريس وترك مكة الى الأقطار الليبية بعد اقامة زاوية له فى جبل ابى قبيس ورأى رسول الله فى مقامه يأمره باقامة الزاويا فى بلاد المسلمين وابتدأ الدعوه السنوسية.

قامت السنوسية حين قامت دعوتها على يد محمد بن على السنوسى :

١ ـ كلمة الله الحق .

٢ ـ واقامة الزوايا على اساس دينى واجتماعى .

لقد كانت الزوايا مراكز للنشاط الاجتماعى والدينى وتحرم السنوسية التسول وعلى اتباعها ان يتبرع كل فرد من افراد القبيلة التى تبنى فى ارضها الزاوية بحراثة يوم وحصاد يوم ودراسة يوم من ارض الزاوية .

وكل زاوية بها بساتين ولها صلة بالأسواق التجارية .

وقسم فى الارباح للزوايا وقسم للجمعية السنوسية عامة .

ويحضر السنوسيون المقيمون بجوار الزوايا طعامهم لاطعام الاخوان الموجودين بالزاوية وعابرى السبيل الملتجئين الى الزاوية .

واصبحت الزوايا ملاجىء هامة لا نظير لها فى الصحراء .

واختار السنوسيون أغلب زواياهم فى أجمل البقاع وحيث يوجد الماء .

واتبع السيد/ محمد على السنوسى نظاما دقيقا فى انشاء هذه الزوايا وترتيبها حتى غدت كل واحدة منها بمثابة حكومة ذات سلطان عظيم على جميع الأهلين المقيمين فى جهتها . فالزاوية مركز العلم والتعليم .

وشيوخ الزاوية يعلمون الاهالى شئون دينهم ودنياهم ويقوم نظام الزاوية على اختيار مقدم لكل زاوية وهو شيخها القيم عليها والذى يتولى امور القبيلة او الناحية ويفصل فى الخصومات بين أهلها ويلى المقدم الوكيل ويتصل عمله بالشئون الاقتصادية والزراعية والشيخ يقيم الصلاة ويعلم الأحداث القراءة والكتابة ومباشرة عقود النكاح والصلاة على الجنائز .

ويتمتع المقدم والوكيل بسلطة عظيمة يستمدها من الرئيس الاعلى ومؤسس الطريقة . وبين هذه الزوايا رباط متين من المخابرات والمخاطبات فى نظام دقيق تلتقى اسبابه عند الزاوية الكبرى المركزية وهى زاوية الجغبوب

خدمت الزوايا الاسلام وساهمت فى نشر الفضائل ومحاربة الرذائل .

وحملت الاسلام الى قلب افريقيا الغربية والسودان والصحراء الكبرى وكانت تعطى جوازات مرور فى الصحراء فلا يمس حاملها وكانت الزوايا قريبة من بعضها تلبى النداء فورا .

ولقد ترك السيد/محمد بن على السنوسى المعروف بالسنوسى الكبير مكة فى سن الحادية والخمسين وعاد الى مصر وأسس أول زاوية سنوسية فى واحة سيوة وتقدم منها غربا الى برقة فأسس الزوايا فى جالو واوجلة وتوغل غربا فى طرابلس وتونس ينشر تعاليمه بين البدو وتقدمته شهرته الدينية والعلمية فطلب وفادته شيوخ البدو وتنازعوا فى سبيل اكرامه وأسس زاوية فى الجبل الأخضر بالقرب من درنه ودعاها الزاوية البيضاء .

واهم تعاليم السنوسية الدعوة الى الدين الاسلامى الحق والتمسك الشديد بأوامر الله سبحانه وتعالى ونبيه الكريم وأهم ما عنى به مؤسس الطائفة السنوسية الدعوة الى الحياة الدينية الطاهرة فلم يعمل لأن يكون زعيما سياسيا أو صاحب قوة زمنية وكان فى كل اعماله مثالا صالحا للتقوى .

وفى سنة ١٢٧٠ هجرية اسس السيد ابن على زاوية فى الجغبوب وأصبحت مركزا للعلوم والعرفان للطائفة السنوسية .

وقصد بها التوفيق بين قبائل الصحراء المختلفة ونشر راية الاسلام بينهم جميعا ودعاه سكان الكفرة من قبيلة زوى لأن يقيم زاوية هناك ورضوا أن يوقفوا السلب والنهب للقبائل الأخرى وعرضوا ثلث املاكهم فى الكفرة اذا رضى ان يوفد أحد اخوانه ليعلمهم الدين وقد مات ١٢٧٦ هجرية ودفن بالجغبوب وخلفه ولده السيد محمد المهدى — وفى عهده بلغت السنوسية شأوا كبيرا وانتشرت زوايا السنوسية فأصبحت ٣٨ زاوية فى برقة ، ١٨ زاوية فى طرابلس و ٢٠ زاوية بمصر وقدر ان عدد من انضم الى طائفة السنوسية واقروا بزعامتهم الدينية للمهدى عندما خلف أباه كان يتراوح بين ١ر٥ ، ٣ ملايين .

ولقد نقل مقر قيادته فى الجغبوب الى الكفرة واقام بئرا فى يشر وبئرا فى سارة فى الطريق الموصلة من الكفرة الى تكرو .

واسس زوايا فى مراكش وتونس .

وصل الى جرو جنوب الكفرة ومات هناك ونقل جثمانه فى تابوت يسمونه التخت الى التاج فى الكفرة .

وخلفه السيد أحمد الشريف كوصي على ادريس أكبر أبنـــائه وجمع السلطتين الدينية والزمنية بعد أن هاجم الايطاليين فى برقة وطرابلس .

ولقد عاب عليه البعض محاربته للطليـــان بحجة أن ألزعيم الدينى لا يمكن منازعته فى زعامته والقضاء على مكانته .

اما ان خرج يطلب السلطة الزمنية فانه يضع هزائم حربية تكفى القضاء على سلطته وتدمير شهرته .

وانى لأعتبر ذلك مفخرة من مفاخره وان كان قد هزم وسافر الى تركيا ثم الى مكة .

ولقد سار الملك ادريس السنوسى على ذات الطريقة اذ حارب الطليان حتى ذهب الى مصر يقود الجهاد منها فى حالة نفى اختيـــارى وبقى بعده المجاهدون ولسنا هنا فى صدد الحروب التى قام بها السنوسيون ضـــد الطليان وضد الانجليز .

بل وضد الدولة العثمانية ولكنهم كانوا جميعا فى حالة دفاع عن النفس وعن الدين .

ولقد وضعت الحكومة العثمانية مع ايطاليا صلحا بشأن طرابلس سنة ١٣٢٠ هجرية لم يرض السنوسيون بهذا الصلح واستمرت الحرب فى برقة ضد ايطاليا .

ولقد بايعت طرابلس السيد الأمير محمد ادريس السنوسى ليكون حاكما عليها فى زمن الطليان ولكن ذلك كان حبرا على ورق فى عهد الطليان .

ولقد استمر عمر المختار يحارب الطليان حتى أسر وقتل بالرغم من انشقاق هلال السـنوسى . والرضـا السنوسى والحسن ابن الرضـا . ودعوتهم اياه لالقاء السلاح وتسليم نفسه الى الطليـان لكنه رفض ذلك لتمكن تعاليم الدين فى نفسه ولانه كان يعتبر ان الولى الشرعى لليبيا هو الملك ادريس السـنوسى وهو صـاحب الكلمة الأخيرة فى أى صلح مع الايطاليين .

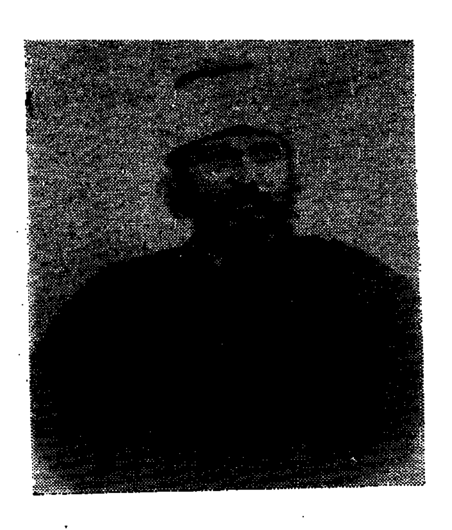
ولقد قام الملك ادريس مع المهاجرين الليبيين فى مصر بمساعدة الحلفاء فى فتح ليبيا واقرت الأمم المتحدة المملكة الليبية الجديدة بزعامة الملك ادريس وهو رجل تقى ورع .

قامت السنوسية فى برقة بدور يشـــبه الدور العظيم الذى كان فيه السيد/احمد الشريف السنوسى مثلا من امثلة بقية الصحابة والمجاهدين واخرجت رجالا ابرارا من أمثال عمر المختار فى برقة وامثال الشيخ سليمان البارونى ومحمد شوقى والشهيد محمد بن عبد الله القيرنيقى وجهـــاد السنوسيين ضد الطليان فى برقة وليبيا يحتاج الى مؤلفات عدة ولقد تخلت عنهم الدولة العثمانية فاضطروا الى مهادنة الانجليز كيلا يقعوا فريسة بين الانجليز فى مصر والطليان فى لبيبيا .

واستمر السيد ادريس السنوسى على مبدئه .

وان المحاولات الأخيرة فى ليبيا لطمس معالم السنوسية محاولات فاشلة فستذهب المحاولات والداعون اليها وستثبت السنوسية الحقيقية مرفوعة الرس ،وفورة الكرامة .

جمال الدين الافغانى



ن

الأفغـــانى

السيد/جمال الدين الافغانى

١٨٣٩ – ١٨٩٧ ميلادية

ولد جمال الدين الافغانى فى قرية اسعد اباد التى تبعد عن كابل ٢٥٠ كيلو مترا ويمتد نسبه الى السيد على الترمذى المحدث المشهور ويمتد الى الحسين بن على رضى الله عنه .

ولد سنة ١٨٣٩ ولقد حفظ القرآن الكريم وحفظ كثيرا من احاديث الرسول وتلقى علوم الدين على يد الشيوخ فى قرية أسعد آباد .

وسافر الى الهند وتعلم اللغة الانجليزية هناك . لقد رأى جمال الدين الأفغانى بلاد الأفغان وفارس وهما على اعنف ما يكون من التنازع .

وكذلك كان الحال بين الفرس والترك من ناحية العراق وبحر فزوين بايعاز من الروس وينتهى القتال بفائدة للانجليز أو للروس وخسارة للدول الاسلامية .

وهنا تكونت فكرة جمال الدين عن الجامعة الاسلامية ولم يكن يريد بها توحيد الحكومات الاسلامية وانما كانت جامعة تحتم الاتحاد ضد مطامع المستعمرين ، ولقد عاش طول عمره لا يبحث عن الكساء والطعام والمأوى ولا يفكر فى المرأة فلقد حبس نفسه عن الشهوات كلها وذهب الى مكة ، ليرى مختلف الأجناس التى تحج الى بيت الله الحرام وليطوف حول الكعبة يردد مع المسلمين لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك وطاف حول الكعبة فى ذات المكان الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى خرج منه الضوء الذى اسقط اكبر امبراطوريتين فى ذلك الوقت فارس وروما .

وعاد بعد ذلك الى كابل وقامت ثورة ضد ملكها محمد أعظم وذهب الى الهند فى طريقه الى القاهرة وتردد على الجامع الأزهر أربعين يوما ثم سافر الى الاستانة فى عهد السلطان عبد العزيز ولاقى الصدر الأعظم على باشا وعينه عضوا فى مجلس المعارف الأعلى واقترح اقتراحا لتعميم المعارف يخفض بعض أرزاق شيخ الاسلام (حسن فهمى) مما أحفظ قلبه . وألقى محاضرة عن الحث على الصناعات وأراد شيخ الاسلام ان يجد كلمة تدل على كفره .

وحصلت مناقشات أجرت الحكومة على أثرها أمرا الى السيد/جمال الدين بمغادرة الاستانة .

وحضر الى مصر فى ٢٣ مارس سنة ١٨٧١ ميلادية والتقى برياض باشا رئيس الوزراء فى عهد الخديوى اسماعيل وأجرى عليه عشرة جنيهات كل شهر واتخذ بيتا فى خان الخليلى وأصبح بيته منتدى العلماء والأدباء وتتلمذ عليه محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم اللقانى وابراهيم الهلباوى .. وغيرهم وكان يدرس العلم فى البيت والسياسة فى قهوة البوسطة بميدان العتبة الخضراء وانشأ محفلا ماسونيا فى مصر كان الأمير توفيق بن اسماعيل أحد أعضائه واستبشر جمال الدين الأفغانى بولايته ولما تمكن توفيق أدار له ظهر المجن وقبض عليه وهو عائد من قهوه البوستة وسيق الى مركز الشرطة وتابعه أبو تراب . وارسل الى السويس وذهب الى الهند سنة ١٨٧٨ ميلادية واقام فى مقاطعة حيدر آباد الدكن ، وكتب رسالته المشهورة فى الرد على الدهريين .

وعندما قامت الثورة العرابية فى مصر وهى التى دعا اليها جمال الدين حين كان موجودا بمصر الزمته حكومة الهند الانجليزية بالاقامة فى كلكتا واقامت حولها الجاسوسية ولما احتلت بريطانيا مصر سمحت له بالارتحال الى اى بلد فاختار الذهاب الى اوربا وذهب الى لندن فعلا ثم غادرها الى باريس وأقام بها ثلاث سنوات وانشأ بها مجلة العروة الوثقى بالاشتراك مع الشيخ محمد عبده وحوربت حتى ماتت بعد أن الهبت الشعور وأجريت له أحاديث مع الفيلسوف رينان فى العلم والاسلام وفيها اثبت ان الاسلام ينصر العلم .

وكتب فى الشرق ضد الحكم الأجنبى فقد كتب فى الجامعة الاسلامية ـ والرابطة الشرقية والمسألة المصرية والهندية وعالجها كلها فى حماسة وحاول تحريك الشعوب والحكومة دون فائدة ولكن تأثرت بها طبقة قليلة من المستنيرين كانوا النواة الأولى للحركة الوطنية وسافر الى لندن سنة ١٨٨٥ ومنها سافر الى روسيا وبقى بها ٤ سنوات واستطاع اقناع القيصر بحسن معاملة المسلمين وطبع القرآن لأول مرة فى روسيا وجرت له أحاديث: معه ثم طرده القيصر بعد مناقشة معه . ثم سافر الى ايران سنة ١٨٨٩ بدعوة من الشاه وطلب منه الذهاب الى اوربا فمنعه الشاه وذهب الى مقام عبد العظيم وهو مريض ومقامه حرم من دخله كان آمنا ومكث فيه سبعة شهور . ثم أرسل له الشاه خمسمائة فارس قبضوا على جمال الدين

وارسلوه الى حدود المملكة العثمانية . قدم الأفغانى الى البصرة وبقى بها بضعة شهور ثم سافر الى لندن وانشأ بها جريدة سماها (ضياء الخافقين) خصصها للطعن فى الشاه ،، وظل فى لندن ٨ شهور وبعث له السلطان عبد الحميد رسالة على يد سفيره فى لندن رستم باشا يستدعيه اليه فأجاب بشرط السماح له بالعودة الى أوربا فى أى وقت شاء وقدم الاستانة سنة ١٨٩٢ وأصبح أسير عبد الحميد حتى مات .

عاش جمال الدين الأفغانى قلقا مهددا طول عمره وهو يتنقل من بلد الى بلد ينشر فيها افكاره الداعية الى الحرية والداعية الى جامعة اسلامية تعمل لخدمة الاسلام والمسلمين وكانت تنتهى اقامته فى أى بلد بالطرد منها، واستمر فى دعوته حتى وصل الى لندن وكانت الحكومة الانجليزية من اعرف الناس به وبأفكاره ولا شك فى نظرى أن الانجليز هم الذين اوعزوا للسلطان عبد الحميد أن يدعوه الى الاستانة ليوضع فى قفص من ذهب .

وقد نهج منهجا مغايرا لما سلكه ألمصلحان الآخران فأخذ على عاتقه نشر الدعوة لاحياء الخلافة فى العالم العثمانى وصار يدعو الشيعة لقبولها وكان من رأيه ان الخلافة القوية يمكنها أن تحمى أقطار المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وفاته ان الجامعة الاسلامية ممثلة فى الخلافة العثمانية يمكن أن تكون ذات فائدة للمسلمين وللاقطار الاسلامية لو انها كانت مستندة الى الشورى والى القرآن الكريم .

اما وانها كانت ممثلة فى شخص السلطان عبد الحميد الذى كان أسوأ مثل لامير من امراء المسلمين فكان لا يمكن أن تنجح .

وكانت الدول الاسلامية اذ ذاك ولكل دولة طريقتها فى الحياة لا تقبل أن تكون تابعة للدولة العثمانية التى كان يمثل فيها البطش والجبروت والجهل فى شخص يدعى أمير المؤمنين .

وانى بعد استقرائى وتتبعى للجامعة الاسلامية أرى ان جمال الأفغانى قد نجح وهو بعيد عن مخالب السلطان عبد الحميد وكان بمفرده ظاهرة لا مثيل لها فى العالم الاسلامى .

لقد نجح منفردا فى استنهاض الهمم وتنوير الأذهان بأحاديثه وخطبه وكتاباته فى أحياء الشعور بحقيقة الاسلام وتقدميته فى البلاد الاسلامية التى مر بها وهى الأفغان والهند وفارس ومصر فنفض عنها تراب الأجيال .

وكان أكبر أخطائه انه كان معتزا بنفسه واثقا انه سيتمكن من الذهاب الى الاستانة والخروج منها .

وكان الانجليز أبر به من السلطان عبد الحميد فى هذا الموقف .

وكانوا أدهى منه اذ تمكنوا بواسطة جواسيسهم من التأثير على عبد الحميد فدعاه وحجزه رغم أنفه فى دار تسمى دار الخلافة حتى مات أو سم .

وللاسف اقتصر نشاطه فى آخر أيامه للدعوة لخلافة آل عثمان الواهية فى شخص عبد الحميد الثانى ظل الله على أرضه استغفر الله ظل الشيطان على الأرض .

وتقابل مع عبد الله نديم بعد أن ضاقت عليه الأرض بما رحبت بعد نفيه من يافا وسافر الى الاسكندرية ليقابل الغازى مختار باشا المندوب السلطانى الذى قال له كلاما كثيرا جاء ضمنه : (١)

وكما ترى ليس من السهل أن أصنع لك شيئا كثيرا ولكن لو وافقت على السفر الى الاستانة لتنزل فى كنف السلطان نفسه فقد يكون من الممكن أن نعالج هذه المسألة .. وانت تعرف ..

ولم يرد نديم وواصل الغازى مختار حديثه بعد لحظة صمت وكأنه وجد التبرير .

وهناك ستلتقى بصديقك القديم الشيخ جمال الدين و ..

وخفق قلب نديم ليس فقط لأنه سيلتقى مرة أخرى بصديقه واستاذه بل لأنه كان يعرف نوع الحياة التى بقيت فى انتظاره وكان يعرف ان للسلطان طريقته فى التخلص من خصومه . وحين لا يجدى التهديد فقد يجدى التقريب وفى الحقيقة لم تكن امام نديم أية فرصة لأى اختيار وكانت نهاية الجولة التى قام بها الشيخ جمال الدين فى أوربا تجعله لا يفكر فى أن يبدأ حديثا انتهى منه استاذه القديم ومن يدرى فقد يسفر لقاؤهما هناك عن شىء ثم انه سافر الى الاستانة .

وها هو الآن يلتقى برجل آخر من رجال التاريخ العظام ، كان قد عرفه منذ سنين . وتآمر معه على أن يغير وجه الحياة الذى لم يكن يروق لهما فى ذلك الوقت ! وكان بمقدور نديم ان يضحك فى مرارة حين يرى الحياة وهى تتآمر ضدهما وتنجح المؤامرة هذه المرة !

ولكن رؤيتك يا نديم رغم كل شىء ، متعة الروح الحزينة ، ان الأيام تمضى يا بنى بسرعة غريبة ، ولا تتعثر سوى أحلامنا !

---

(١) حياة عبد الله نديم (العودة الى المنفى بقلم الاستاذ أبو المعاطى أبو النجا).

كان الشيخ جمال الدين هو الذى استقبله بهذه الحرارة الملتاعة فأخرسه بعواطفه الجياشة كما كان يخرسة بعقله الحاد ، لقد اكتفى نديم بعناقه ، وفكر هو يضمه الى صدره ان الرجال العظام يهرمون بنفس الطريقة التى يهرم بها غيرهم ، وتغلبهم العواطف ، وقد يغلبهم اليأس !!

ها هما معا بلا عمل ، بلا أحلام صغيرة أو كبيرة يتأملان وجه الحياة حين يكون كل شىء مباحا ومتاحا عدا الحرية والأمل .

ان متعة الحديث بين رجلين فى مثل عبقرية الشيخ جمال الدين ونديم يمكن ان تكون من متع الحياة النادرة ، ولكن الحديث لا يكون كذلك الا حين يتخلل الأعمال العظيمة ، حين ينبثق منها ، ويراوح بينها ، وحين لا يكون هناك سوى مجرد الحديث ، سوى مجرد التعليق على اشياء قاموا بها فى الماضى ، سوى مجرد التذكير والتدبر ، فقد تظل متعة هذا الحديث من نصيب من يسمعونه فحسب ، ولكنه يسبب لأصحابه عذابا يضاعفه انه لا تزال لديهم القدرة على العمل دون حريته ! !

وكان هذا النوع من العذاب هو كل ما تبقى لهذين الرجلين ، وكان قد تبقى لهما شىء آخر ، أن يشهدا عن قرب تلك الحياة الغريبة التى كان يعيشها رجل آخر من اغرب رجال التاريخ ، هو السلطان عبد الحميد الذى بدأ حياتهما بالثورة عليه ثم انتهيا بالعيش فى رحابه !!

كان رجلا ذكيا الى حد العبقرية ، ومتخلفا الى حد الجمود والسخف ومثل هذا الازدواج الغريب يحدث احيانا حين يقترن الذكاء بالسلطة ، فيستغنى بها عن العلم والثقافة .

ورجل هذا شأنه يصبح عبئا ثقيلا على الحياة ، ذلك ان الشعوب تعانى من ذكائه وتخلفه معا ، فذكاؤه لا يثمر سوى التفوق فى الخداع والتزييف، وتخلفه يسمح لمن هم على شاكلته ان يجدوا فى حاشيته أرفع مكان ! وان يجدوا من النفاق أبرع وسيلة . وفى حاشيته حرب لا تهدأ بين من هم على شاكلته ومن ليسوا كذلك ومن سوء حظ الشعوب ان يكسب هذه الحرب من هم على شاكلة السلطان .

وحين التقى نديم بصديقه الشيخ جمال الدين فى الاستانة وجده يخوض حربا من هذا النوع ، فقد كان فى حاشية السلطان رجل آخر اسمه أبو الهدى الصيادى ، أصبح بمرور الوقت سلطانا آخر ، وربما كان هذا الرجل يبز السلطان فى مواهبه ، واذا كان السلطان قد وصل الى عرشه

عن طريق الوراثة ، فقد وصل أبو الهدى الصيادى الى مركزه فى الحاشية عن طريق مواهبه وحدها !

وكانت أخطر مواهبه انه يتعامل مع نواحى الضعف فى الخليفة وفى البشر جميعا ، ولم يكن يستعمل فى حربه ضد خصومه سلاحا من خارج أنفسهم ، كان يعرف دنيا القلب البشرى الغامض يعرف اختلاج القلب الأبدى بين الرغبة والرهبة بين الخوف والثقة ، وكان يعرف أن الذاكرة هى أضعف شىء فى الانسان ، وان قدرة الانسان على نسيان الاساءة لا تعادلها الا قدرته على نسيان الاحسان .

وكان يعرف كيف يخيف السادة بالدهماء ، والدهماء بالسادة وبالطبع كان يعرف الخطر الذى يهدد مثله من وجود مثل الشيخ جمال الدين فى حاشية السلطان ، فلم يتردد فى أن يعلن ضده الحرب أو بعبارة أدق يثيرها ولكن السلطان الذى كانت امبراطوريته تتمزق انذاك بين مخالب الدول الأوربية دون أن يكون قادرا على انقاذها ، كان يتسلى بعمل آخر ، بهذه الحروب الصغيرة التى تنشب بين أفراد حاشيته ، انها تصبح بمعنى من المعانى وقاية له ، وبدلا من أن تتجه أفكارهم ضده .

فكان يتيح للشيخ جمال الدين أن يعرف من دسائس أبى الهدى ما يجعله يتصدى للدخول معه فى معارك لا تنتهى ، ولا تتكافأ ، لاختلاف الأسلحة والمقاصد .

وكان ذلك كله ملهاة جديرة باحد ملوك الزمن الغابر حين لا يعود ملكا حقيقيا ، ولا رجلا عاديا تشغله هموم البشر .

وكان هذا كله بعض ما وجده نديم بعد ان استقر به المقام فى الاستانة وحين اخذ مكانه الى جوار الشيخ جمال الدين فى حاشية السلطان عبد الحميد !!

الامير عبد الكريم الخطابى



الأمير عبد الكريم

الخطـــــابى

الامير عبد الكريم الخطابى

فى كل بلد عربى وكل بلد اسلامى نجد نوعا من الكفاح الاسلامى المعاصر وفى نهاية الربع الأول من القرن العشرين ظهر الأمير عبد الكريم بطل الريف وهو يهزم اسبانيا بجيوشها الضخمة هزيمة نكراء مما يضطر فرنسا ان تساعدها خوفا من عدوى حركته فى تونس والجزائر ومراكش وخوفا من اقتلاعهما نهائيا من مستعمراتهما فى شمال افريقية .

قال الأمير عبد الكريم عن نشأته (١) .

نحن من بلدة اجدير ومن قبيلة (رودباغل) فى الريف وننتسب الى محمد عبد الكريم الحجازى الأصل .

وقد نشأ أجدادى فى بلدة ينبع بالحجاز وغادرت موطنها الى مراكش منذ الف سنة فى القرن الثالث الهجرى وبذلك تكون البلاد الواقعة بين البحر ونارجست هى موطننا منذ الف من السنين .

لقد توفى والدى سنة ١٩٢٠ وأمضينا حداثتنا فى أجدير وكان والدى وعمى يتناوبان تعليمى انا واخى .

ثم ذهبت بعد ذلك الى تطوان ومنها الى فاس حيث قضيت سنتين فى مدرسة العطارين لاتأهب لدخول الجامعة الكبرى فى القيروان .

كلفنى والدى بمهمة هى تعريف حكومة المخزن بسياسة الريف وبأغراضه وانه مخلص لمولاى السلطان عبد العزيز سلطان مراكش .

وكانت حكومة المخزن ترى ضرورة التخلص من الثائر بو حمارة وكان والدى سياسيا وقائدا حربيا وأخذت عنه الكثير من خططه وقد تمكن من هزيمة بو حمارة الذى كان يعمل ضد المغرب .

---

(١) كتاب بطل الريف الامير عبد الكريم الخطابى اعارنى اياه الاستاذ الفاضل عبد الراضى محمد ابو شوك .

ولقد أخذت أسبانيا تمد يدها الى الريف وذهبت الى مليله وعينت معلما بها ثم قاضيا بها ثم قاضى القضاة .

وصدر امر السلطة الأسبانية بسجنى نزولا على رغبة المارشال ليوتى لعلاقة بينى وبين فرنسسكو باول من اصل المانى والحقيقة ان اسبانيا كانت على صلة بالمانيا وكان رجالها يهربون السلاح الى عبد المالك الثائر ضد فرنسا .

ولقد حاولت الهرب وكسرت ذراعى ثم أفرج عنى .

رفض والدى العمل مع عبد المالك .

أفرج عنى ورجعت قاضيا للقضاء فى مليله مدة سنتين .

وفى سنة ١٩١٩ كان الأسبان يعملون ضد اهل الريف المسلمين وكانوا يفتكون بالمحاربين ويرفعون رؤوسهم على اسنة الرماح مزهوين .

تركت وظيفة قاضى القضاء وترك اخى دراسته فى جامعة مدريد واثاروا الدعاية ضد والدى وقبضوا على أفراد قبيلة روربياغل وحرقوا الاكواخ . ونظم والدى الثورة ضد الاسبان .

وجمع رجاله أمام تفريست ووقف والدى ٢٢ يوما امامها ثم سقط بعدها مريضا ويقال ان والدى مات مسموما .

وعين الجنرال سلفستر قائدا على مراكش الأسبانية .

وعرضت أسبانيا ٢٠ مليون بست على عبد الكريم ليحارب فرنسا ولكنه رفض .

ولقدطردت الأسبان من دارا بارا بثلاثمائة رجل وتقاطر على أهل الريف مؤيدين .

وهزمنا الجنرال سلفستر فى اتوالا وخسر ٣١٤ قتيلا وخسرنا ١٧ رجلا . وأسرنا ٧٠٠ رجل وقتل الجنرال سلفستر نفسه ثم قامت معركة (عريت) سقط فيها الجنرال نافاروا اسيرا هو وبعض ضباطه .

ونودى بعد ذلك بالامير عبد الكريم اميرا على الريف .

معارك دابه (١٠٢٢ — ١٩٢٣) :

أرسلت أسبانيا جيشا وراء جيش لمحاربة عبد الكريم وقاتلت جيوشها حتى ارتدت الى مليله ثم أرادت أسبانيا مفاوضة عبد الكريم فرفض الجنرال برانجر وذهب ليحارب بمقدار ٥٠،٠٠٠ مقاتل الى الحسيمة .

وهزم جيشه وأصيب الجنرال برانجر نفسه بجرحين خطيرين فى صدره وقتل من جيشه ٥٠٠٠ مقاتل وأسر الريفيون ٣٠٠٠ وغنموا ذخيرة ومعدات لا تحصى .

وفى ٧ يونيو ١٩٢٣ هاجم الريفيون مدينة داغيت وهزموا الأسبان .
وأرسل الأسبان الجنرال بونازا الى مراكش وهزمه ابطال الريف .
وفى سنة ١٩٢٥ تقدمت فرنسا للحرب .

لقد نظرت القبائل الموالية لى الى تقدم الفرنسيين الى جهات قبيلة بنى زروال والى جهات نهر ورغه كاغلان وطلبـــوا منى الدفاع عن الريف ورد الفرنسيين وحاربت فرنسا ودمرت كثيرا من مراكزها واخترق الريفيون خط الدفاع الفرنسى فى أماكن عدة من فاس .

وصل المسيو ينلفه والمسيو لوران الى الرباط وتحـادثا مع المارشـال ليوتى بعد هزيمة الفرنسيين .

يوليـو ١٩٢٥ :

ادعت فرنسا التحرش بها حتى تهـاجم الجيوش الفرنسية الأمير عبد الكريم بجميع أنواع الأسلحة .

وسلم الأمير عبد الكريم نفسه الى فرنسا .

وفى يوم ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٦ حملت الباخرة الأمير عبد الكريم واهله والأمير عبد السلام الخطابى عم الأمير واهله الى جزيرة رينيون فى المحيط الهندى شرقى مدغشقر .

ونزلوا فى منزل أشبه بالقلاع الحصينة ومنع عنهم الجرائد والمجلات .
وقرأوا كتب التفسير والحديث والتصوف .
واستمروا عشر سنين .

ولمـا اطمأن حاكم الجزيرة الى عظيم شخصيتهم ونفسيتهم طلب من فرنسا التخفيف من قيود الأسر .

وسمح لهم بالتنقل فى الجزيرة ثم اقطعوهم قطعة ارض ليزرعوا فيها زهورا وتاجروا مع بعض التجار الهنود فيها .

وفى عام ١٩٤٧ اعلنت فرنسا للعالم كله اطلاق سراح الأمير عبد الكريم ووصلت الباخرة الى بور سعيد فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤٧ فى طريقها الى باريس ونزل منها الأمير الى مصر لاجئا وعاش فيها بقية حياته .

لقد اراد عبد الكريم أن يبتعد عن فرنسا وكان مقدرا تماما انه لا يمكنه باسلحته الخفيفة أو الثقيلة التى أخذها من الأسبان ان يحارب فرنسا التى هزمت المانيا مع الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى واسبانيا التى جندت له جميع مواردها وهزمها هزيمة نكراء .

ولكن التعصب الصليبى الأعمى الذى اراد أن يقضى على الأمير عبدالكريم قبل ان تعم مبادئه جميع البلاد الاسلامية الرازحة تحت أعباء الاحتلال .

لذلك ادعت فرنسا ان الأمير عبد الكريم اعتدى على حدود مراكش الفرنسية ليكون وسيلة للهجوم عليه بجيوش فرنسا المجهزة بأحدث الأجهزة الميكانيكية .

وفى اواخر سنة (١٩٢٥) كان لدى المرشال بيتان ٨٠٫٠٠٠ جندى عدا فرق الفرسان وجند المدفعية وغيرهم مما كان يزيد عدده عن ١٠٠٫٠٠٠

عمدت فرنسا الى معاكسة عبد الكريم بكل الطرق فنشط سلاح الجاسوسية التابع لفرنسا واخذ تحت شعار صداقة زائفة بنثر الذهب ويبشر بمحبة الفرنسيين وعطفهم ويستأجر الخونة والمترددين ودعاة الهزيمة فى كل مكان حتى وجد المجاهدون أنفسهم وسط حلقة من تدبير الفرنسيين فكان المجهود المبذول لقمع الفتنة والدسيسة والانتصار على الخيانة اكبر من المجهود المبذول فى الحرب ومقابلة العدو ولقد احتلت فرنسا ورغه فى الجنوب .

بعد ان أغلقوا جميع الطرق فى الشرق والغرب والشمال لأنها كانت المتنفس الوحيد لتسويق الحاجيات الضرورية .

واعد الفرنسيون ثورة فى الريف اخمدها عبد الكريم .

واما احتلال ورغه فكان اشد على الوطنيين اذ احكم الحصار على المجاهدين .

وثبت ان الاستعمار والصليبية ملة واحدة .

ووحدت جيوش الدولتين خططهما .

حتى سلم الأمير عبد الكريم نفسه .

هذا درس وعظة لهؤلاء الذين يصادقون أعداء دينهم وما دروا انهم يحفرون قبورهم بايديهم وانهم محتقرون من أسيادهم ونسوا قول الله سبحانه وتعالى .

(ولا تؤمنوا الا لمن اتبع دينكم) .

الباب الثالث

الاحتلال الايطالى لليبيا

الفصل الأول

احتلال ايطاليا لطرابلس

لقد اختارت ايطاليا الوقت المناسب لاحتلال طرابلس بعد ان سحبت تركيا معظم قواتها النظامية واهملت وسائل الدفاع عنهـا وكان الصدر الأعظم ابراهيم باشا حقى فى ذلك الوقت متـواطئا معها وكان متزوجا من ايطالية وشغوفا بلعب الورق مع الطليـان وشـغوفا بالرشوة وانت ايطاليا تؤكد دائما عـلى لسـان وزير خارجيتها الماركيز دى سان جليانوا فى ٩ يونيو ١٩١١ قول احـد وزراء ايطاليا السابقين) ان المحافظـــة على كيان الامبراطورية العثمانية امر واجب الاحترام ومقدس) .

ولقد فاجأت ايطاليا تركيا بانذارها فى ٢٦ سـبتمبر ١٩١١ الذى جاء فيه ان تركيا كانت حتى الآن تبدى عداءا دائما نحـو الحـركة الايطالية الشرعية فى طرابلس وبنى غازى (١) .

حتى أصبحت الحالة فى طرابلس الغـرب ، عظيمة الخطورة بسبب التحريض العام ضد الرعايا الطليان . « لكل ذلك ، ولمـا باتت لا تجـدى نفعا اية مفاوضات للوصول الى تسوية ودية او اعطاء ايطاليا اية امتيازات من اجل انهاء هذه الأزمة المختلفة » ، فقد رات الحكومة الايطالية نفسها ـ كما قالت ـ مرغمة على المحافظة على شرفها ومصالحها ولذلك قررت أن تحتل طرابلس وبنغازى احتلالا عسكريا ، وهى تنتظر ان الحكومة السلطانية تصدر أوامرها حتى لا تصادف ايطاليا فى الاحتلال معارضـــة من رجال الحكومة العثمانية والا تجد صعوبة فى انفاذ ما تريد انفاذه ، وبعد ذلك تتفق الحكومتان على تقرير الحالة اللازمة » ولمـا كانت وزارة حقى باشا غير

(١) السنوسية (دين ودولة) الدكتورمحمد فؤاد شكرى المؤرخ العظيم .

مستعدة للحرب ، ولا يزال يرجو أعضاؤها الوصول الى تسوية سلمية مع ايطاليا على أساس اعطاء هذه الدولة جميع ما تطلبه من امتيازات اقتصادية « لا يحد من مداها سوى ما يتطلبه شرف الامبراطورية (العثمانية) ومصالحها العليا والمعاهدات السارية » ، فقد أرسل الباب العالى جوابه على هذا الانذار فى ٢٩ سبتمبر ، وكان جوابا يحمل طابع الذل والمسكنة ، تنصلت فيه الحكومة العثمانية من مسئولية أية أعمال « كانت نتيجة الحكم الماضى » ونفت أنها تريد تعطيل المصالح الايطالية ، وطلبت فتح باب المفارضة لارضاء رغائبها . وغنى عن البيان ان هذا الجواب لم ينل موافقة ايطاليا ، فذهب ممثلها الى الصدر الأعظم وسلمه فى مساء اليوم نفسه اعلان الحرب ، وأصدرت الحكومة الايطالية بلاغا آخر فى روما فى الوقت نفسه يعلن قيام الحرب بينها وبين الدولة العثمانية وفى يوم ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١١ م نشرت جريدة (التيمس) الانجليزية بيانا من مصدر ايطالى مسئول يسرد الأسباب والوقائع التى تذرعت بها ايطاليا لاعلان الحرب على تركيا ، ومنها اهانة الراية الايطالية ، وتعطيل نشاط الايطاليين التجارى والعلمى فى ليبيا ، ومساوىء نظام الحكم العثمانى نفسه فى عهد الاتحاديين ، هذا عدا حوادث القتل والاعتداء التى ذهب ضحيتها كثيرون من الطليان وكذلك نشرت التيمس فى اليوم نفسه بيانا من مصدر تركى مسئول عن أسباب هذه الأزمة ، وفى يوم ٣ أكتوبر ١٩١١ أطلق الاسطول الايطالى قذائفه على ميناء طرابلس وبذلك بدأت الحرب الليبية ـ الايطالية

أحدث الاعتداء الايطالى دويا عظيما تردد صداه فى أنحاء الامبراطورية العثمانية والعالم الاسلامى ، وعندما أعلن الطليان الحرب على تركيا اجتمع فى اول اكتوبر عدد كبير من اعضاء مجلس المبعوثان العثمانى ، وانابوا عنهم وفدا قابل السلطان ، فالقى فيهم خطابا استنكر فيه اعتداء ايطاليا الفظيع ، وذكر انه « عندما زار ادرنة وسالونيك فتش على الاستحكامات بهما واحب ان تكون جميع استحكامات السلطنة على شاكلتهما من المنعة ، ولكن امر طرابلس مع ذلك قد اهمل باهمال وعدم يقظة وزارة حقى باشا » وكان السلطان محمد رشاد قد أراد أن يجمع مجلس المبعوثان فعارضته وزارة حقى باشا التى كانت مسيرة بارادة جمعية الاتحاد والترقى وعظم استياء السلطان من الوزارة وتألب الرأى العام التركى ضدها حتى اضطر حقى باشا الى الاستقالة ، وتألفت وزارة جديدة كان أول ما عنيت به ارسال الكتب الى حكومات أوربا تطلب توسطها لفض النزاع القائم وحقن دماء البشر ، كما ابرق السلطان فى ٢ أكتوبر الى ملك انجلترا وامبراطور المانيا

يطلب اليهما التدخل ، كما بعث بذلك أيضا الى رئيس الجمهورية الفرنسية وبقية الملوك والقياصرة ولكن من غير جدوى ، اذ اعتذرت كل هذه الحكومات عن التدخل . وعندئذ افاقت الدولة العثمانية من غفوتها وظهر جليا انه عليها وحدها فقط تقع مسئولية رد اعتداء الطليان والدفاع عن املاكها .

وفى هذه الأثناء كان هياج الخواطر فى العالم الاسلامى قد بلغ ذروته . فأبرق امام اليمن (جلالة الامام يحيى حميد الدين) عن « استعداده للقيام بمائة ألف جندى تحت قيادته بين محارب ومتطوع » وأبرق أمير مقاطعة نجد (الأمير عبد العزيز بن سعود) يقول « ان مقاطعة نجد تفتخر اليوم من كل جوارحها بأنها مقاطعة عثمانية .. وانه وجميع القبائل التى تحت أمره مستعدون للزحف فى ظل الأعلام العثمانية الى حيث تأمرهم الدولة العلية » وجاء كثيرون من أبناء البلاد الاسلامية للتطوع فى الجهاد فى طرابلس الغرب ضد ايطاليا المعتدية .

وزاد عدد هؤلاء المتطوعين تدريجيا حتى بلغوا فى بداية العام التالى (١٩١٢) حوالى الستة عشر ألفا وتألفت لجان الاعانة لمساعدة المنكوبين وأرسلت البعثات الطبية الى ميادين القتال فى طرابلس وبرقة . وكان المصريون من أسبق الشعوب التى بذلت المعونة للمجاهدين العرب فى لبيبا، فتشكلت اللجان لجمع التبرعات ، وكانت أهمها اللجنة العليا التى تأسست بعد وقوع الاعتداء الايطالى بأيام قليلة (١٤ أكتوبر ١٩١١) برئاسة الأمير عمر طوسن ، كما تألفت جمعية الهلال الأحمر برئاسة المرحوم الشيخ على يوسف ، وقررت انشاء عدة مستشفيات ميدان ، ثم سافرت البعثة الاولى فى ٧ نوفمبر ، وتوالى ارسال البعوث الطبية بعد ذلك .

وكانت أهم الأسباب التى دعت آلاف المسلمين الى التطوع فى صفوف المجاهدين قوة الرابطة التى دفعت بهذه الشعوب الاسلامية الى التكاتف والتساند فى وجه العدو المعتدى وعلى الخصوص عندما وقع هذا الاعتداء على قطر من اقطار دولة الخلافة الاسلامية وكان المسلمون متحفزين وقتئذ للانتصار دائما لدولة الخلافة ويقبلون على الجهاد من أجل المحافظة على كيانها لأنهم توقعوا من سقوطها وانحلالها ضياع الكلمة وضعف القوة ، ولم

يكن العرب قد استعدوا بعد لانشاء دولة عربية متينة الدعائم لتكون مركزا للامامة العظمى ، كما كان يخيفهم ويزعجهم شبح الاســـتعمار الأجنبى ويشفقون على قطر عربى شقيق من الوقوع فى براثنه . أضف الى هذا ان الايطاليين سرعان ما أظهروا فى أثناء المعركة الأولى والتالية انهم لا يتورعون عن ارتكاب أقسى أنواع الفظائع ضد الأهلين فى أى مكان نزلوا به بغية الظفر بأعدائهم والتنكيل بهم لارغامهم على ترك المقاومة والرضا بالتسليم السريع .

والجرائم التى ارتكبها الطليان فى أثناء هذه الحملة كثيرة ، لعل أشهرها وأسوأها ذكرا ما فعله هؤلاء فى الأهلين بأهل (المنشية) شرقى مدينةطرابلس فى ٢٣ أكتوبر ١٩١١ فقد أعمل وأباح الجنرال (كانيفا) قائد الحملة البلدة ثلاثة أيام لجنوده حتى يبيدوا منها العرب وامتدت فظائع الطليـــان الى غيرها ، وتعود الجند اطلاق الرصاص عبثا ولهوا على الأهلين اينماصادفوهم لا ينجو من أيديهم عربى حتى ضجت الانسانية من أعمالهم ، وقابل العالم فظائعهم بالاستنكار والسخط ، واحتجت الحكومة العثمانية على ذلك كله بمذكرة ارسلتها الى الدول العظمى فى ٣ نوفمبر ١٩١١ واحتجت كذلك الجمعيات والهيئات ومنها الجمعية المصرية على لسان رئيسها الأمير عمر طوسون رحمه الله ، وكان مما زاد الطين بلة ان ايطاليا لم تلبث ان اعلنت فى ٦ نوفمبر ١٩١١ « انها تضع طرابلس وبرقة تحت سيادة المملكة الايطالية الكاملة المطلقة » ثم أبلغت ذلك رسميا الى الدول لاقراره ، ولم يغن شيئا احتجاج تركيا أو استنكار العالم الاسلامى لهذا العدوان الصارخ .

واما الأتراك فانه بمجرد وقوع الحرب ، وتبينهم انه لا مناص من القتال فى النهاية من أجل الدفاع عن القطر الذى أهمله أولو الأمر منهم زمنـــا طويلا ، فقد شرعوا يرسلون الى طرابلس الغرب نخبة من ضباطهم الترك والعرب لتنظيم الدفاع ، فكان من بين هؤلاء انور بك الذى تولى القيـــادة العامة فى برقة ، ومصطفى كمال بك [(كمال أتاتورك) كما تطوع عدد من الضباط والشبان العرب الذين أنشأوا فى الاستانة بعد اعلان الدســـتور الاسلامى العثمانى الجمعيات والنوادى السياسية لاعلاء شأن الأمة العربية فى نطاق الامبراطورية العثمانية .

وكان من بين هؤلاء المتطوعين ، تحسين العسكرى الذى تخرج ضابطا برتبة ملازم ثان فى مذكراته المنشورة عن هذه الحوادث « ولما شـــاهدنا الاعتداءات المتوالية على البلدان العربية قائمة على قدم وساق فى الداخل والخارج ، رات الشبيبة العربية وفى مقـــدمتها عزيز المصرى ان الفرصة سانحة لها لارسالها من يمكنه التطوع من الضباط الى حرب طرابلس الغرب لمساعدة الشيخ أحمد (الشريف) السنوسى رئيس القبائل العربيةالافريقية بمنطقة طرابلس الغرب وحثه على تأسيس دولة عربية هنـــاك تحت لواء سيادته واعلان استقلالها لتكون أول دولة عربية مستقلة فى افريقية التى كانت ولا تزال تئن تحت نير المستعمرين ، فتطوع عزيز بك المصرى وسافر متنكرا الى جهة طرابلس الغرب ، فعين قائدا لمنطقة بنغازى ، وحذا حذوه كثيرون من الضباط الطرابلسيين والسوريين والعراقيين من جمعية العهد، وهم شهيد الحرية الملازم صبحى الطرابلسى ، والملازم محمود حلمى الذى هو الآن فى الجيش العراقى برتبة المقدم (١٩٤٤) والملازم السنيد عيسى الوترى البغـــدادى رحمه الله والملازم اسماعيل الطرابلسى ، وتطوعت أنا وغيرهم من الضباط للالتحاق بقوة بنغازى .

ومع هذا وقع عبء القتال ضد الطليان على كواهل المجاهدين الأوائل الذين ظلوا حتى نهاية الحرب الليبية يصمدون للطليان فى كل ميدان ومعركة، وهم السنوسيون الذين تدفقـــوا من داخل البلاد زرافات ووحدانا لمؤازرة الحاميات العثمانية الضعيفة فى الشواطىء فى برقة ثم فى طرابلس أيضا ، فنجحوا فى احياء آمال القوات العثمانية النظـــامية وفى امكان الدفاع عن البلاد بعد أن كاد التردد يفضى الى هزيمتها ، فانه بمجرد ان بلغ استانبول خبر الهجوم الايطالى على طرابلس أصدرت الوزارة أوامرها الى نشأت بك الذى كان نائبا عن الوالى فى حكومة البلاد بعد ان سحبت وزارة حقى باشا والى طرابلس ، قبل ان ترســـــل لها غيره بأن يخلى طرابلس ويقاوم فقط خارج المدينة ثم ينسحب جنوبا الى سهول غريان . وعندما وصلته هـــذه التعليمات عقد نشأت بك مجلسا من الضباط الموجودين وثلاثة من زعماء

العرب فقرروا جميعا ، ما عدا الضابط التركى نظمى بك اخلاء المدينة فورا والانسحاب ، فخرجت الحكومة من طرابلس ومعها الجند بقيادة نشأت بك قاصدين جهات غربان « وكانوا ينتظرون الأوامر من البـاب العـالى بالتسليم ، وكانت ايطاليا تنتظر ذلك لعـدم تصـور العقل امكان أدنى مقـاومة » . فلم يغير ذلك سـوى قيـام الزعماء الطرابلسيين « يهددون العسكر المنسحب الى خارج طرابلس بالقتال ان لم يصل الطليان الحرب » ثم جعلوا يستنفرون الأهلين للجهاد فتدفق المجاهدون العرب من أقاصى الولاية والفزان ، بل ومن الواحات الجنوبية فى السودان الغربى حيث يعظم نفوذ السنوسية .

وقد حدث مثل هذا فى برقة أيضا ، لأن الإيطاليين الذين أطلقوا قنابلهم على درنة وطبرق وبنغازى (الى جانب طرابلس والخمس) استطاعوا ان يحتلوا هذه المرافق تحت حماية اساطيلهم . واكرهوا الحاميات العثمانية الضعيفة على الانسحاب داخل البلاد فكان تدفق المجاهدين السنوسيين على المعسكرات العثمانية سببا فى صمود هؤلاء فى وجه المعتدين الطليـان حتى حضر أنور بك ورفاقه ، وتولوا تنظيم الدفاع عن هذه البلاد بمؤازرة السنوسيين وتعضيدهم وتظهر هذه الحقائق واضحة جلية اذا ذكرنا طرفا من سير الحرب منذ نشوبها الى وقت عقد الصلح بين تركيا وايطاليـا فى اكتوبر من العام التالى (١٩١٢) .

الفصل الثانى

الحرب العالمية الأولى . . .
حالة السنوسية قبل عام

لقد كانت حالة المجاهدين السنوسيين قبل بداية الحــــرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ فى منتهى السوء .

وكانت الصعوبات تحيط بهم من كل جانب لانقطاع مواردهم من أسلحة وذخائر ومؤن ولقــد استعملت ايطاليا الضغط عــلى تركيا لتسحب بقية قواتها من برقة وحاولت ان تصرف الحكومة المصرية عن امداد المجاهدين فى برقة بما يحتاجون اليه .

ولم اجد خيرا من ان انقل هذه الحالة من كتاب الســـنوسية دين ودولة للدكتور محمد فؤاد شكرى (١) .

وكان المصريون من اسبق الشعوب التى اقبلت على نجدة المجــاهدين ومســاعدتهم فى طرابلس وبرقة فقد شكلت مصر اللجان لجمــع التبــرعات وخصوصا اللجنة العليا التى تألفت فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩١١ برئاسة سمو الأمير عمر طوسون ثم جمعية الهلال الاحمر التى تشكلت برئاسة الشــــيخ على يوسف وقررت انشاء عدة مستشفيات ميدان فــكان من اثر ذلك ان سافرت البعثة الأولى فى ٧ نوفمبر فى نفس العام ثم توالت البعوث الطبيـــة بعد ذلك وفى يناير سنة ١٩١٢ اقيمت سوق خيرية فى حديقة الأزبكية لجمع التبرعات للهلال الاحمر ومع ذلك فقد وقفت الحكومة المصرية ذاتها من اول الأمر موقف الحياد من النزاع القائم فعين الانجليز بدلا من المأمورين المصريين فى الحدود الغربية ومنع اهل برقة وطرابلس من دخول الاراضى المصـــــرية وفرضت على الحدود مراقبة صارمة حتى تعطلت التجــارة بين طــرابلس ومصر وارغمت على العودة كل قافلة جاءت بالمتاجر من هذه الاقطار الليبية ورفض اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر ارســـــال بعض اورط من الجيش المصرى لمساعدة الاتراك كما رفض الموافقة على تطوع جمـــاعة من الضباط المصريين فى الجيش التركى وصرف بعض مشــــــايخ العربان عن

رغبتهم فى الالتحاق بصفوف المجاهدين فى ليبيا وذلك كله حتى يتخلص اللورد من مسئولية حياد مصر فكان لهذه الاجراءات اثر ظاهر فى اضعاف قوة المقاومة ضد الطليان فى ليبيا .

اضف الى هذا ان سمو الخديو السابق (المغفور له عباس حلمى الثانى) الذى سهل عليه فى اول الامر ارسال الاعانات والبعثات الى المجاهدين ومن هذه الاخيرة ما كان يحمل مدافع مفككة وسلاحا وذخيرة ومؤونة بعد ان أرسل رشدى باشا (رئيس نظارة) الى كتشنر للتفاهم معه قبل منح التسهيلات اللازمة بدون مسئولية عليه او على حكومته لم يلبث ان غير موقفه وحدث هذا التحول تقريبا فى الوقت الذى ذاع فيه ان الدولة تبغى التساهل فى امر طرابلس الغرب حتى تعقد الصلح مع ايطاليا ويوضح الأمير شكيب ارسلان مدى ما طرأ على موقف الخديو من تغيير فى رسالة بعث بها الى فضيلة الشيخ محمد الأخضر العيساوى من جنيف فى ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ يشرح فيها ما وقع له عندما قابل سمو الخديوى فى اثناء سفره من طرابلس ومروره بمصر فى طريقه الى الاستانة للبحث كما سبقت الاشارة اليه ــ فى مصير طرابلس الغرب مع الوزارة العثمانية الجديدة فكتب الأمير :

وعندما جئت من طرابلس الى مصر فى شهر اغسطس سنة ١٩١٢ وذهبت من مصر الى الاستانة مسرعا ... كان السبب فى ذلك انى علمت بأن الدولة قررت الصلح مع ايطاليا فخفت ان تهمل طرابلس تماما فأحببت ان اجعل الدولة تساعد الطرابلسيين بطرق خفية على يد الأمير عمر طوسون وغيره حتى يستمر الجهاد ولا تذهب طرابلس .

ولما وصلت الى السلوم قال لى رجال الحكومة المصرية هناك ان سمو الخديوى ارسل يسأل عنى وأمر بأن الباخرة التى تأتى الى مرسى السلوم تأخذنى انا وجماعتى الى الاسكندرية وانتظرتنى الباخرة فتأخرت عن الورود فرجعت بدونى فبقيت سائرا حتى وصلت الى المكان الذى ينتهى فيه سكة الحديد خاصة الخديوى وكان يقال له راس التركيب فقالوا لى هنا ايضا ان الخديوى جاء بنفسه وسأل عنك وقد امر انك عند وصولك تعرض له ففرحت انا بهذه الاخبار ظانا ان الخديوى متشوق الى اخبار الجهاد يريد ان يعرفها منى فيلح فى وصولى فلما وصلت الى الاسكندرية وجدت صديقى احمد بك العريس البيروتى احد اعوان الخديوى فى انتظارى فقال لى ان افندينا ارسلنى لاستقبالك ولأذهب بك الى سراى راس التين لتنزل ضيفا عنده فذهبت ودخلت عليه وانا بثياب السفر بحسب ارادته

وكنت اظن ان اول سؤاله يكون عن المجاهدين وحالة الجهاد وكان مرادى ان اقول له ان كل شيء جيد لولا قلة الجبخانة لعله يساعد بطريقه فيزيح هذه العلة فما راعنى الا كون الخديوى سأل عن كل شيء ما عدا الجهاد فبرد وجهى وخرجت منقبض الصدر وكاشفت احمد العريس بما وجدته فى نفسى فقال لى اذا سألك افندينا عن الحرب فلا تقل له انه يلزم جبخانة وانهـــا قليلة . قلت له لمـــاذا قال يجوز ان افندينا يقول ذلك لأحد بدون قصـــد فمن واحد الى آخر يصل الخبر الى الطليان والحقيقة التى علمتها فيما بعد ان الخديوى كان اتفق مع ايطاليا على ان يبيعها سـكة حديد مربوط بثمن عظيم وفى مقابل ذلك يساعدها على اخماد الحرب .. ولكن احمد العريس لم يكن يقدر ان يبوح بالسر وهو مسلم مخلص فنبهنى حتى لا اقول للخديوى ان المجاهدين فى احتياج الى الجبخانة ثم كنا على الافطـــار لأن الوقت كان رمضان وكان على المائدة الخاصة بسمو الخديو بجانبه حسين باشا رشدى ثم قاضى مصر وكان تركيا وهذا العاجز والشيخ على يوسف . وكانت بقية الموائد مصفوفة وعليها مفطرون كثيرون وبدأنا بالحديث على الأكل فقال الشيخ على يوسف ان الدول قررت عدم اقراض مال لتركيا اذا كانت لا تزال ترفض الصلح مع ايطاليا . فقلت له : ان تركيا مضطرة ان تتابع الحرب حفظـــا لشرفها . فقال ومن اين تأتى بالمـــال ؟ فقلت له : كل ما تنفقه تركيا عـــلى حرب طرابلس هو ٧٠ الف جنيه كل شهر والحال ان ايطاليا تنفق فى الشهر مليون جنيه .

فقال الشيخ على الا ان السبعين الف جنيه بالنسبة الى تركيا كالمليون جنيه بالنسبة الى ايطاليا فالدولة لا تقدر على متابعة الحـــرب . فقلت له اذا عجزت الدولة فالعالم الاسلامى يقدر على مساعدة طرابلس فقال اما نحن فى مصر فلا نقدر اذا صالحت الدولة على طرابلس ان نستمر على مساعدة الطرابلسيين اذ يكونون حينئذ رعية ثائرة على ايطاليا .

هذا كله كان يقوله الشيخ على لا الخديوى وكان الخديوى ساكتا وقد علت وجهه الحمرة .. وفيما بعد فهمت ان الشيخ على كان مقصده بهـــذا الكلام التزلف للخديوى لأنه كان مطلعا على الدسيسة فانا لم اكن اعلم شيئا من هذه الدسيسة ولم اكن ابالى بها على فرض انى علمت بها فلمـــا سمعت جدال الشيخ على هذا غضبت وقلت له بحدة لا تساعدون اهـــل طرابلس فالله يغنيهم عنكم فانقطع الكلام على اثر هذه الحدة ووجم الخديو وصـــار قاضى مصر يبتسم وقمنا عن السفرة الى الصلاة فاخذنى الخديـــوى بيده

لأنه شعر بكونى تأثرت جدا وما زال حتى وصلنا الى السجادة الخاصة به فتنحى قليل الى اليمين حتى ان السجادة تسعه وتسعنى وكل هذا يقصد به تلطيف خاطرى وانا لا اعى من التأثر فلما بدا الامام بالصلاة ولم يكن الامام حاضرا مجلسنا ولا سمع شيئا مما دار بينى وبين الشيخ على الهمه الله ان يقرأ بعد الفاتحة قوله تعالى) فلا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا) .

ويذكر هذا الخطاب مسألة اتفاق سمو الخديو السابق مع ايطاليا على ان يبيعها سكة حديد مريوط بثمن عظيم فى نظير مساعدتها على اخمـــــاد الحرب وهى مسألة تحدث عنها المرحوم الحاج احمد شفيق باشا فى الجزء الثانى من كتابه (مذكراتى فى نصف قرن) فذكر انه اشيع بعد عقد الصلح بين الأتراك والطليان بثلاثة شهور اى فى اوائل عام ١٩١٣ وفى اثناء استمرار القتال فى طرابلس والبلقان ان الخديو باع سكة حديد مريوط الى بنـــك درسدن الالمـــانى ولكنه لم يلبث ان اتضح بعد ذلك ان عقد البيع قد امضى فى الحقيقة مع بنك ايطالى ورخص له الخديوى بأن يمد هذا الخط الى نهاية حدود طرابلس فى السلوم .

واثار عقد هذه الصفقة اهتمام الانجليز وتدخل اللورد كتشنر فى الامر وهدد عباسا واحرج مركزه فاضطر الخديو الى العدول عن بيعها لايطاليـــا والغى عقد البيع مع البنك الايطالى وباع السكة الى الحكومة المصرية .

وزيادة على ذلك فقط وسط الايطاليون (الخديوى) ايضا حتى يقنـــع السنوسيين بضرورة الاخلاد الى السكينة ويجزل لهم الوعود الطيبة اذا هم قبلوا الأمر الواقع وكفوا عن مواصلة الجهاد فقبل سموه الوساطة وارســـل الى السنوسيين وزعيمهم السيد احمد الشريف بالجبل الأخضر فى اواسط عام ١٩١٣ وقد يتالف من السادة المأمون والسنوسى ومصطفى انجـــــال السيد عبد المتعال الأدريسى ومعهم عبد الحميد بك شديد من رجال المـــال فى مصر يحملون كتابا خاصا من الخديو الى السيد احمد الشريف . ولـــكن السيد رحمه الله كان مصرا على ضرورة جلاء ايطاليا عن البلاد كلية قبـــــل التفاهم فى شىء فرجع الوفد الى القاهرة واخفقت هـــــذه الوساطة ويذكر الحاج احمد شفيق باشا الى جانب ما تقدم شيئا عن مهمة عبد الحميـــــد شديد بك للسيد ادريس السنوسى ليغريه بالاتفاق مع ايطاليا حســـــما للحرب على ان يسعى الخديو فى الحصول له على امتياز من ايطاليا وتنصيبه

رئيسا على السنوسيين بدلا من عمه الشيخ احمد السنوسى الكبير وفى نظير ذلك يحصل سموه على وعد ببيع سكة حديد مريوط لأحد بنوك ايطاليا بثمن يرضيه ولكن المساعى التى كان عباس يبذل الجهد فيها للوصول الى ذلك قد فشلت لأن كتشنر ضربها ضربة قاضية .

وغنى عن البيان ان اية محاولة من هذا القبيل كان لابد من اخفائها فى النهاية وجاء فى المذكرات نفسها ولما توالت انتصارات الايطاليين فى طرابلس فى الأشهر الأخيرة من الحرب وتغير موقف الخديو عاد فطلب من كتشنر بواسطة حسين رشدى باشا وقف المساعدات فامتنع عن اتخاذ خطة صريحة بذلك بعدما سمح بارسالها اولا وانتهى الأمر بأن يقال بأن البعوث الأخيرة ضلت الطريق وقد منعت بعوث الهلال الاحمر العائدة من الدخول بالمرضى الى مصر .

بيد ان متاعب المجاهدين فى أثناء هذا النضال الشاق لم يكن مقدرا لها ان تنتهى عند ذلك فانه سرعان ما تعكرت العلاقات فى معسكر المجاهدين بين القائد العام (عزيز بك المصرى) وبين العرب ونجم عن ذلك حوادث يؤسف لوقوعها فقد صادف ان جاء وقت الحصاد فى عام ١٩١٣ فى أثناء اشتداد المقاومة ضد ايطاليا فاضطر اغلب المجاهدين العرب الى ترك الجيش والذهاب للحصاد فعلم الايطاليون بذلك وانتهزوا الفرصة للهجوم على الجيش على غرة ولم يكن وقتئذ (عزيز المصرى) موجودا فانسحب الجيش بمعداته الحربية الى معسكر درنة واشتبك عزيز المصرى مع الايطاليين فى معارك دامية وانتصر المجاهدون على العدو فى جملة وقائع والحقوا به خسائر فادحة خصوصا عند قدوم السيد احمد الشريف من الجغبوب واخذ المجاهدون اسرى كثيرين بعثوا بها الى (زاوية العزيات) لبعدها عن ميدان القتال واراد عزيز المصرى ان يطلق سراح بعض هؤلاء الأسرى فعارض السنوسيون وكان هذا مبدأ سوء التفاهم بينهم وبين عزيز بك المصرى وازداد سوء التفاهم هذا عندما وصلت الى عزيز المصرى بعد ذلك برقية من الحكومة العثمانية تأمره بالانسحاب ومن معه من الضباط والجنود من برقة الى السلوم حيث يجدون فى انتظارهم باخرة عثمانية لنقلهم الى تركيا

فشرع عزيز المصرى بتجهيزه للانسحاب بما كان لديه من قوة وسلاح وذخيرة نحو الحدود المصرية وكان غرضه من الانسحاب بجنده النظامى واسلحته أن يكون مستعدا لمقابلة الطوارىء فى أثناء انسحابه الى السلوم .

ولكن هذا التصرف من جانب القائد العام لم ينل رضاء المجاهدين الذين عولوا على مواصلة القتال ضد ايطاليا فساءهم ان يخرج عزيز المصرى بجنده النظامى وأن يحرم المجاهدين الأسلحة والذخائر التى كانوا بحاجة شديدة اليها بسبب انقطاع الموارد عنهم فطلبوا الى القائد المنسحب ان يسلمهم الأسلحة والذخيرة ولكنه رفض لأسباب منها كما قيل — ان تسليم الأسلحة التى مع عسكره الى العرب لا تتفق مع الاصول الحربية التى تقضى بأنه بعد انعقاد الصلح بين تركيا وايطاليا بألا يسلم العسكر العثمانى اسلحته لأعداء ايطاليا زد على ذلك انه كان فيما يفعل يذعن للاوامر التى وصلته من حكومة الاستانة بيد ان ذلك كله لم يكن ليقنع المجاهدين الذين عندما يئسوا من تسلم الاسلحة سلما ارسل السيد احمد الشريف لأخذها عنوة السيد عمر المختار ولكن قبل وصول السيد عمر كان المجاهدون من قبله قد اطلقوا الرصاص على الجند المنسحبين وكان هؤلاء قد خيموا فى (دفنه) غربى السلوم فصمدوا لهم ومن ثم نشبت معركة حامية فسقط من العرب اكثر من الستين قتيلا وتقاطرت جموعهم من كل جهة بغية الانتقام من (عزيز المصرى) وعسكره فى) دفنه (و (البطان) وكاد يحدث التحام كبير لولا ان (عزيز المصرى) استطاع الوصول الى السلوم . وفى ١٦ يوليو ١٩١٣ بلغ الاسكندرية ومنها ذهب الى الاستانة .

وهكذا احاطت الصعوبات بالمجاهدين فى طرابلس وبرقة من كل جانب فانه الى جانب قطع الموارد عنهم من جهة تونس ومصر فقد انسحبت القوة التركية العاملة فى برقة والجبل الأخضر بكامل معداتها وبقيت خالية من وسائل الدفاع ومعرضة لهجوم العدو . وفى هذه الظروف الشديدة صمد السنوسيون فى وجه الطليان ثم اسندت قيادة المجاهدين الى السيد عمر المختار ولم يتردد هذا المغوار فى قبولها فشكل جيشا وطنيا جعل من خطته التزام الدفاع والتربص بالعدو حتى اذا خرج الطليان من مراكزهم انقض المجاهدون عليهم فأوقعوا بهم شر مقتلة وغنموا منهم اسلابا كثيرة امدتهم فى الحقيقة بأكثر الأسلحة والعتاد ودواب النقل مما كانوا فى حاجة ملحة اليه جميعه وظل الحال على هذا المنوال حتى نشبت الحرب العظمى العالمية الاولى فى أغسطس سنة ١٩١٤ .

الفصل الثالث

السنوسية والحرب العالمية الأولى

بعد معركة (مدور) فى يوليو ١٩١٣ عاد معظم العثمانيين الى وطنهم ، ولذلك بقى السنوسيون وحدهم يديرون دفة الحرب فى الشهور التالية . فوزعوا جنودهم النظاميين على مراكز متعددة فى المناطق المختلفة حتى يجمعوا حولهم القبائل العربية فى جهود متصلة ضد الايطاليين الذين كانوا قد فصلوا برقة عن طرابلس وانشئوا لكل من الاقليمين حكومة منفصلة منذ سبتمبر سنة ١٩١٣ . وعينوا لبرقة الجنرال (بريكولا) ، اول ولاتها .

ثم فى ١٦ اكتوبر ١٩١٣ الجنرال جيوفانى (اميليو) ، الذى اشرف على العمليات العسكرية فى برقة من ذلك الحين حتى بداية الحرب العالمية الأولى ، ولما كان السنوسيون قد اتخذوا خطة مفاجأة المعسكرات الايطالية واشعال الثورة فى الجهات التى يمثلها الطليان ، فقد اضطر الجنرال (اميليو) الى تقسيم قواته الى جماعات على استعداد لمقابلة هجوم المجاهدين والاغارة على مراكز العرب فى الجهات التى دخلت فى حوزة الطليان . وعلى ذلك اشتبك الايطاليون مع المجاهدين فى جملة معارك بدات من فبراير ١٩١٤ باحتلال زاوية (العرقوب) و (سلطنة) واستمرت خلال الشهور التالية ، فوقعت فى شهر فبراير نفسه معارك (سيدى مهيوس) و (زاوية امسخنب) و (شليظيمة) ، وفى شهر مارس ضرب الطليان زاوية مسوس ، والتحموا مع المجاهدين فى معركة الزويتية الليلية فى ١١-١٢ مارس سنة ١٩١٤ ، ثم فى (بوجسال) وضربوا اجدابية ، كما احتلوا (مراده) بعد التحام مع المجاهدين وفى هذا الوقت ايضا احتلوا (الحزوب) واشتبكوا مع العرب فى معركة (بوجسال) الثانية . وفى شهر ابريل حدثت معارك (بوجسال)

---

(١) السنوسية دين ودولة للمؤرخ العظيم الدكتور محمد فؤاد شكرى .

الثالثة و (قصر قصيس) وزاوية نايان (التى خربوها) وام الجوابى او لصقة . وفى مايو وقعت معارك (بير الجلته) ومناوشات عند (الكويسيه)، وفى يونية التحم الفريقان فى (الحريبات) وقصر حليجيمة وقصور المجاهير، وبيضا ، والانجال . وفى يولية وقعت معارك زاوية القطوفيةوسادنو وسيدى داود ولصقة ، ثم خولان فى آخر يولية ١٩١٤ ، وكان ذلك قبل بدء الحرب العالمية الاولى بأيام قليلة .

وقد استطاع الطليان فى اثناء هذه الشهور الثلاثين تقريبا ، منذ بداية عدوانهم على الاقطار الليبية فى عام ١٩١١ ، احتلال جملة مراكز فى كل من برقة وطرابلس ـ فاضطر السنوسيون الى الانسحاب من الجهات الشمالية الغربية من الشاطىء والتوغل فى الصحراء . وكان الهدف الذى يرمى اليـه السنوسيون فى الفترة التالية مباشرة هو اخراج العدو من الفزان والاحتفاظ بها للمجاهدين وتوطيد اقدامهم بها .

وعلى ذلك فانه لما بدات الحرب الكونية الاولى ، كان النـزاع بين الطليان والسنوسيين يدور فى الحقيقة حول (الفزان) فقـد ادرك السـيد احمد الشريف اهمية بقائها فى ايدى المجاهدين حتى يطمئن اخـوانهم فى الجهات الامامية والساحلية ويواصلوا الاشتباك مع العدو فى كل فرصـة وكل وقت ، لأنهم اصبحوا فى مأمن من العدوان على عكس ما يحدث ، لو أن الفزان خرجت من ايدى المجاهدين كلية فيتعرض هؤلاء فى منطقة سرت، والجبلة (القبلة) والجبل لهجوم العدو عليهم من الخلف . ولذلك فان معنى ضياع الفزان فى هذه الظروف العصيبة انما هو ضياع ليبيا كلها فى الحقيقة. ومن ثم فقد عمل السيد احمد الشريف على تنظيم المقاومة فى الفزان ضـد الايطاليين فأرسل احد السادة السنوسية ، السيد محمد على الأشهب الى (مرزوق) لذلك الغرض وكان هؤلاء الايطاليون منذ انتصارهم على جيوش (محمد بن عبد الله) فى سرير الشيب والشيدة ومحـروقة بين ١٠ ، ١٤ ديسمبر ١٩١٣ قد قضوا على مقاومة المجاهدين ، فأصبح احتلال الفـزان بأجمعها ، بما فى ذلك واحة غات يتطلب استعدادات سياسية وعسـكرية كبيرة من جانب الطليان ، وتجهيز حامياتهم بالمؤن والمهمات .

ولما كان السنوسيون قد حملوا القبائل المقاتلة فى منطقـة (الجبلة) على الانتقال الى منطقة (سرت) الوسطى ، وهددوا بذلك خطوط مواصلات الطليان بين (سرت) والفزان ، فقد اضطر الطليان الى الالتحام مع المجاهدين فى معركة شديدة استطاعوا بعدها احتلال (النوفيليه) فى ٢٣ مارس سنة

١٩١٤ . ومع ذلك فقد هاجم المجاهدون (مرسى العويجه) وهى ميناء النوفيلية فى ٢٤ ابريل ، ثم اوقعوا هزيمة منكرة بقوة ايطالية عند(السلطان) وارغموها على الارتداد ، وكبدوها خسائر فادحة (٧ يولية سنة ١٩١٤) . وكان قائد العمليات الايطالية فى هذه المنطقة (الكولونيل ميانى) وعندما ارسل السيد احمد الشريف السيد محمد على الأشهب الى (مرزوق) قام الأهلون بالثورة على الطليان ، وهاجم المجاهدون قوات (ميانى) وطوقوها من كل جانب فخشى (ميانى) اخطار العزلة ، وانسحب الى الساحل . وقد بدأ المجاهدون اعمالهم بالاستيلاء على قافلة تموين ايطالية بالقرب من (بيير فتية) فى ٢٦ اغسطس ١٩١٤ ثم كرروا هجومهم على القوافل والنجدات الايطالية الواقعة على طول طريق (سرت ـ سوكنه ـ سبهة) . وفى اواخر نوفمبر زادت صعوبات الايطاليين عندما اشتد نشاط المجاهدين فى منطقة (الشاطى) . هذا وقد حضر لقيادة المجاهدين فى الفزان مهدى السنى الذى اشتهر بتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين فى (برقو) فى عامى ١٩١١ و ١٩١٣ واستطاع ان يتزعم الحركة فى (فرده) ويقضى على حامية من الجند الطليان فى (ادرى) الواقعة بين منطقتى الشاطىء وسبهه .

واما السيد محمد على الأشهب فقد جمع عددا عظيما من المجاهدين فى (واو) كما استطاع السيد محمد عابد (اخو السيد احمد الشريف) ان ينشىء معسكرا للمجاهدين فى (زله) وبذلك فقد تمكن المجاهدون من الاحاطة بمركز الطليان فى (سبهة) وقضوا على حاميتهم فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٤ ، ونجم عن ذلك ان فقد الطليان مركزهم الآخر فى (اوبارى) وارغم الباقون منهم فى واحة غات على الانسحاب الى المنطقة الفرنسية ، والاتصال بالساحل عن طريق تونس . وفى ١٠ ديسمبر ١٩١٤ اضطرت بقية القوات الايطالية فى الفزان بقيادة (ميانى) الى التقهقر من (براك) والانسحاب صوب (سوكنه) . وبعد اسبوعين التحم المجاهدون بالطليان فى معركة دامية عند (بونجيم) انهزمت فيها الحامية الطليانية وارغمت على الانسحاب الى (مصراته) فوصلت اليها فى ٢٥ ديسمبر ، كما وصل الكولونيل ميانى نفسه الى مصراته فى ١١ فبراير سنة ١٩١٥ بعد ان صمد فترة فى سوكنه، ثم غادر مصراته بعد ذلك الى ايطاليا وكان كل ما ادركه الايطاليون من نجاح انما هو انتصار فصيلة صغيرة من قواتهم غادرت سرت واشتبكت مع المجاهدين فى يوم ١١ فبراير نفسه فى (قصر بوهادى) وكان يقاتل فى صفوف السنوسيين فى هذه المعركة رمضان شتيوى او السويحلى الذى وثق به الطليان من قبل .

ولم تلبث ان ظهرت اثار انسحاب الطليان من (الفزان) فى منطقة (القبلة) الجبلة والجبل ثم فى (الجفرة) فاستمر تقهقرهم وانسحبوا بعد ذلك من (جريات) الى (مزده) وفى (غدامس) و (سنوان) الى (نالوت) فأعلنوا حالة الطوارىء فى طرابلس كلها .

بيد ان حكومة الطليان المركزية فى طرابلس لم تلبث ان امرت باعادة احتلال (غدامس) فنشبت معركة حامية فى (مرزم) فى أواخر يناير سنة ١٩١٥ ، واحتل الطليان غدامس مرة اخرى فى منتصف فبراير . ولكن سرعان ما هاجم العرب مراكز الطليان فى (ودان) و (بير قطوفية) فى منطقة الجفرة ، فاضطر هؤلاء الى الانسحاب الى (سوكنة) ثم انسحبوا بعد ذلك بأمر الحكومة من المنطقة بأجمعها فى ٢٧ يناير ١٩١٥ الى (بنى وليد) وقد هاجم المجاهدون (بونجيم) فى أوائل فبراير فخسروا كل قوافلهم ، واخيرا بلغوا (ورفله) فى منتصف الشهر نفسه . وفى هذه الآونة قوى نشاط المجاهدين كذلك فى منطقة مصراته ، وكانوا قد شنوا هجوما عنيفا على (تاورغة) فى ٢٥ يناير . وازاء هذه الانتصارات المتتابعة من جانب المجاهدين أعدت حكومة الطليان حملتين عسكريتين فى طرابلس احداهما للعمل فى منطقة (القبلة) والاخرى فى منطقة (سرت) .

اما الحملة الاولى فقد غادرت (مزده) ، واشتبكت مع المجاهدين فى معركة (خرجت الخدامية) فى ١٦ ابريل سنة ١٩١٥ ، وفى الليلة التالية فاجأ العرب الايطاليين فى وادى مرسيت وارغموا الحملة على التقهقر بدون انتظام فى (مزده) بعد اربعة ايام فقط من خروجها ، وكان ميانى فى هذه الأثناء قد رجع من أيطاليا واخذ فى القيام بحملته التأديبية ، ضد السنوسيين وبقية المجاهدين فى منطقة سرت ، وهى الحملة الثانية . وكان من رايه ايضا ان يتسلم قيادة الحملة (رمضان شتيوى) فنصحه كثيرون بالعدول عن رايه ولكن بدون جدوى فخرجت الحملة من مصراته فى يوم ١٥ ابريل ١٩١٥ وكان عدد الطليان اربعة آلاف يتقدمهم ويسير على جانبى قوتهم رجال رمضان السويحلى وعددهم ثلاثة آلاف وخمسمائة وفى ٢٨ ابريل هاجمت الحملة (دور) او معسكر المجاهدين فى « قصر بوهادى » ، ولكن بمجرد ان بدأ القتال انقلب رمضان شتيوى ورجاله ضد الطليان واطلقوا عليهم النيران ، فانهزمت الحملة ولم تستطع فلولها النجاة الا بشق الأنفس ، وكان (ميالى) من الناجين وهكذا نجحت خطط السنوسيين فى طرابلس بفضل هذه الكارثة التى حلت بالايطاليين فى (قصر بوهادى) فقد خسرت الحملة كل سلاحها وذخيرتها ومدافعها ، وقافلة التموين بأجمعها ، ثم (خزينة) القيادة .

وكان من اثر انتصار السنوسيين فى (قصر بوهادى) أن بدات تشـق عصا الطاعة وتثور ضد الايطاليين تلك القبائل التى كانت قد اضـطرت الى التزام الهدوء والسكينة فى طرابلس ، وكان من اهمها قبائل (القبلة) ، كما بدأت روح التذمر تسرى بين البربر فى الجبل وعندئذ لم تجد حكومة الطليان فى طرابلس مناصا من ان تصدر اوامرها بالانسحاب من غدامس ونالوت الى الساحل ، وهكذا لم يبق لدى الطليان فى طرالس الغربية سوى (زواره) ، و (زتزور) ، اما فى طرابلس الوسطى فقد انسحب الطليـان من ، مزده) و (غريان) ، وفى طرابلس الشرقية صارت الكلمة للمجاهدين فى المنطقـة كلها بعد كارثة (قصر بوهادى) وكافأ السـنوسيون رمضـان شتيوى عنى حسن بلائه فسلموه القيادة العليا فى هذه الناحية . واما الاسلحة والذخيرة والعتاد التى غنمها المجاهدون فى قصر بوهادى فقد استخدمت كلها فى اعداد الجيوش الجديدة لمناواة الايطاليين ، وساء حال الايطاليين فى طرابلس لدرجة أن الأهلين فى الاراضى المحتلة سرعان ما اخذوا يثورون ضدهم اما لأنهم ـ كما يقول مؤرخو الطليان ، لم يكونوا اصدقاء مخالصين (لهم) بالمرة ، واما لأنهم مستائين من اعوجاج سياسة (الطليـان) المحلية وعدم استقرارها ، واما لأنهم كانوا يخشون من الأخطار التى يتعرضون لها بسـبب زحف (المجاهدين) والسنوسيين المنتصرين ، وكان رمضان شتيوى يقود معظم قوات المجاهدين التى اتجهت صوب مصراته .

وهكذا نجحت خطط السنوسيين فى هذه الآونة فى الفزان وفى طـرابلس ولو ان النصر لم يكن حليفهم فى برقة ذاتها وذلك لانسحاب الأتراك من ميدان القتال واغلاق الطرق التى كانت تأتى منها كل المؤن والذخائر والأسـلحة الى المجاهدين فى برقة من جهتى الشرق والغرب أى من جهتى مصر وتونس

بيد أن اشتعال الحرب الكونية الاولى لم يلبث ان ادخل تغييرا كبـيرا على الموقف فى برقة واحيا آمال السنوسيين فى القدرة على مواصلة الكفاح بنجاح ضد ايطاليا . ويرجع السبب فى ذلك الى ان الاتراك الذين وجـدوا من قبل ان من مصلحتهم الانسحاب من ميادين برقة وطرابلس ثم التمسك بوقف الحياد والامتناع عن مساعدة المجاهدين بعد ان كان من سـياستهم فى مبدأ الأمر اتاحة الفرصة للسنوسيين حتى يستمروا فى القتال ضـد ايطاليا ، لم يلبثوا ان اقبلوا مرة ثانية على استئناف جهودهم بعد نشوب الحرب العالمية فى اغسطس ١٩١٤ فى الميادين الطرابلسية البرقاوية ضـد الدول المتحالفة الغربية .

ومما لا شك فيه ان تركيا اسرعت بالدخول الى جانب المانيا لأنهـا كانت عظيمة الثقة فى انتصار الألمـان على الحلفاء (انجلترا وفرنسا والروسيا) هذا بينما انحازت ايطاليا الى جانب هذه الدول المتحالفة فى مارس ١٩١٥ لتحقيق مطامعها فى البحر الابيض المتوسط وفى افريقية الشمالية . وهكذا وجد الاتراك انفسهم فى نزاع جديد مع ايطاليا ، وعندئذ قرروا استئناف النضال فى الاقطار الليبية .

ولم يدفع الاتراك الى مؤازرة السنوسيين فى هذه المرة سوى رغبتهم فى اتخاذ برقة ميدانا يرسلون منه جيشا كانوا اعتزموا اعداده لغزو الاراضى المصرية وتحديد حدودها الغربية . لأن الألمـان قرروا بالاشتراك مع العثمانيين ارسال حملة من الشام للاغارة على قناة السويس وغزو مصر من الجهة الشرقية ، ورأوا ضمان نجاحهم انه لابد ان يشغل الانجليز فى الوقت نفسه بأمر الدفاع عن مصر من جهة حدودها الغربية حتى تتوزع قواتهم ويسهل على الألمـان والعثمانيين تنفيذ مآربهم وجاء فى رواية بشير بك سعداوى انه غادر طرابلس الى استانبول فى آخر عام ١٩١٣ وكان لايزال مقيما بها عندما اخذت تركيا تتهيأ لخوض غمار الحروب العالمية الاولى الى جانب المـانيا ، فحدثت ان الف الأتراك لجنة سموها لجنة التشكيلات المخصوصة وضعوها تحت رئاسة سليمان عسكرى بك . وكانت تتألف من محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى والشيخ صالح التونسى والشيخ عبد العزيز جاويش ، وعلى باشى حاميا (من تونس) وكثير غيرهم وعندما دخلت تركيا الحرب اراد العثمانيون ارسال نورى اخى انور باشا الى طرابلس واختاروا بشير بك سعداوى لمرافقته وكان بشير يعتقد ان مهمة نورى ومهمته هى الحرب ضد ايطاليا غير انه حدث فى احد الاجتماعات التى عقدت فى منزل انور باشا بحضور طلعت باشا وخليل باشا عم انور ان سلم أنور بشيرا كتابا معنونا باسم السيد أحمد الشريف كان قد فرغ من اعداده ومضمونه ان دول الحلفاء الثلاث فرنسا وانجلترا وروسيا قد اعلنوا الحرب على تركيا ولذلك قررت تركيا الحرب ضد هـذه الدول فى كل مكان ويطلب من السيد احمد الشريف ان يعلن الحرب على الانجليز ويزحف على مصر واخبر انور السيد احمد الشريف فى كتابه هذا ان يوفد اليه شقيقه نورى مزودا بالمـال ويعد السيد احمد فى الوقت نفسه بارسال السلاح اليه . وعنما قرأ بشير بك هذا الخطاب تملكته الدهشة اذ كيف يستطيع السيد احمد محاربة الانجليز بدون اسلحة . صحيح ان ارسال المـال امر يسهل هين يمكن تدبيره ولكن كيف السبيل الى ارسال الاسلحة ، وعلى

ذلك فقد ذكر بشير لأنور أن من المتعذر على الليبيين ان يقاتلوا الطليان والانجليز فى آن واحد ، وسأله عن الطريقة التى يمكن بها ارسال السلاح الى السيد . ويقول بشير بك السعداوى انه لما تبين ان غرض الاتراك لم يكن سوى اثارة القلاقل والاضطرابات على الحدود والدخول فى مناوشات مع الانجليز الغرض منها شغلهم فحسب لا تخليص البلاد من قبضة الطليان وان الذهاب مع نورى الى طرابلس قد يترتب عليه توريط السيد أحمد الشريف فى غير ما يحقق مصلحة الوطن امتنع عن موافقة نورى فوقع الاختيار على جعفر العسكرى للذهاب مع نورى الى طرابلس .

وعلى ذلك ذهب نورى يحمل كتاب اخيه انور الى السيد الشريف وخرج معه جعفر العسكرى وهو احد الضباط العرب العراقيين الذين كانوا فى خدمة الجيش العثمانى ، وكان جعفر يحمل كذلك كتبا اخرى من انور باشا الى عدد من كبار المصريين الذين عرفهم فى اثناء اقامته ببرقة يدعوهم جميعا للقتال ، وينقل الى اصدقائه ومعارفه من المصريين خبر اعداد الحملتين المزمع ارسالهما الى حدود مصر الشرقية والغربية معا . فحضر جعفر العسكرى الى مصر فى طريقه الى برقة واستطاع ان يتجول فى القطر المصرى متخفيا وابلغ رسالته ثم غادر مصر الى برقة خفية وعند وصوله الى السلوم استقبله نورى بك الذى ارسله شقيقه انور باشا ليتولى القيادة العامة .

وقد قامت غواصة المانية بنقل نورى بك وصحبه من ميناء (بولا) عند خليج (كوارنيرو) فى طرف بحر الادرياتيك الشمالى وكانت (بولا) هى القاعدة التى اتخذها الالمانيون لغواصتهم فى بحر الادرياتيك والبحر الاحمر فأنزلت نورى وجماعته فى الطرف الغربى من خليج السلوم عند ميناء (بردى سليمان) فى قسم الخليج التابع لحكومة برقة ، لأن خليج السلوم كانت تمتلكه مناصفة فيما بينهما كل من الحكومة المصرية ولها الطرف الشرقى ، ثم حكومة برقة ولها الطرف الغربى . واحضر نورى معه قدرا من الاسلحة والذخيرة وجانبا من المال وعددا من الضباط العثمانيين ثم صحبه احد دهاة الألمان وضباطهم الملمين بأحوال المغرب وهو الكونت (ماتسمان) ليمثل القيادة العليا الالمانية فى افريقية الشمالية الى جانب اشتراكه فى العمل مع القائد العثمانى . وكانت مهمة نورى عند وصوله فى (بردى سليمان) الاجتماع بالسيد احمد الشريف على الفور .

وأما السيد احمد فقد اهتم من جانبه بمقابلة القائد العثمانى ، وتمت المقابلة فى مكان بالقرب من السلوم يسمى (المسيعيد) وسلمه نورى رسالة شقيقه انور باشا وكانت تحمل انباء اعلان الجهاد وتعيين السلطان محمود رشاد اسيادته نائبا عنه (عن الخليفة) « فى افريقية الشمالية » والانعام عليه برتبة الوزارة الاولى ، وهى رتبة رفيعة الشأن ، ومنحه حق اعطاء الرتب والنياشين . وبالفعل احضر (نورى) معه قدوا من النياشين والأوسمة لتوزيعها على الرؤساء وكبار القوم والسادة السنوسية . فأكد هذا التعيين ذلك المركز الممتاز الذى تشغله الامارة السنوسية منذ نوفمبر ١٩١٢ ولا تربطها بدولة الخلافة الاسلامية غير التقاليد التى ابقى عليها ذكر اسم السلطان فى الخطبة — وهو خليفة المسلمين — ووجود نائب له فى الاقطار الليبية . ومن ذلك الحين عندما احتدم الكفاح طيلة السنوات التالية صارت اوامر السيد ومحرراته فيما يتعلق بشمال افريقية تصدر الى جميع النظارات بدار الخلافة مرعية معتبرة فى جميع الأوامر الملكية والعسكرية وارسلت اليه الادارة السلطانية ليمليها حسبما يظهر له ، فتأيد بذلك مركز الامارة غير انه كان من الواضح منذ مقابلة السيد للقائد العثمانى وصاحبيه الكونت مانسمان الالمانى وجعفر بك العسكرى أن الاتراك والالمان انما يريدون امرا واحدا فقط هو أن يشترك السيد معهم فى الهجوم على حدود مصر الغربية وتجهيز حملة لهذه الغاية . فقد بذل (نورى) و (مانسمان) جهودا عظيمة حتى يقنعا السيد بوجاهة هذا العمل وضرورته ولما كان جعفر العسكرى عراقيا ومقربا من السيد احمد حتى انه كان عظيم الثقة به لصبغته العربية فقد اتيحت الفرصة لجعفر كى يساهم بقسط كبير فى هذا الغرض ولكن دون جدوى ومما كان له كبير الأثر فى احجام السيد ان القائد العثمانى اراد منه ان يهادن السنوسيون الطليان فى هذه الآونة حتى يستطيعوا التفرغ لتدبير امر هذه الحملة الجديدة . ولما كان من المزمع ارسال هذه الحملة ضد الحدود فقد وجد السنوسيون انهم سوف يشتبكون فى حرب ضد الانجليز ، ولم يكن من راى السيد احمد ولا من راى كبار السادة السنوسية ولا من رأى بقية المجاهدين مهادنة ايطاليا ذلك العدو القديم ومنازلة دولة هى انجلترا لم تقم بينهما وبين السنوسيين حتى هذا الوقت سوى احسن العلاقات واصفاها وكان السيد محمد ادريس المهدى ابن عم السيد احمد من اشد المعارضين لمشروع الحملة ضد الحدود المصرية .

وحقا لم يكن ذلك بالأمر الهين على نفوس السنوسيين كما انه لم يكن يتفق ومصالحهم فى هذه الظروف الدقيقة قيام الانجليز ضد المجاهدين فى الاقطار العربية الليبية ومع ان الانجليز اثناء الحرب الليبية ـ الايطاليـــة تمسكوا بوقف الحياد بين العرب واعدائهم الايطاليين فانهم من الوجهـــة العملية قد تركوا العرب يبيعون الاسلاب التى غنموها من الطليان المنهزمين فى ميناء السلوم وهم الى جانب ذلك قد حرصوا على ان تظل العلاقات بينهم وبين السيد محمد الشريف مشوبة بروح الود والصداقة ، كما حـــرص السيد احمد من جانبه على استيفاء صلات المودة بينه وبينهم فكان الســـير جون ماكسويل القائد العام للجيوش البريطانية بمصر ، يصانع الســـيد كثيرا ويوليه دائما ويتحفه ببعض الكتب ويتزلف اليه بكل الوسائل اتقـــاء غارة من جهة السنوسية على مصر ، كما ان السيد كان يصانع الجنـــرال ماكسويل ويؤمنه من جهة السنوسية ويستخدمه فى قضاء اغراضه ، وكان يستصنع فى مصر البسة لطوابير الجيش الســـنوسى ، وكان رجال الحاميـــة المصرية بالطرف الشرقى من خليج السلوم ـ ولا يزيدون عن الخمســـين جنديا الى جانب عدد من رجال السواحل يقيمون فى (العقر) وعـــلى شواطىء البحر تحت قيادة الكولونيل (سسل سنو) بك الانجليزى الذى كان محافظا للصحراء الغربية ، وضابطا للمخـــابرات الانجليزية وتدعمت الصلات الودية بينه وبين السنوسيين ويخشون لو هاجموا الحدود المصرية أن يقع الفشل فى صفوف المجاهدين وان يغلبوا على امرهم بسبب ما كانوا يعلمونه من استعدادات الانجليز العظيمة ولذلك كان من راى السيد احمد الشريف مهادنة الانجليز ومطاردة الطليان على عكس ما كان يشيربه نورى ورفاقه .

اضف الى هذا ان الانجليز لم يغفلوا فى هذه الآونة عن السعى جـديا لحمل السيد احمد الشريف على التزام موقف الحياد والامتناع عن تأييـد التدابير العثمانية الألمـانية فان السير هنرى ماكمهون عند وصوله الى مصر نائبا عن بريطانيا العظمى وامبراطور الهند بعد اعلان الحماية الانجليزية على مصر بادر بالكتابة من القاهرة فى ١٥ يناير ١٩١٥ الى قطب دائرة اهل الفضل والكمال وخلاصة ارباب الحجى والجلال امام المصلحين وقدوة المرشـدين الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم السيد احمد الشريف السنوسى اعزه الله ، ولما كانت العلاقة مع هذا القطر (مصر) على الدوام ودية مع سيادتكم ، رايت ان أبلغكم وصولى ، وأؤكد لكم ان العلاقات الودية التى كانت لكم ولأســلافكم الكرام مع الحكومة المصرية ستثمر فى هذا العهد الجديد ، كما كانت عليــه من قبل من الود والسلام .

وزيادة على ذلك فقد وسط الانجليز سلطان مصر الاول المغفـــور له السلطان حسين كامل من اجل اقناع السيد احمد بتجنب القتال والاشتباك معهم ، فأرسل السلطان وفدا مؤلفا من السيد محمـد الشريف الادريسى ونجله الأكبر السيد محمد مرغنى لمقابلة السيد احمد الشريف فى(المسيعيد) وغادر الوفد القاهرة فى سبتمبر ١٩١٥ يحمل معه ثلاثة كتب احـدها من السلطان والثانى من السير هنرى ماكماهون نائب ملك الانجليز ، والثالث من السير جون ماكسويل القائد العام . ووعد الانجليز السيد انه ان احتفظ بالحياد ولم يشترك فى الحرب القائمة ساعدوه على استغلال جهاده واجتهدوا حتى يوافقوا بينه وبين الحكومة الايطالية فبلغ الوفد هـــذه الرسالة ، واستطاع السيد محمد مرغنى الاجتماع بالقائد العثمانى نورى . وفى اثنـاء الحديث معه وقف منه على حقيقة نوايا العثمانيين الذين لا يبغون من تدبير الهجوم على مصر سوى ارغام الانجليز على حشد اكبر قوة لديهم وتعطيلها من الاشتراك فى الميادين الهامة الاخرى ولو ادى هذا العمل الى الحاق الأذى والضرر بمصلحة المجاهدين انفسهم فى برقة وعندئذ لم يتوان السيد محمد مرغنى فى تبليغ ما وقف عليه الى السيد احمد الشريف فكان كل هذا ممـا جعل السيد مترددا لا يرغب فى الهجوم على الحدود المصرية .

وقد كان لهذا الوفد مقابلات اخرى مع زعماء المجاهدين وعلى الخصوص مع السيد محمد ادريس الذى لم يكن من رايه قطعا جلب عداء الانجليـــز ضد العرب وتكدير صفو العلاقات معهم وامتنع عن الموافقة بتاتا على تدبير الهجوم على الحـدود المصرية غير أن الوفد فى اثناء اقامته بين المجـاهدين لم يلبث ان شهد الامور تخرج من يد السيد احمـــد الشريف عندما نجح العثمانيون فى تدبير الاعتداء على السلوم بصورة ارغمت سيسل سنو على الانسحاب منها الى مرسى مطروح وكان هذا الحادث آخر حلقة من حلقات سلسلة تلك المحاولات التى ظل العثمانيون يقومون بها منـــذ قدوم نورى وجعفر العسكرى من اجل تعكير صفو العلاقات بين السـيد احمد الشريف وبين الانجليز ، وارغام السيد على قطع صلاته مع الانجليز والاشتباك فى الحرب معهم . وقد حدث قبل واقعة السلوم هذه ان ارسل هؤلاء الضابط وصفى وكان من الضباط العرب لاحتلال حطيه قربه التى تبعـــد حـوالى خمسة عشر كيلو مترا غربى واحة سيوة وتدخل ضمن الحـدود المصرية ، وكان القومندان المصرى فى ذلك الوقت لمنطقة مرسى مطروح وسيوه **اليوزباشى**

محمد صالح حرب ، فأبرق اليه سنو بك حتى يذهب الى سيوه لمقابلة هذه القوة والمفاوضة معها باسم الحكومة المصرية حتى تنسحب من الحدود المصرية ، فاستقل اليوزباشي المصرى أول سيارة استخدمت فى الصحراء بين مرسى مطروح وسيوه وحاول محمد صالح حرب اقناع الضابط وصفى بالانسحاب من الأراضى المصرية ولكن هذا ما كان مصمما على عدم الانسحاب الا اذا اتته اوامر قاطعة بذلك من السيد احمد الشريف ومن نورى ، واظهر استعداده للمقاومة وقال انه انما حضر الى قرية لتحصيل المكوس والعوائد من القوافل بين قرية والجغبوب ومراقبتها . وعندما بعث محمد صالح حرب يستفسر من سنو بك عما يجب فعله ويطلب اليه ان يتصل بالسيد احمد الشريف لاصدار الاوامر اللازمة الى الضابط العربى حتى ينسحب بسلام ابرق اليه سنو بك بالعودة سريعا الى مرسى مطروح لفض مشكل آخر من تدابير الأتراك كذلك .

فقد حدث فى أثناء ذهاب الضابط الى قرية ان اغوى العثمانيين نورى وجعفر العسكرى والسيد محمد هلال السنوسى بالنزول فى زاوية سيدى برانى لتحريض السنوسيين على الثورة ضد الانجليز دون علم السيد احمد الشريف وجاء السيد هلال فعلا الى سيدى برانى فطلب سيسل سنو والجنرال مكسويل من قومندان مرسى مطروح ان يبذل قصارى جهده لاقناع السيد هلال بالانسحاب من سيدى برانى وكان الانجليز قد حاولوا ذلك قبلا من السيد هلال ولكنهم اخفقوا فكتبوا الآن الى صالح حرب يرجونه بما هو معروف عنه من صدق اسلام وتقدير مسئوليات واجباته وما يتحلى به من صفات الحزم والكياسة معا ان يتوسط لدى السيد هلال حتى لا يأتى عملا مناقضا لسياسة اخيه الاكبر فما يستطيع الانجليز ان يقفوا ازاءه مكتوفى الايدى ، بل قد يجدون انفسهم منساقين الى القيام بعمل مقابل يورث السيد هلال الندم طول حياته ، فذهب صالح حرب الى سيدى برانى فى ١٩١٥ وقابل مأمورها ، وابلغه المأمور المصرى ان السيد هلال وجماعته قد ظلوا ثلاث ليال متواصلة يهاجمون القسم ويطلقون النار على الضباط المصريين والعساكر السودانيين الذين به فذهب صالح حرب بمفرده لمقابلة السيد هلال ودخل عليه فى حجرة مضيفة الزاوية ، فوجده جالسا ومن حوله بعض مشايخ السنوسية فى العقبة وعمد ومشايخ آخرون كانوا فى خدمة الحكومة المصرية ثم استغنت هذه عن خدماتهم لسوء ادارتهم ولأسباب اخرى ، وكان السيد هلال يحرض هؤلاء جميعا على « اعلان الجهاد » ضد الانجليز فانتظر صالح حرب حتى انفرط عقد المجلس ثم تكلم كلاما طويلا مع السيد هلال الذى كان يعتقد على ما يبدو ان نورى

وجعفر العسكرى انما يريدان من وراء هذه الحركة اخراج الانجليز من مصر فأظهر له صالح حرب خطأ اعتقاده وانه اذا كان ذلك صحيحا فلا جـدوى من عمل مثل هذا دون اشراك السيد احمد الشريف وموافقته على هـذه الحركة ، وفضلا عن ذلك فان هؤلاء العربان الملتفين حوله لا يمكن الاعتماد عليهم فى شىء واقام صالح حرب البرهان على صدق ما يقول عنـدما طلب حضور المشايخ والعمد مرة ثانية وامرهم بالعودة من حيث اتوا والانفضاض والا اوقع بهم اشد العقوبات الصارمة فامتطوا جميعا صهوات خيـولهم وذهبوا وبقى السيد هلال وحده دون اى نصير ، وعندئذ وافق السـيد هلال على الذهاب مع صالح حرب الى قسم سيدى برانى ومنه الى السلوم حيث كان ينتظرهما سنوبك وارسل السيد هلال الى اخيه السيد احمـد الشريف فى مساعد « المسيعيد » وانتهى تدبير العثمايين بالفشل .

غير انه حدث عقب هذه الواقعة أن طلب محمـد صـالح حرب من سيسل سنو أن يأذن له بمقابلة السيد احمد الشريف فى مسـاعد ففعل واستطاع محمد صالح مقابلة السيد أحمد الشريف وكان لهذه المقابلة آثار هامة لعدة أسباب . فان معرفة ما دار من أحاديث فى أثنائها بين الضابط المصرى والسيد احمد الشريف يساعد على معرفة موقف السيد أحمد من مسألة الحرب ضد الانجليز فى وقت كانت تنقص قواته وقوات العثمانيين عموما المؤن والذخائر والأسلحة ، ولايجد السيد أحمد بسبب ذلك أن من الحكمة واصالة الرأى معاداة الانجليز والاشتباك معهم فى حرب لا جدوى منها وخسارتها محققة فقد أراد السيد أحمد الشريف أن يعرف حقيقة موقف الانجليز فى مصر وسياستهم ونواياهم نحوه وتحدث فى هذا الشأن مع محمد صالح حرب بصراحة تامة نظرا للمساعدات التى كان يبذلها لهم محمد صالح حرب وهو نائب لقومندان مرسى مطروح الانجليزى رويال بك والاغضاء عن تهريب المؤن والذخائر والأسلحة الى المجاهدين فى أثنـاء الحرب الايطالية الطرابلسية ، أو قل اذا شئت مساعدة المهربين فى عامى ١٩١١ ، ١٩١٢ وعلى ذلك فانه عندما استفسر منه محمد صالح حرب عن حقيقة موقفه هو ، قال السيد أحمد الشريف : ان الأتراك انما يريدون أن يورطوه فى حرب مع الانجليز قبل أن يستعد لها الاستعداد الكافى ، وانه لا يمالىء الانجليز « محبة فيهم او تقربا منهم ، ولـكن مصر هى البـاب الوحيـد المفتوح الذى تأتيه منه الأرزاق والأقوات التى تستطيع بفضلها متابعة القتال ضد الطليان فاذا قفل هـذا الباب تحرج موقفه ، وانه لم يستدع الأتراك الى ليبيا الا ليجلبوا معهم الامدادات الكافية والتى يكون فيها الغناء عن ذلك الباب المفتوح . ولكن هؤلاء حضروا وليس معهم اية

امدادات أو أرزاق أو مال ، ومع ذلك فهم يطلبون منه كل يوم القيام بحركة ويلحون فى هذا الطلب . مع العلم ان بدء الحركة قبل أن يحين الوقت الملائم لذلك يعود بالشر والوبال على الجميع ، ثم اختتم السيد حديثه بقوله : وانى أصرح لك بأنه لا سلاح ولا ذخيرة ولا مال ولا أرزاق كافية لدينا وانا ليس فى نيتى أن أحارب الانجليز .

وبعد انتهاء هذه المقابلة طلب نورى باشا مقابلة محمد صالح حرب فى صيوانه وشكا نورى لصالح حرب تردد السيد احمد الشريف وامتناعه عن محاربة الانجليز ومع أن الأتراك نورى وجعفر العسكرى وصحبيهما — عندما حضروا من استانبول بناء على دعوة السيد أحمد الشريف كانت الفكرة على حد قول نورى « أن يقوم السيد أحمد بحركة ضد الانجليز تجذب شطرا من قواتهم الى الغرب بحيث يسهل على جمال باشا القائد العثمانى المرابط فى الشام أن يقتحم بجيوشه قناة السويس ويخلص مصر من الانجليز ولكن السيد أحمد بدلا من ذلك يكتفى ببذل الوعود ولا يريد أن يحرك ساكنا » واعترف نورى باشا بأنه صار مرغما بسبب سكون السيد أحمد على تدبير الخطط لفصم العلاقات القائمة بين السيد أحمد الشريف وبين الانجليز . على أنه كما يجدر ذكره انه كان فى أثناء هذه المقابلة مع القائد العثمانى ان تبين للضابط المصرى عجز القيادة عن اعداد الخطط العسكرية اللازمة لضمان نجاح اية حركات قد يقوم بها العثمانيون والسنوسيون ضد الحدود المصرية فلا القائد العثمانى يعرف اذا كان فى استطاعته الاعتماد على تموين قواته من جهات العقبة وهى المنطقة الممتدة من السلوم الى ما قبل محطة فوكه بينما أهل هذه الجهات وهم عربان أولاد على يعتمدون فى تموينهم على المؤن التى تأتيهم من داخل القطر المصرى . ولا هو يعرف كذلك اذا كان لدى أولاد على أسلحة كافية وذخائر ويصبح الاعتماد على مؤازرتهم للجيوش الزاحفة على القطر من جهتهم مع العلم بأنهم ممنوعون قانونا من حمل الاسلحة وليس لديهم سلاح ولا ذخائر .

ومع انه كان من الواضح ان لا أمل قط فى نجاح أية عمليات عسكرية من جانب الأتراك على الحدود المصرية فقد ظل هؤلاء يضغطون على السيد أحمد الشريف لانهاء علاقاته مع الانجليز ويحيكون خيوط المؤامرات لايقاع النفور والشقاق بين السيد احمد وبين هؤلاء ويضعون السيد « امام الأمر الواقع » اذا نجحت تدابيرهم ومؤامراتهم على اعلان النضال ضد الانجليز وكان من تدابير نورى وجعفر العسكرى بعد فشل حادثة السيد

هلال ، ذلك الحادث الذى انتهى بانسحاب (سيسل سنو) من السلوم .
أما تفاصيل هذا الحادث فهى كما يؤخذ من روايتى محمد صالح حرب باشا والشيخ عبد الرحمن الزقلعى الذى كان بمعسكر السيد احمد الشريف وقتئذ أن نورى حضر لزيارة السيد احمد الشريف ذات ليلة وقال له « أن الضابط الانجليزى رويال بك مساعد مفتش الحدود الغربية يأتى ليلا متزييا بزى « الاخوان » السنوسيين ويجوس خلال المعسكرات فى السلوم يجمع أخبارها ، ولذلك يجب على المجاهدين أن يقضوا عليه حتى يقيموا الحجة على الانجليز ويثبتوا عدم اخلاصهم للسيد فوافق السيد أحمد الشريف واختار نورى ضابطين هما احمد الفلالى وبلقاسم الزنتانى للقيام بحراسة المعسكر ليلا والقبض على الانجليزى رويال وطلب نورى من السيد أمرا بذلك .

فأمر السيد احمد كاتبه عبد اللطيف ان يكتب لهم ما يريدون ، فأملى نورى على الكاتب العبارة الآتية على لسان السيد احمد بعد الديباجة ، هناك خدمة وطنية يمليها عليكم نورى باشا فنفذوا ما يأمركم به ، فأخذ نورى صورتين من هذا الخطاب عليهما ختم السيد احمد الشريف . واستغل ما جاء بهذه الكتب وأصدر أمرا الى الفلالى بالهجوم على السلوم وأمرا آخر الى بلقاسم الزنتانى بالهجوم على البنبه . وبحث نورى وصحبه فى الوقت نفسه عن بعض الجواسيس الذين ينقلون اخبار المعسكر السنوسى الى الانجليز حتى عثروا على اثنين منهم رشوهما بمبلغ من الجنيهات التركية الذهب نظير أن يبلغا سنو بك ان السيد احمد الشريف قد اتفق نهائيا مع الأتراك على مهاجمة الانجليز بعد يومين وانهم قد استقدموا الى مساعد الكتائب الموجودة فى بير واعر .

وعندما تم احكام المؤامرة على هذا النحو هاجم نورى وجعفر والضابطان العربيان نقطة السلوم المصرية فى أثناء الليل وكان بها الملازم أول محمود لبيب وقوة من الهجانة فحملوهم جميعا الى المعسكر السنوسى فى مساعد . وعلاوة على ذلك أمر نورى وجعفر المدفعية التركية بأن تقوم بمناورات حول ثكنة العساكر المصريين فوق السلوم على هيئة جيش بقصد الهجوم ، فايقن سنو بك ان الاخبار التى بلغته صحيحة . ولما كان الوفد الادريسى ما يزال حتى هذا الوقت مقيما فى مساعد للمخابرة والمفاوضة مع السيد أحمد الشريف فقد زال كل شك لدى الانجليز وأيقنوا تماما ان السيد احمد الشريف يبغى الغدر بهم فدعر سيسل سنو القوة الموجودة بالسلوم

بالانسحاب فورا فحملتهم جميعا الطوافة عبد المنعم من السلوم الى مرسى مطروح وكان معهم سيسل والضابط رويال بك . واستقبلهم محمد صالح حرب واكد له سنو أنهم لو تأخروا قليلا فى السلوم لاغتالهم الأتراك والسنوسيون جميعا . اما السيد احمد الشريف فانه لم يعلم شيئا مما جرى حتى صباح يوم الحادث فاضطرب رحمه الله اضطرابا شديدا وصار يردد « أنا مخالف لنورى » وبعث برسله على الفور الى السلوم وعلى رأسهم السيد محمد الشريف الادريسى وأعضاء الوفد الآخرين لمقابلة سيسل سنو وابلاغه الحقيقة . غير ان هؤلاء وصلوا بعد خروج الطوافة من الميناء وعبثا صاروا يلوحون لها ويصرخون كى تعود الى مرساها فنالم السيد احمد الشريف من تصرف الأتراك ومحاولاتهم المتكررة لقطع العلاقات بينه وبين الانجليز فى وقت لم يكن يراه السيد أحمد مناسبا لقطعها ، وعندما اشتد الحرج عمد الى استشارة جماعة من الاخوان السنوسيين فيمايجب عليه صنعه ، ولما كان هؤلاء ضالعين مع الأتراك فقد أشاروا عليه بالانضمام الى العثمانيين فى هذه الحركة لئلا يذاع عن السيد انه على وفاق مع الانجليز وان هؤلاء قد أعطوه مالا ، فاضطر السيد احمد الشريف الى العمل بنصيحتهم ، منعا لهذه الشبهة . وعلاوة على ذلك فقد كان الجيش منحازا الى جانب نورى . وقر الرأى عندئذ على السير الى مرسى مطروح .

ومع ذلك فقد كان يبدو أن انحياز السيد أحمد الشريف الى جانب الأتراك ومحاربته الانجليز . أمر لا مفر منه فى النهاية ، ولا سيما بعد ان وصل الى علم السيد بعد انسحاب (سيسل سنو) أن الانجليز يحشدون قوة عسكرية كبيرة فى موسى مطروح لقتال السنوسيين وصدهم فسرعان ما أرسل السيد جعفر العسكرى الى المراكز الأمامية لتهدئة الحالة . غير ان جعفر بك انتهز هذه الفرصة لكى يتحرش بالقوة الموجودة فى (المرسى) زد على ذلك ان نورى وجماعته كانوا من ناحية أخرى يطلقون النار على السفن التجارية التى أتت محملة بالمؤن والسلع الى السلوم . هذا بينما كانت جماعات من المحافظة المسلحين تجىء الى الأراضى المصرية على الدوام كما قال الجنرال ماكسويل فى احدى رسائله الى السيد أحمد « اما بعلم من السيد أو بغير علم منه » فتسىء معاملة العرب الذين كانوا تحت ادارة محافظة الصحراء الغربية وتأخذ منهم الضرائب عنوة . وفضلا عن ذلك فانه بينما كان المجاهدون بقيادة جعفر العسكرى ونورى (باشا) يرحبون بالغواصات الالمانية التى كانت تنزل الأسلحة والجند بالقرب من بردى سليمان ، كانوا يطلقون النار على الغواصات الانجليزية بغير سبب ، ثم حدث عندما أغرقت غواصة المانية باخرتين انجليزيتين قرب السلوم ، ان

قبض المجاهدون على بعض بحارة الباخرتين الذين تمكنوا من بلوغ الساحل وأرسلوهم الى الاعتقال فى (زاوية الغريات) البعيدة وكذلك مما أثار شكوك السيد فى نوايا الانجليز ان بعض رجاله ادعوا العثور بين أوراق (سنو بك) عقب انسحابه من السلوم على نص معاهدة كانت مبرمة بين الطليان والانجليز ، مع أن الجنرال ماكسويل لم يلبث أن نفى فى احدى رسائله الى السيد أمر هذه المعاهدة كلية لسببين : « الأول لأنه لم يعمل معاهدة مثل هذه قط ، والثانى لأن سنو بك لم يكن عنده السلطة لأن يعقد معاهدة كهذه » .

غير ان السيد على الرغم من هذا كله كان لا يزال يريد المحافظة على العلاقات الودية مع الانجليز ، متمسكا بموقف المساعدة معهم ، وذلك بتبادل المكاتبات مع الجنرال ماكسويل لاظهار صداقته له ولازالة أى أسباب قد تدعو الى الشك واثارة سوء التفاهم بينهما ، كما حدث فى مسألة المعاهدة المزعومة مثلا . وكذلك كان الانجليز من جانبهم يبذلون — كما تقدم — جهدا جبارا من أجل ارضاء السيد ومنعه من الاندفاع فى التعاون مع جعفر ونورى فى الاغارة على الحدود المصرية ، وعرضوا عليه وعودا سخية اذا هو تمسك بخطة المسالمة . ولكن حبطت هذه المساعى جميعا من الجانبين معا لان الانجليز كانوا يريدون من السيد ان يقيم البرهان الساطع على ما يكنه لهم من ود وصداقة ورغبة فى المسالمة وذلك كما جاء فى كتاب السير جون ماكسويل الى السيد فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٥ . بأن يرسل السيد احمد رجالا الى مرسى مطروح الرجال الانجليز الذين نجحوا من مركبهم وهم الآن غرب حدودنا . وان تعيدوا العلاقات الودية معنا وتخرجوا من بلادكم المستشطين الأتراك والألمان أى نورى بك ومانسمان وغيرهما من الذين لا شك فى أنهم يجلبون عليكم وعلى بلادكم بلاء عظيما « الا أنه لم يكن فى استطاعة السيد أن يجيب رغبة الانجليز فى اخراج نورى ومانسمان ورجالهما « وطردهم من برقة » وبخاصة بعد ان تحرش اتباعه ورجاله بالانجليز مرارا — سواء حدث هذا التحرش على غير علم من السيد أو بعلمه . وقد هدد الجنرال ماكسويل فى كتابه هذا انه اذا أصر السيد على اتخاذه « خطة عدائية » فانه عندئذ « لا يجلب عليه ايطاليا فقط بل وفرنسا وانجلترا ومصر ويتحمل مسئولية جميع النفوس التى

تضيع فى هذا السبيل ويعرض بلاده للجوع ، اذ تسد عليهم طرق الزاد والمئونة برا وبحرا وتحصر الشطوط البحرية ، ولكن هذه التهديدات أو النصائح كما شاء السير جون ماكسويل أن يسميها ، قيت على غير أثر ولم يطرد السيد من برقة نورى ومانسمان . وأما السبب الثانى فى اخفاق مساعى المسالمة من الجانبين فهو ان نورى كان يكثر من الضغط على السيد لارغامه على الاشتراك فى الهجوم على مصر .

ولم تكن العلاقات بين السيد احمد الشريف ونورى بك على درجة كبيرة من الصفاء فى أثناء وجودهما بالسلوى ، بل كثر الخلاف بينهما لان نورى كان يمعن فى التحرش بالانجليز ويطلق رجاله النيران على السفن الآتية الى السلوم ، وهى سفن محملة بالأرزاق والمتاجر التى يحتاج اليها السنوسيون حاجة شديدة مما اغضب السيد ، زد على ذلك ان نورى اخذ يجفو من معاملته مع السيد لأنه كان لا يرضى عن موقف المسالمة الذى أراد السيد ان يقفه من النزاع على الحدود الغربية بين الأتراك والانجليز ، فأرسل نورى الكتب الى اخيه (أنور باشا) يقول ان السيد لا يريد معاداة الانجليز بل انه ممالىء لهم سرا ، وغير ذلك من الأقاويل « حتى صار رجال وزارة الحرب العثمانية » يلمزون السيد ويعزون اليه امورا « كانت ولا شك غير صحيحة » مثل كونه يريد الخلافة لنفسه ، ومثل انه غير مخلص للدولة ، الى غير ذلك . ثم جاءت الكتب الكثيرة من أنور باشا الى السيد تحضه على اجابة رغبات نورى ، وتطلب منه عدم التباطؤ فى الهجوم على مصر ، ثم أرسل نورى الى جانب هذا سعاة الى مصر يذيعون على السيد انه لا يريد الهجوم على هذه البلاد حرصا منه على مودة الانجليز وصداقتهم مع ان العثمانيين — كما قال — كانوا يسعون جهودهم لطرد الانجليز من مصر واوفدوا نورى لتدبير الحملة على الحدود الغربية لهذه الغاية .

ثم زادت متاعب السيد عندما صارت تأتى اليه الرسل من مصر ذاتها « تعاتبه على موقفه هذا » وتبين له ما يخالج المصريين نحوه من الظنون بسبب تخلفه عن الزحف « وعندئذ قرر السيد احمد الشريف بسبب ما تقدم جميعه وبعد حادث السلوم خصوصا أن يشترك مع العثمانيين و (والألمان) فى الزحف على حدود مصر الغربية » . وعندما وصل السيد الى هذا القرار استدعى نورى بك وخاطبه قائلا « ها أنا حاضر للمسير فلا تقدر أن تقول ان العائق كان منى ، وانما اذا فشلت هذه الحملة فلا أكون أنا المسئول » .

وعندئذ أرسل السيد قوة لاحتلال سيوة بقيادة اللواء وصفى باشا
حازمى الطرابلسى فتم له ذلك . وأما السيدنفسه فقد سار بالجيش —
عدده أربعة آلاف مقاتل — ومعه نورى قائدا أول وجعفر العسكرى قائدا
ثانيا ، وغرضهم الهجوم على السلوم ، فاخلى الانجليز منطقة السلوم ثم
بقبق) وتقهقروا داخل الحدود ، وانذروا فى الوقت نفسه القائد
العثمانى (نورى) بانه اذا تجاوز جيشه نقطة سيدى برانى الى الشرق
صدوا له وقامت الحرب .

ولكن نورى لم يأبه بهذا الانذار بل ظل فى تقدمه حتى تجاوز العرب
سيدى برانى ، وبلغوا فى زحفهم زاوية أم الوخم غربى مرسى مطروح ،
عندئذ جهز الانجليز لقتالهم جيش بلغ الثلاثين ألفا من مشاة وفرسان الى
جانب عدد كبير من المدافع فقامت بين الفريقين معارك ساهم فيها محمد
صالح حرب قومندان مرسى مطروح بنصيب وافر .

ويقول محمد صالح حرب باشا انه حدث عقب وصول سيسل سنو
رويال مع القوة المنسحبة من السلوم الى مرسى مطروح أن سنو بك ما لبث
حتى حضر لمقابلته بالمكتب واعطاه سلطات الحاكم العسكرى فى المرسى وطلب
اليه اخلاء العزبة من جميع الغرباء والقاطنين بها كالطليان واليونانيين ومن
اليهم وتم الاستيلاء على المتاجر الموجودة بها لحساب الجيش بعد تقدير
اثمانها وذلك كله تمهيدا لاتخاذ مرسى مطروح مركزا للعمليات العسكرية
المنتظرة .

وفى اليوم التالى بدأت تصل النقالات الى المرسى تحمل الجنود الهنود
والسيارات المدرعة وكان فى وسط هذه الظروف ان شرع صالح حرب
يفكر جديا فى الانضمام الى المجاهدين العرب يدفعه الى ذلك شعوره العميق
بالعزة القومية والكرامة الوطنية فى وقت كان الانجليز قد أعلنوا فيه الحماية
على مصر منذ بدء الحرب العالمية (الأولى) . ويدفعه الواجب الوطنى الى
اعلان الجهاد ضدهم وبالرغم من انه كان يتنازع القومندان المصرى عامل
اليأس فى نجاح حركات العثمانيين والسنوسيين لما شهده من تفرق كلمتهم
عند زيارة معسكرهم فى مساعد وعدم وجود اية مؤن او ذخائر او اسلحة
لديهم ، الا ان دافع العاطفة الوطنية كان اشد واقوى وفضلا عن ذلك فقد
اعتمد صالح حرب على تحريك عربان اولاد على المنتشرين على الحدود
الغربية الشمالية واستمالتهم الى الثورة ضد الانجليز أضف الى هذا
ان سنو بك لم يظهر اى اهتمام بمصر والقوة المصرية السودانية فى سيدى

براني وفى بقيق بعد الانسحاب من السلوم فقد أرسل سنو الى سيد براني سيارات مدرعة بقيادة تويدى أحد الضباط الانجليز قبل الانسحاب ثم علم منه صالح حرب أنه سوف يعود بهذه السيارات الى مرسى مطروح تاركا المصريين والسودانيين الموجودين فى سيدى براني وشأنهم بدعوى « ان هؤلاء الجند مسلمين والأتراك والعرب مسلمين فى وسعهم جميعا أن يفعلوا ما يشاءون ضد بعضهم بعضا ، هذا مع العلم بان العثمانيين كانوا يطلقون النار على هذه القوة المرابطة فى سيدى براني على نحو ما تقدم ذكره وعندما أصر صالح حرب على ضرورة انتظار تويدى فى سيدى براني حتى يتم انسحاب جميع المصريين وينجوا من هجوم العدو عليهم وقتلهم اكتفى سنو بك بأن يعد بارسال تويدى مرة اخرى الى سيدى براني بعد عودته بالسيارات المدرعة منها وكان من الواضح أن يتعذر تحقيق هذا الوعد بعد الانسحاب من السلوم الى مرسى مطروح فكان من اثر هذه العوامل جميعا ان قرر صالح حرب فى ليلة ٢٥ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩١٥ الانضمام الى المجاهدين واعلان الثورة ضد الانجليز .

وكانت القوات المصرية الخاضعة للقومندان المصرى فى ذلك الوقت موزعة بين مرسى مطروح والسلوم وسيدى براني وقرية (عند واحة سيوة) وكانت قوته فى المرسى تتراوح بين خمس واربعين وخمسين جنديا عدا اربعة من الضباط (وباشكاتب القسم) فخرج بهم جميعا وسط السيارات المدرعة وكانوا جميعا ما عدا أحد الضباط فقط يجهلون نواياه ، ولم يشك الانجليز فى أنه كان يعتزم القيام بعملية كشف (أو دورية) بوصفه قومندان المرسى فأفسحوا له الطريق واتجه صوب السلوم ثم أخذ يمر فى طريقه بعمد ومشايخ مرسى مطروح ويضمهم اليه وعند الفجر وصل الجمع الى دار (أو دور) عائلة العاصى من قبيلة (القنيشات) وهناك جمع صالح حرب الرؤساء والضباط والمشايخ والعمد وخاطبهم قائلا « نقف الآن بين معسكرين أحدهما معسكر الانجليز أعداء الله والوطن الذين رفعوا علينا الحماية والآخر معسكر العرب والأتراك الذين يقولون انهم جاءوا ليخلصونا ، وقد اقنعنى ضميرى وواجبى الدينى بعدم البقاء مع الانجليز وقد خرجت فى سبيل الجهاد ضدهم فمن كان منكم يحرص على حياته أو تلزمه أية مسئوليات عائلية بالعودة الى مرسى مطروح فاني لا أحول بينه وبين العودة انما على شريطة ان يترك ما معه من سلاح ومؤونه ، فلم يرغب احد منهم فى العودة بل أبدوا جميعهم تصميمهم على البقاء الى جانب رئيسهم ، يعيشون معا ويموتون معا) وعاهدوا الرئيس على الجهاد ومن ذلك بدأت الثورة

بصورة علنية واستجاب له عربان قبائل أولاد على وأمر صالح حرب بانشاء اول دور للمجاهدين فى وادى ماجد على مســــافة عشرة كيلو مترات الى الجنوب الغربى من مرسى مطـروح ، وانتشرت الثورة فى أنحاء العبقـة والعقيبة — ويطلق اسم العقيبة على المنطقة الممتدة من الحجاج غربى محطة فوكة الى مريوط ، وكان انتشار الثورة فى هذه الجهات مفاجأة للانجليـز لأنه ما كان يخطر ببالهم أن يثور أولاد على والضباط المصريون عليهم • ثم استأنف محمد صالح حرب سيرة صوب الغرب حتى اذا اقترب من سيدى برانى صادف جماعات من المحافظة وهم جنود السنوسيين النظاميون فأطلق هؤلاء النار على صالح حرب والقوة التى معه ظنا منهم أنهم أعداء يقصدون قتالهم ، وقد استطاع المجاهد المصرى بعد التفاهم معهم أن يصرف ما وقع من حوادث بعد انسحاب سيسل سنو من السلوم •

فقد خرجت بعض الكتائب السنوسية من السلوم بقيادة الضباط الاتراك وتحت رئاسة (جعفر) باشا العسكرى وزحفت هذه القوات على سيدى برانى واحتلوها ولكن جعفر العسكرى ما كان يدرى ما يجب عليه أن يفعله بعد الوصول الى سيدى برانى بينما كانت الفوضى تمد رواقها على معسكره ولا اثر للنظام بين جنوده • وفضلا عن ذلك فان السيد احمد اشريف لم يوافق على هذه الحركة ولم يباركها ، وعندما وصلت القوات المصرية الى سيدى برانى قابلها جعفر العسكرى بترحاب عظيم ورجا صالح حرب أن يذهب الى السلوم عساه ينجح فى التوفيق بين معســـــكر السنوسيين و (السيد احمد الشريف) ومعسكر الأتراك (نورى باشا) فقد ظل الخصام قائما بين المعسكرين وبذا استحال على جعفر العسكرى كما قال — ان يتقدم الى الامام خطوة واحدة •

وعلى ذلك فقد خرج صالح حرب قاصدا السلوم فنزل أولا فى بقيق ووجد بها (طابورين) او كتيبتين « نموذجيتين » بقيادة امين بك وغالب بك من الضباط الأتراك وليس معهما « قوت يوم » ثم تابع صالح حرب سفره الى السلوم فقوبل بحماس عظيم واحتفى المعســـكران السنوسى والعثمانى باستقباله احتفالا كبيرا ووجد المجاهد المصرى فى السلوم الوفد الادريسى السيد محمد الشريف بن عبد المتعال الادريسى وأعضاء أسرته فى ضيق وحرج شديدين وأخبره السيد احمد الشريف بتفاصيل خدعة الاتراك التى افضت الى انسحاب سيسل سنو من السلوم ، ووجد صالح حرب ان اليأس قد بلغ من العثمانيين حدا بسبب موقف السيد احمد الشريف منهم جعلهم يحتفظون بقنابل يدوية صغيرة فى جيوبهم استعدادا لنسف المعسـكر اذا

انقلب السيد عليهم وباءت مشروعاتهم بالفشل . فبذل صالح حرب قصارى جهده لاقناع السيد احمد بالعدول عن موقفه على أساس ان السيد اذا ظل مصرا على خطته السلبية حيال تلك الحركات التى يراد بها خلاص مصر من قبضة الانجليز ومساعدة دولة الخلافة فى حربها ضد العدو ، فان هذا الموقف السلبى لن يفسر لصالحه اطلاقا بل سوف يتخذه أعداؤه وسيلة لالحاق الأذى بسمعته فى العالم الاسلامى قاطبة ويظهرونه بمظهر الضالع مع الانجليز والطليان والممالىء لهم ضد بلاده . وعلاوة على ذلك فقد أفلت زمام الأمور من يده وصار واجبه الآن يقتضيه اما التقدم واما الانسحاب الى الأدوار الخلفية وترك الميدان حرا للعثمانيين يعملون ما بدا لهم على شريطة أن يكون ذلك بمحض ارادته . واستطاع صالح حرب كذلك أن يقنع نورى باشا وصحبه بضرورة الاعتذار للسيد عن حادث السلوم واسترضائه فطيب نورى خاطر السيد وانتهى الخلاف الظاهر بينهما ولما علم صالح حرب باشا ان العثمانيين يبيتون النية على الفتك بأعضاء الوفد الادريسى عند انسحابهم من السلوم الى مصر بعد اخفاق المفاوضات بدعوى ان هؤلاء خونة وتقع عليهم مسئولية تأخير الحركات العسكرية استطاع ان يقنع نورى باشا باستدعاء الكمين الذى كان يترقبهم فى طريق عودتهم من السلوم . وغادر الوفد السلوم بأمان ثم تركت قوات المجاهدين السلوم قاصدة العقبة ومنها الى سيدى برانى ومن ثم بدأت العمليات العسكرية .

وكان أول المعارك الجدية التى حدثت فى وادى ماجد بين المعسكر الذى أقامه صالح حرب فى تلك الجهة وبين الانجليز هذه المعركة الشديدة التى فشل فى أثنائها سيسل ستنو ثم تلا ذلك معركة أخرى فى أم الرخم بين طلائع الاتراك والسنوسيين الزاحفة وبين الانجليز . وعند اكتمال حشد هذه القوات وقعت معركة وادى ماجد الثانية فى ديسمبر ١٩١٥ وقد اشترك فى هذه الموقعة والمواقع التلية الى جنب صالح حرب (باشا) جماعة من الضباط المصريين نذكر منهم اليوزباشى سيد أحمد أفندى أبو شادى والملازم الأول عبد الحميد حمدى والملازم أول أمين ذهنى والملازم الأول محمود لبيب والملازم الاول أحمد سالم والملازم الثانى ابراهيم عوض والملازم الثانى محمود عبد الواحد عدا صولين وضابط بحرى هو الملازم الأول أبوزيد مقلد وباشكاتب القسم عثمان أفندى الدرعى . وبعد معركة وادى ماجد الثانية تقدم صالح حرب مع الهجانة والمجاهدين السنوسيين الى جهة الزرقاء الى الجنوب الشرقى من مرسى مطروح بينما انسحب جعفر العسكرى بالجيش من وادى ماجد ثم طلب الى صالح حرب أن ينسحب هو الآخر

من الزرقاء الى الشرق وأن يجتمع بقية القوات فى بئر الصُريحات . ولما لم يجد الجيش ماء بهذا المكان الأخير انسحبت القوة الى بئر تونس على أمل العثور بها على ماء ، ولما لم يجدوا بها ماء كذلك ، اشار السيد احمد الشريف باستسقاء الماء فتفتحت أبواب السماء وانهمر المطر مدرارا حتى رويت القوة باجمعها وكان لانهمار المطر فى ذلك الوقت فائدة أخرى هامة وهى ان الانجليز الذين كانوا قد صح عزمهم على مفاجأة المجاهدين بعد انسحابهم من وداى ماجد وجمعوا لهذه الغاية حوالى ثلاثة عشر الف مقاتل حبط مسعاهم لأسر القوة المحتشدة فى بئر تونس بسبب تعذر السير بسياراتهم المدرعة . وعلى ذلك فما كاد الجو يصفو من المطر الذى ظل ينهمر مدة يومين حتى شاهد المجاهدون سيارات الانجليز ومعسكرهم على بعد يسير منهم . وسرعان ما نشبت معركة بئر تونس وكانت حامية الوطيس غير ان المجاهدين كانت تنقصهم المؤن والخائر فاضطروا الى التقهقر وعندئذ عقد السيد أحمد الشريف مجلسا حربيا دعى اليه الضباط الاتراك وعلى راسهم نورى باشا وجعفر العسكرى ، وحضره صالح حرب نائبا عن الضباط المصريين ، وثلاثة من كبار مشاريخ السنوسية برئاسة السيد أحمد نفسه لبحث الموقف ، وكان السيد احمد فى غضب ظاهر وانحى باللائمة على الاتراك الذين تسرعوا فى بدء هذه العمليات العسكرية على الرغم من عدم استكمال الاستعدادات اللازمة لها ، الأمر الذى سبب تردد السيد احمد واعتراضه السابق عليها . وقد اختتم السيد أحمد حديثه بعد أن شرح الحالة وما حدث من تقهقر الى الوراء بدلا من التقدم الى الأمام والزحف صوب مصر بقوله مخاطبا نورى وجعفر العسكرى وزملاءهما « فما رأيكم وقد أوصلتمونا الى هذا الحال وظهر أنى كنت على هدى وكنتم على ضلال؟» فاقترح نورى وجعفر العسكرى اللجوء الى فكرة حرب العصابات وطلب السيد أحمد الى صالح حرب أن يدلى برأيه فعارض المجاهد المصرى هذه الفكرة معارضة شديدة كما نقد الخطة الاستراتيجية التى سار عليها الاتراك حتى ذلك الوقت نقدا امرا على اساس ان التقدم من ساحل البحر فى أرض مكشوفة يسهل على الانجليز معرفة مواقع قوات المجاهدين وتسليط النار عليها من مدافع سفنهم ، وفضلا عن ذلك فان الأرض صلدة متماسكة تصلح لسير السيارات المدرعة عليها واستخدام قوات الفرسان الكبيرة كما تصلح لنقل المشاة على العربات من مكان آخر ، هذا علاوة على أن القرب من الساحل يمكن الانجليز من انزال أية نجدات أو امدادات يشاؤنها من سفنهم الى البر بسهولة بصورة يستطيعون معها أن يقطعوا خط الرجعة على

المجاهدين . وذلك كله فى وقت لم يكن فيه لدى المجاهدين من وسائل النقل سوى جمل واحد لكل ثمانية انفار وتنقصهم الأرزاق والمؤن ولا سبيل لحماية مواصلاتهم ، وعلاوة على ما تقدم فان الاقدام على حرب العصابات فى منطقة العقبة والعقيبة كما يريد نورى وجعفر العسكرى خرق فى الراى ما فى ذلك شك اذ البلاد فى هذه الجهات منبسطة كالكف لا يوجد بها غابات ولا جبال ولا قرى تستطيع العصابات أن تلجأ اليها وتعتصم بها ، ومن الهين على الانجليز أن يكشفوا مواقعها وكان من رأى صالح حرب للخلاص من هذا المأزق أن ينتقل المجاهدون الى الجنوب ويحتلوا الواحات وهى المكان الذى يصلح لتنظيم حرب العصابات ولكن نورى وجعفر أصرا على عدم الابتعاد عن الاسكندرية والبحيرة » والمضى فى خطتهما القديمة .

وعند ذلك رأى السيد أحمد الشريف ارضاء للاتراك من ناحية ولانه تبين الصواب فيما ذكره صالح حرب من ناحية أخرى أن تنقسم القوة فريقين فريق يذهب الى الجنوب وهدفه احتلال الواحات وكان يتألف من حوالى خمسمائة وثلاثة آلف جندى والفريق الآخر وعدده ستة آلاف جندى تقريبا يبقى فى الشمال وعهد بقيادة الجناح الجنوبى الى صالح حرب بينما تولى جعفر العسكرى قيادة الجناح الشمالى ، وبقى نورى باشا قائدا عاما على الجناحين على أن يظل مع جعفر باشا العسكرى فى الشمال وينتقل السيد احمد الشريف الى الجنوب فلم يسع نورى وجعفر سوى الاذعان . ثم منح السيد أحمد بما له من الحق كتائب الخليفة الأعظم رتبة اللواء الفخريه لصالح حرب باشا ثم انسحبت قوة نورى وجعفر من بئر تونس قاصدة بئر الكلاب بينما تحركت قوة صالح حرب والسيد أحمد الشريف قاصدة سيوة .

وحدث عند بئر الكلاب أن فاجأ الانجليز قوات نورى وجعفر العسكرى ودارت بين الفريقين معركة شديدة عرفت باسم معركة العقاقير شرقى سيدى برانى فى فبراير سنة ١٩١٦ ، وكان الانجليز بعد أن تقهقر المجاهدون من بئر تونس قد صح عزمهم على الاشتباك معهم فى معركة فاصلة فكان لهم ما أرادوا وجرح جعفر العسكرى فى هذه المعركة وافلت نورى من أيديهم باعجوبة بعد أن أبلى هو وضباطه والجيش بلاء حسنا ، وقد حضر هذه الموقعة مجاهد مصرى شاب هو الاستاذ عبد الرحمن عزام وكان قد وصل بعد اجتيازه الحدود المصرية الى معسكر المجاهدين عقب واقعة بئر تونس وبقى مع فريق نورى وجعفر العسكرى فحضر موقعة العقاقير . وكان من

اثر هذه المعركة الفاصلة أن شتت شمل القوات الشمالية تماما واستطاع الانجليز مطاردة فلول الجيش وتعقبتهم السيارات المدرعة متوغلة فى برقة الى ما وراء بئر واعر واضطرت بقايا قوات نورى باشا الى الالتجاء اخيرا الى العقيلة فعسكروا بها اما الانجليز فدخلوا السلوم فى ٢٤ مارس ١٩١٦ واستولوا على معسكر السنوسيين والمجاهدين بها .

غير أن لانجليز على الرغم من انتصاراتهم ظلوا يعللون النفس بامكان الوصول الى تسوية سليمة مع السيد احمد الشريف رغبة منهم فى تضييق دائرة الحرب وتوفير الجنود حتى يتسنى لهم مقابلة أعدائهم فى ميادين اخرى كانت أشد خطرا وأعظم أهمية . وعلى ذلك فقد استمرت المكاتبات بينهم وبين السيد أحمد الشريف بقدر ما سمحت الظروف وقتئذ فأعاد السير جون ماكسويل قائد الجيش البريطانى العام فى هذه الجبهة القول على السيد أحمد فى ٨ مارس ١٩١٦ أى بعد معركة العقاقير بأيام قليلة يعرض عليه الشروط التى رأى أنها ممكنة لبدء المفاوضة على أساسها من اجل انهاء الحرب وعقد الصلح معه ، وكان السير جون ماكسويل قد أبلغ السيد احمد الشريف هذه الشروط ذاتها منذ ٤ يناير ١٩١٦ . واما هذه الشروط فكانت تنحصر فى ان يسلم المجاهدون جميع الاسرى من البريطانيين أو الهنود أو الأوروبين الذين وقعوا فى قبضتهم ثم أبعاد جميع الأتراك والالمان الذين كانوا فى معسكر السيد أحمد الشريف أو تسليمهم الى الانجليز كأسرى حرب اذا تعذر على السيد أحمد أبعادهم كما كان على السيد أحمد أن يخرج رجاله المسلحين من الأراضى المصرية وأن يتعهد فى الوقت نفسه بمنع دخول هؤلاء اليها والا عوملوا معاملة الأعداء ، حيثما وجدوا ، وأخيرا طلب من السيد أحمد وأعوانه أن يجلوا اجلاء تاما عن سيوة والسلوم والجهات الواقعة الى الشرق منها وأن يقيموا السلام فى جغبوب . ولكن هذه العروض لم تلق اهتماما من السيد أحمد .

ذلك بأن السيد بعد موقعة بئر تونس كان فى طريقه الى سيوة لمواصلة النضال فى الجنوب . وعلاوة على ذلك فقد كان رحمه الله يعقد آمالا عظيمة على نجاح حركة على دينار وثورة دارفور ، وكان على دينار قد شق عصا الطاعة على حكومة السودان فى ذلك الوقت واشتبك مع قوات الحكومة فى مناوشات ومعارك عدة . اضف الى هذا ان السيد كان يؤمل خيرا من قيام العمليات العسكرية على الحدود المصرية فى الصعيد بيد أن ثورة على دينار سرعان ما قضى عليها فى مايو ١٩١٦ . ثم لقى على دينار نفسه حتفه فى

نوفمبر من تلك السنة وذلك فى أثناء العمليات العسكرية التى استمرت على الحدود الغربية طيلة عام ١٩١٦ وأوائل العام التالى أيضا .

وقد استطاعت قوة محمد صالح حرب الوصول بسلام الى سيوة وكانت تتألف من حوالى خمسمائة وثلاثة آلاف جندى كما تقدم ذكره وبعض الضباط الأتراك وهم نديم وعبد القادر من المشاة وفوزى مع مدافع الماكينة وضياء مع الطوبجية ثم الضباط المصريون ابراهيم عوض ومحمود عبد الواحد ومحمود لبيب وأمين ذهنى والصول عبد الله والباشكاتب عثمان الدرعى والدكتور السيد دسوقى . ثم نزلت القوة من سيوة الى الواحات البحرية والفرافرة والداخلة وانضم اليها جميع من كانوا بهذه الواحات من الموظفين المصريين ومن بين هؤلاء لدكتور محمد عبد الله ومن ضباط البوليس عبد القادر طراف من البحرية ثم مأمور هذه الواحة ومأمور الداخلة .

واستمرت حرب العصابات ضد لانجليز طول عام ١٩١٦ وأوائل العام التالى. وانشأ الانجليز فى الواحات الخارجة معسكرا يرسلون منه الطائرات على العصابات بينما ظلت هذه العصابات تشن الغارة عليهم فى الواحات الخارجية من حين لآخر . وترك صالح حرب قوة قليلة فى واحة سيوة لملاحظة الأمن والسهر على حماية هذه الواحة كما ترك قوة أخرى لهذا الغرض فى كل من واحة البحرية والفوافرة ، وانشاء معسكرا فى قرية فئيدة من قرى الواحات الداخلة واقامت القوة الرئسسية فى الداخلة ثم بدا صالح حرب مفاوضاته مع مشايخ العرب من الصعيد فى المنيا وأسيوط والفيوم. ولكن لم نلبث أن جاءت ردودهم غير مشجعة على ارسال العصابات الى بلدان الصعيد وكان أشد ما يخشاه رئيس هذه القوات (صالح حرب) ان تترك العصابات فى الصعيد على غير رغبة هؤلاء المشايخ فلا تجد المأوى والأرزاق وتضطر الى النهب والسلب ويقع الاصطدام بينها وبين الأهلين ، ولكنه استطاع أن يمنع نزولها على الرغم مما كان يقاسيه أفرادها من شظف العيش حتى أنهم باتوا لا يجدون ما يرتدون أو يتعلون . وصاروا يعيشون على التمر وحده عدة شهور واستمرت أعمال العصاباتمقصورة على مهاجمة معسكر الانجليز فى الخارجة والاشتباك مع دورياتهم بينما ظل هؤلاء يلقون قنابلهم على الطائرات على العصابات ومراكز المجاهدين . وأفلح صالح حرب فى الغرض الذى سعى اليه من هذه الحركة وهى احتجاز قوات انجليزية كبيرة على الحدود العربية وفى القطر المصرى كان لانجليز فى أشد الحاجة الى استخدامها فى حملة الدردنيل المشهورة .

واضطر الانجليز آخر الأمر الى وضع خطة عسكرية كبيرة الغرض منها القضاء على حرب العصابات قضاء مبرما ، وقوام هذه الخطة أن يجتمع حشــد كبير من الانجليز فى الواحات الخارجة ، بشن هجــوما عنفا على المجاهدين فى الواحات الداخلة ، بينما تجتمع قوات انجليزية أخرى عند عزو الرماك الواقعة الى الغرب من الفيوم مهمتها الهجوم على الواحات البحرية ثم تجتمع قوة ثالثة من السيارات المدرعة فى الحفرة قرب منخفض القطارة حتى نقطع خط الرجعة على المجاهدين ، ولما كان معنى ذلك اذا نجحت خطط الانجليز الاحاطة التامة بعضابات المجاهدين ومركزهم العام فى الواحات الداخلة ، فقد بات من الضرورى الانسحاب من الداخلة الى الغرب جنوب سيوة والجغبوب . ولا سيما قد وصلت الاخبار الى الداخلة منبئة بفشل حركات الشرق واخفاق جيش جمال باشا فى اقتحام قتال السويس ، هذا فضلا عن أن الانجليز استطاعوا أن يكشفوا مركز المجاهدين بواسطة طائراتهم وجلبوا الامدادات العظيمة للاحاطة بقوتهم وتحطيمها .

ولذا فلم يعد من الحكمة بقاء العصابات فى الداخلة فاستقر الرأى على الانسحاب بعد أن شغلوا الانجليز مدة طويلة . وفى هذه الأثناء وصل السيد أحمد الشريف من الجغبوب وسيوة فى أواخر ١٩١٦ فقامت الاستعدادات على قدم وساق لاتمام الانسحاب من الداخلة بكل سرعة . وكان الانسحاب مهمة عسيرة شاقة لأنه كان من الضرورى قبل كل شيء أن يتم الانسحاب دون علم العدو حتى لا يقوم بهجوم على الجيش المنسحب ، ثم كانت هناك مشكلة النقل العويصة ذلك أنه لم يبق لدى جيش صالح حرب سوى عشرين ومائة جمل فقط من حوالى الثمانمائة جمل عنده حولهم الاى الواحات ، هذا فضلا عن أن ثمانين فى المائة من الجنود كانوا مرضى بحمى الملاريا وكان ايضا ينقص الجيش الأوعية اللازمة لنقل المــاء . ولكن سرعان ما تغلب قائد الجيش على هذه الصعوبات جميعا فتحركت الحملة بسلام من الواحات الداخلة الى الواحات البحرية بعد أن أدخل لمجاهدون فى روع الانجليز أنهم يريدون تركيز قواتهم فى الواحات البحرية لهاجمتهم فى الفيوم (عز والرماك) من هذه الواحات وجهز صالح حرب مفرزة صغيرة بعث بها لتقوم بحركة (كشف تعرضيه ا شرق عزو الرماك حتى يتوهم الانجليز أنها مقدمة لهجوم عام على مراكزهم . فاحتلت الفرزة عزو الرماك واطلقت النيران على القوات الانجليزية واعتقد الانجليز أن المجاهدين على وشك القيام بهجوم عام ضدهم فاخذوا يجمعون قواتهم وانتهز صالح حرب

هذه الفرصة فأمر بانسحاب الحملة من الواحات البحرية ثم انسحبت المفرزة من غزو الرمال وتابع الجميع سيرهم صوب الغرب . ولما تبين للانجليز أمر هذه الخدمة عبأت سياراتهم المدرعة تتعقب جيش الحملة ولكن المجاهدين كانوا قد استطاعوا الاعتصام بالغرود (وهى الجبال الرملية) فتعذر على السيارات أن تسير فى أثرهم ووصلت الحملة فى أمان الى سيوة .

وكان أول ما عنى به رئيس الحملة عند وصوله الى سيوة ارسال التمر الى الجغبوب لتموين الجيش عند وصوله اليها ولما لم يكن لدى الحملة عدد كاف من الجمال لنقل التمر الى الجغبوب فقد اضطر الجيش الى الانتظار فى سيوة مدة شهر تقريبا .

ومع ذلك فقد استطاع صالح حرب أن يرسل أكثر المجاهدين الى جغبوب حتى انه لم يبق سوى كتيبة (الحافظية) وهم حملة القرآن الكريم وحرس السيد احمد الشريف الخاص وكتيبة اخرى من الحاسة وثالثة من العبيدات ومدفعين من طراز (مانتل) القديم ومدفعى ماكينة بقيادة الضابط فوزى وطوبجية مدفعين بقيادة ضياء وبلوك واحد ن الزنوج السنوسيين واستقرت هذه القوة الصغيرة فى قرية وكانت تتألف من حوالى المائتين أو ثلاثملائمة مقاتل .

وكان فى أثناء اهتمام المجاهدين بارسال التمر وقوانهم المحاربة الى جغبوب أن استطاع الانجليز من ناحيتهم اتمام استعداداتهم العسكرية فى مرسى مطروح ، فقاموا بهجوم مفاجىء على مراكز المجاهدين فى قرية ونشبت معركة حامية بين الفريقين وكان صالح حرب يتولى قيادة المجاهدين وقد ابدى مهارة فائقة فى تعطيل حركات العدو ومناوراته العسكرية ، ولما كان مع الانجليز ثلاثمائة سيارة منها ست وعشرون سيارة مدرعة رأى قائد المجاهدين أن من الحكمة أن ينسحب أمام الانجليز فى الرجال والأسلحة وأشار على السيد احمد الشريف بالانسحاب من حطية أم عشا ، ثم تمكن من الانسحاب هو الآخر بمدافعه وذخيرته وقوته بسلام الى ام عشا ثم تابع الجميع سيرهم حتى وصلوا الى (المناصب) حيث وجدوا العدو الذى أخذ يتعقبهم ويسد عليهم الطريق بساراته فى السهول . غير أن عجز السيارات عن الصعود على الغرود وهى التلال الرملية المنحدرة حتى اتخذ المجاهدون أماكنهم ما لبث أن فوت على العدو غايته ، ووصل المجاهدون الى قرية (حطية) الشهيات ومنها الى الجغبوب فدخلوها بسلام فى أوائل عام ١٩١٧ .

ويقول محمد صالح حرب (باشا) وقد اقمنا فى الجغبوب أسبوعا واحدا ثم جاءنا خطاب من السيد محمد أدريس السنوسى وهو يعركمه مضمونه ، جاءه انذار من الانجليز يقولون فيه انه اذا لم يبرح السيد أحمد الشريف ومحمد صالح حرب جغبوب فى خلال أيام محدودة فانهم سيضطرون الى تدمير جغبوب وتحطيم مقام السيد محمد بن على السنوسى المشيد بها ، وأنهم ـ أى الانجليز ـ احتراما منهم لقداسة هذه البقعة رأوا أن يوسطوا السيد محمد أدريس حتى يمنع هذه الكارثة الخطيرة التى ستترتب على وجود السيد أحمد الشريف ومحمد صالح حرب بالجغبوب وذلك بأن يعمل على ترحيل قوات المجاهدين منها ، وأحدثت هذه الرسالة فى نفس السيد أحمد الشريف قلقا شديدا لأنه خشى أن ينفذ الانجليز عزمهم فيدمرون العقبة ، وعلاوة على ذلك فان السيد أحمد لم يشأ أن يعطل بوجوده فى الجغبوب اتفاقات الصلح بين السيد محمد أدريس وبين الانجليز والطليان فقرر مغادرة الجغبوب الى واحات جالو واوجلة على الرغم من طول المسافة ومشقات السير وانعدام وسائل النقل الكافية لحمل المجاهدين ويبلغون حوالى الأربعة آف وحمل الماء اللازم لسقايتهم فى أثناء هذه الرحلة المرهقة ولم يشأ السيد أحمد أن يسمع لراى صالح حرب وكان قد غدا (فريقا) وقائدا عاما لجيشه بعد معارك سيوة ، وفضل الانسحاب من جغبوب وعدم تعريض مقام جده لخطر التدمير على الاشتباك مع الانجليز فى معركة أخيرة فاصلة . وعند وصول المجاهدين الى حطية الفريدغة جاءتهم رسالة أخرى من السيد محمد ادريس يحثهم فيها على ضرورة الاسراع بالانسحاب فرجع كثيرون من المجاهدين الى مظاعتهم فى دفنه والجبل الأخضر واستأنف الباقون السير حتى وصلوا الى (الخط) ثم الى واحة أوجلة ثم الى زلة فمكثوا بزلة مدة شهر تقريبا كانوا فى أثنائها موضع عناية أهلها الذين أكرموا المجاهدين اكراما كبيرا ثم ارتحلوا منها الى واحة مرادة ثم الى الجفرة فقابلهم لشيخ سيف لنصر من أولاد (أبو سيف) حاكم هذه لمنطقة . وكان أولاد ابى سيف هؤلاء من العرب الشجعان حاربت قبائلهم الطليان ودفعتهم عن هذه البلاد وكان من الواضح انه لم يكن هناك أى انسجام بينهم وبين الأتراك فضلا عما كان بينهم وبين رمضان السويحلى صاحب مصراته من عداء مستحكم بسبب حادث السيد صفى الدين خاصة ، وعلى ذلك فان وجود المجاهدين مع السيد أحمد الشريف ومحمد صالح حرب فى هذه المنطقة ما لبث ان اقلق السويحلى وانتقلت عدوى هذا القلق الى نورى باشا الذى بعث من مصراته يطلب الى صالح حرب أن يبذل ما وسعه من

جهد لاقناع السيد أحمد الشريف بأن ينزل بقوته الى ساحل البحر فى جهة سرت أو سلطان لمحاربة الطليان لازالة ما يسببه وجوده فى جنوب الوادى من قلق عظيم لدى أهل مصراته . ولما كان السيد أحمد الشريف قد عقد النية على التوجيه الى الفزان ثم الى السودان الغربى اذا لزم ، الحال فقد لقى صالح حرب صعوبات عدة فى اقناع السيد احمد ولكن تغلب عليها ؛ فمغزل الجميع الى الشمال ووصلوا الى سلطان وعسكروا فى جهة العقيلة وعمد صالح حرب قبل القيام من الجفرة الى ارسال كتاب مع الطبيب المصرى سيد دسوقى الى نورى باشا اوضح له فيه عزمهم على النزول الى الشمال وشرح له سوء حال المجاهدين وحاجتهم الملحة الى السلاح والذخيرة والملابس والمال حتى يتمكنوا من قتال الطليان ، اما المجاهدون فقد عسكروا فى العقيلة حتى بدا ينظمون سراياهم لمناوشة الطليان ؛ ثم ارسل صالح حرب احد الضباط المصريين هو عبدالقادر طراف ومعه جماعة قليلة من الضباط العرب حتى يأتوا بالقافلة التى ازمع نورى باشا ارسالها من مصراته محملة بالمؤن والأسلحة لنجدة المجاهدين اثر وصول الدكتور سيد دسوقى برسالة صالح حرب اليه . وفعلا قامت القافلة المرتقبة وكان على راسها سيد دسوقى وعبد القادر طراف مع بعض الجند الهجانة المصريين والمجاهدين العرب ولكن لم تكد هذه القافلة تبتعد عن مصراته بمرحلة واحدة فقد حتى فاجأهم كمين اعده رمضان شتيوى فأوقعوا بهم مقتلة عظيمة غدرا وخيانة وهم رقود فاغتالوهم عن آخرهم . ويقول صالح حرب باشا « وهنا كاد يفلت من يدى زمام القوات الموجودة معى لأن المجاهدين اصروا على مهاجمة مصراته اقتصاصا من هؤلاء على فعلتهم الشنيعة ولوادى هذا العمل الى هلاك المجاهدين جميعا . وقد أستطاع السيد احمد الشريف بفضل ما كان يتمتع به دائما من نفوذ عظيم على المجاهدين ويعاونه صالح حرب بعد جهود شاقة مضنية ان يصلا الى تهدئة النفوس الثائرة ، ولو ان هذا لم يحل دون تسلل بعض المجاهدين فى صورة عصابات مسلحة للانتقام من مصراته ، وقاسى المجاهدون فى سلطان والعقيلة عنتا وارهاقا عظيمين بسبب عدم وصول القافلة فقضوا حوالى سبعة عشر يوما يقتاتون بالعشب فحسب حتى انكشفت هذه الغمة

اخيرا عندما ارسل السيد محمد ادريس وبعض الرؤساء المخلصين فى بنى غازى الأرزاق والأقوات اليهم . وذهب صالح حرب من العقيلة الى مصراته للوصول الى راى فى مسألة امداد معسكرات المجاهدين بالمؤن والاسلحة اللازمة فقابل هناك الأمير عثمان فؤاد وعبد الرحمن عزام ورمضان شتيوى ثم عاد ادراجه الى العقيلة . وبقى السيد احمد الشريف فى العقيلة حتى اغسطس ١٩١٨ ، وعندئذ وصلت السيد احمد دعوة من استانبول لحضور حفلة تتويج السلطان الجديد محمد وحيد الدين (السادس) وتقليده السيف فغادر السيد احمد الشريف ومعه محمد صالح حرب طرابلس على نفس الغواصة الالمانية التى احضرت هذه الدعوة غير انه قبل مغادرة السيد أحمد الشريف الأقطار الليبية بمدة طويلة كانت زعامة المجاهدين فى ليبيا قد انتقلت الى السيد ادريس السنوسى .

الفصل الرابع

عمر المختار

لقد بينت كيف سلمت تركيا الجاهلة المستبدة البعيــــدة عن العلم والدين والتى كان يحكمها رجل يدعى امير المؤمنين وهو ابعد ما يكون عن الايمان وعن معرفة الاسلام بل ومعرفة اللغة العــربية سلمت الخلافة العثمانية الواهية ليبيا الى ايطاليا سنة ١٩١١ .

لقد سلمها الاستعمار التركى الى الاستعمار الايطالى الفاشستى الذى نكل بهذا الشعب تنكيلا ونصب المشانق فى كل مكان وما زالت المشــــانق وامكنتها فى كل قرية دليلا حيا على ما كان يقوم به الحكام الايطاليون الباغون الظالمون .

واســــتوطن آلاف المرتزقة من حثالة الفاشســــيين الايطاليين ليبيا واستبعدوا الليبيين وجعلوهم مواطنين من الدرجة العاشرة ان وجـــدت وقتل من الليبيين ٣ مليون شخص فى مدة ثلاثين سنة لأن سكان ليبيا قبل وصول ايطاليا كانوا ٤ ملايين وتركوهم وهم اقل من مليون فى نهاية الحرب العالمية الثانية .

اشتبك المجاهدون الليبيون مع الايطاليين منذ سنة ١٩١١ الى ســـنة ١٩٣٠ فى حروب ضارية .. لم تنم لهم عين .

ان البلاد التى وقعت فريسة للاستعمار وقعت فى أيام وربما فى شهور اما ليبيا الصامدة المجاهدة فلم تسلم للايطاليين حتى بعد أن أحرز جرازيانى عدة انتصارات مكنته من احتلال واو الكبير او واو الشعوف فى ١٣ ينـــاير ١٩٣٠ وفى ٢٤ يناير ١٩٣٠ أحتل جرازيانى مرزق بحضور المارشال بادولبو وفى ٢٥ فبراير احتل غات وهنا فقط انتهت المقاومة فى الفزان وتفــرغوا لاخضاع مراكز المجاهدين الباقية فى الكفرة والتضييق على السيد/ عمـــر المختار فى الجبل الأخضر واغلق الحدود المصرية ومنع الامدادات عن المجاهدين واقتصرت المقاومة على الجبل الأخضر ظاهريا ولكن الشــعب كله كان يغلى بالثـــورة .

وظل عمر المختار يقاوم فى الجبل بالرغم من جميع الصعوبات التى كانت تكتنفه من كل جانب واستمر الحال على ذلك حتى يوم ١١ سبتمبر سنة ١٩٣١ حيث وقع عمر المختار أسيرا حين وقوع مصادمة بينه وبين الايطاليين وتعرف عليه دودباشي ونقله الى بنغازى وطار جرازيانى من روما الى بنى غازى ليرى عمر المختار اسيرا ويناقشه فى اعماله وحوكم امام محكمة عسكرية واحضر التراجم احد التراجمة الرسميين واسمه نصرت هرمس وتأثر المترجم لمحاكمة المختار فطرد واحضروا بدله يهوديا يسمى لمبروزو .

وحكم عليه بالقتل شنقا وشنق فى سلوق فى الساعة التاسعة من صباح الاربعاء ١٦ سبتمبر سنة ١٩٣١ وشنق مرتين .

ونقل الى مقبرة الصابرين فى سيدى عبيد بالزربريعية بناحية بنى غازى واقاموا عليه حرسا من الفاشست وجمعوا الأهالى فى أماكن محددة وسط اسلاك شائكة وارتكبوا من الفظائع ما لا عين رات ولا اذن سمعت .

وانشأ جرازيانى (جزار ليبيا) معتقلا خاصا فى العقيلة ذاع صيته بفضل أعمال القسوة والابادة وكان يعتقل به اقارب الثوار واختار مركز التوقيع العقوبات من اعدام ونفى وتشريد وجلد وهدد بتوقيع العقوبات على اهالى الذين يهربون للجبل الاخضر لمساعدة المجاهدين .

وانتشرت الامراض الفتاكة وكانوا يعدون الموتى يوميا .

وحين هاج العالم الاسلامى رد جرازيانى الايطالى الحقير بأن انزال العقوبة بعدد قليل من هؤلاء الرعايا انما ينطوى على الشفقة والرحمة بالباقين وقامت الحرب الايطالية الحبشية فجندت ايطاليا اهالى ليبيا لمحاربتها وحين ابتدأت الحرب العالمية الاخيرة جندتهم فى المقدمة لمحاربة مصر فلم يحاربوها وسلموا انفسهم وتكون جيش منهم لمحاربة الطليان وانقلبت الآية وعادت ليبيا دولة مستقلة .

قصيدة احمد بك شوقى
فى
رثاء عمر المختار

ركزوا رفاتك فى الرمال لواء — يستنهض الوادى صباح مساء
يا ويحهم نصبوا منارا من دم — توحى الى جيل الغد البغضاء
ما ضر لو جعلوا العلاقة فى غد — بين الشعوب مودة واخاء ؟
جرح يصيح على المدى وضحية — تتلمس الحرية الحمراء
يا ايها السيف المجر بالفلا — يكسو السيوف على الزمان مضاء
تلك الصحارى غمد كل مهند — أبلى فأحسن فى العدو بلاء
وقبور موتى من شباب امية — وكهولهم لم يبرحوا احياء
لو لاذ بالجوزاء منهم معقل — دخلوا على ابراجها الجوزاء
فتحوا الشمال سهوله وجباله — وتوغلوا فاستعمروا الخضراء
وبنوا حضارتهم فطاول ركنها — (دار السلام) و (جلق) الشماء

* * *

خيرت فاخترت المبيت على الطوى — لم تبن جاها او تلم ثراء
ان البطولة ان تموت من الظما — ليس البطولة ان تعب الماء
افريقيا مهد الأسود ولحدها — ضجت عليك اراجلا ونساء
والمسلمون على اختلاف ديارهم — لا يملكون مع المصاب عزاء
والجاهلية من وراء قبورهم — يبكون زيد الخيل والفلحاء

* * *

فى ذمة الله الكريم وحفظه — جسد (ببرقة) وسد الصحراء
كرفات نسر او بقية ضيغم — تبلى ولم تبق الرماح دماء
لم تبق منه رحى الوقائع اعظما — باتا وراء السافيات هباء
بطل البداوة لم يكن يغزو على — « تنك » ولم يك يركب الأجواء
لكن اخو خيل حمى صهواتها — وأدار من اعرافها الهيجاء

* * *

لبى قضاء الأرض امس بمهجة ... لم تخش الا للسماء قضاء
وافاه مرفوع الجبين كأنه ... سقراط جر الى القضاة وداء
شيخ تمالك سنه لم ينفجر ... كالطفل من خوف العقاب بكاء
واخو امور عاش فى سرائها ... فتغيرت فتوقع الضراء
الأسد تزأر فى الحديد ولن ترى ... فى السجن ضرغاما بكى استخذاء
وأتى الأسير يجر ثقل حديده ... أسد يجرر حية رقطاء
عضت بساقيه القيود فلم ينوء ... ومشت بهيكله السنون فناء
تسعون لو ركبت مناكب شاهق ... لترجلت هضباته نبلاء
خفيت عن القاضى وفات نصيبها ... من رفق جند قاده نبلاء
والسن تعطف كل قلب مهذب ... عرف الجدود وادرك الآباء

❋ ❋ ❋

دفعوا الى الجلاد اغلب ماجدا ... يأسو الجراح ويطلق الاسراء
ويشاطر الاقران ذخر سلاحه ... ويصف حول خوانه الاعداء
وتخيروا الحبل المهين منية ... لليث يلفظ حوله الحوباء
حرموا المماتعلىالصوارم والقنا ... من كان يعطى الطعنة النجلاء
انى رأيت يد الحضارة اولعت ... بالحق هدما تارة وبناء
شرعت حقوق الناس فى اوطانهم ... الا أباة الضيم والضعفاء

❋ ❋ ❋

يا ايها الشعب القريب اسامع ... فأصوغ فى عمر الشهيد رثاء
أم ألجمت فاك الخطوبوحرمت ... اذنيك حين تخاطب الاصغاء
ذهب الزعيم وانت باق خالد ... فانقد رجالك واختر الزعماء
وارح شيوخك من تكاليفالوغى ... واحمل على فتياتك الاعباء

❋ ❋ ❋

الباب الرابع

محمد صالح حرب

محمد صالح
حــرب ..

الفصل الأول
نشأة محمد صالح حرب

ولد المرحوم اللواء محمد صـــالح حرب فى جزيرة الحربياب بناحية الطويسة بدار أو مركز كوم امبو محافظة اســـوان وكان والده المرحوم صالح محمد على ضابط بالجيش وكان يعمل مديرا للجبخانة فى اسوان وهو من اصل سودانى من مدينة دنقلا .

اما والدته فهى شلبيه ابنة عم مصـــطفى عثمان كيكى — ولم تنجب غيره وقد توفيت الى رحمة الله ودفنت فى اسوان بمدفن خاص ولقد تزوج والده من السودان من عائلة فناوى وله اخوه فى السودان منهم صالح فناوى .

وكان الدكتور محمد امين اول طبيب تخرج من كلية الطب السودانية واول وزير لصحة السودان من اقاربه — ولقد دخل مدرســـة اســـوان الابتدائية واخذ الشهادة الابتدائية وكانت لها قيمة كبـيرة فى ذلك الوقت سنة ١٩٠٣ ولقد كان طالبا مع عباس محمود العقاد فى فصل واحد — ومما روى عن العقاد (١) فى سنى الدراسة انه ذهب ذات يوم وهو واثنـــان من التلاميذ ليلة القدر فصعدوا فوق اكمة واخذ كل منهم يدعو الله ويســـأله تحقيق امنيته فطلب الأول ان يكون قائدا والثانى ان يزور بيت الله الكريم — وطلب الثالث ان يكون من اشهر اهل زمانه وقد نال كل من الثلاثة امنيتـــه وهم صالح باشا حرب الذى صار قائدا عظيما ووزيرا للدفاع — والحـــاج عبد الحميد صبرى الذى زار بيت الله الكريم . وعباس العقاد الذى صـــار من أشهر أهل زمانه . «١» .

ولقـــد صار صالح حرب قائدا طول حياته اذ اصبح قائدا للجيـــوش السنوسية وحارب الانجليز وفتح الواحات الفرافرة وسيوة والداخلة اثناء الحـــرب العـــالمية الأولى وحارب الطليـــان فى ليبيا — واشترك مع الغازى مصطفى كمال اتاتورك فى حرب التحرير التركية .

واصبح وزيرا للحربية المصرية ١٩٤٠ — واصبح عباس العقـــاد كاتب مصر الأول والكاتب الذى وصفه سعد زغلول بأنه الكاتب الجبار .

(١) كتاب عن ذكرياتى فى صحبة العقـــاد للاستاذ محمد طاهر الجبلاوى .

واصبحت دراساته فى اية ناحية من نواحى العلم والمعرفة لا تبارى .

ولقد دخل محمد صالح حرب مدرسة خفر السواحل وتخرج منها ـ لأن المدرسة الحربية قفلت بعد فتح السودان لمدة حتى لا تخرج ضـــباطا واكتفى الانجليز بمدرسة خفر السواحل ـ واشتغل فى الصحراوات المصرية ومنها الصحراء الغربية حتى قرر وسط ظروف بالغة القسوة اثناء الحرب العالمية الاولى ان يذهب الى ليبيا ويعرض نفسه لحكم اعدام من الانجليز .

وكان بذلك مغامرا بمستقبله وحياته كلها فلقد ذهب بعساكره ليحارب ضد الانجليز الذين كانوا يعينون السلطان حسين او فؤاد بتبليغ من وزارة الخارجية البريطانية والذى كانوا يمرمطون الارض بهذه الاشباح السلطانية او الملكية لتكون عظة لشعبهم . وفعلا حكم عليه بالاعدام واستمر مع السيد/ احمد السنوسى حتى ذهب الى استانبول وحضر تتويج آخر ســلاطين آل عثمان ودخل كلية اركان الحرب التركية وتخرج منها وحارب مع الغــازى فى حرب التحرير التى اقامها الغازى اتاتورك ضد اليـــونان والحلفـــاء والســـلاطين .

وحين الف سعد زغلول وزارته سنة ١٩٢٤ كان اول عمل له الافراج عن المسجونين السياسيين والعفو عن جميع المنفيين فى الخارج وكان منهم محمد صالح حرب ورجع الى مصر وانضم الى الوفد ورشحه سعد زغلول لدائرة اسوان ونجح فيها وهو الذى كافح عن مدينة اسوان والنوبة فى ذلك الوقت خير كفاح وجعل المجانية اساسية لأبناء اسوان وهو صاحب فضل عـــلى الجيل المتعلم الذى خرج من مديرية اسوان فى منتصف القرن الاخير .

والذى ينكر ذلك فانما هو جاحد جحودا تاما لصاحب الفضل عليـــه وهو الذى انتقد سياسة الانجليز فى الجيش انتقادا مرا وكانت اسئلته تربك وكيل الحربية الضابط وتجعله لا يجيب جوابا لأن وزير الحـــربية فى ذلك الوقت لم يكن عسكريا .

وحين حل البرلـــان عين وكيـــلا لمصـــلحة السجون ثم مديرا لخفـــر السواحل ثم وزيرا للحربية سنة ١٩٤٠ وبقى بها حتى اقيلت .

واختا على اثر ذلك رئيسا لجمعية الشبان المسلمين ـ اول جمـــاد الثانى سنة ١٣٥٩ هـ الموافق ٧ يوليو سنة ١٩٤٠ خلفا للمرحوم الدكتـــور عبد الحميد سعيد الذى انتخب رئيسا للجمعية فى ٩ ديسمبر ١٩٢٧ الموافق جمادى الآخر سنة ١٩٤٦ هـ .

لقد ولد صالح بعد احتلال الإنجليز لمصر .

ودخل مدرسة اسوان الابتدائية وكان فى فصل واحد مع عباس محمود العقاد اثناء الحرب مع الدراويش ولقد اتيح للطلبة فى ذلك الوقت ان يلعبوا لعبة الجيوش التى كان يلعبها الاطفال فى اسوان فى شوارع المدينة وحاراتها وافنية المدارس والكتاتيب وكانوا يسمعون وهم صغار اثناء حرب استعادة السودان من ١٩٨٦ ــ ١٨٩٩ ان الدراويش سيهجمون على المدينة فيقتلون رجالها ويسبون نساءها ولذلك عاش الناس والطلبة فى ذلك عيشةالاستعداد لكل خطـر .

ولم تكن هذه اللعبة العسكرية هى اللعبة الوحيدة بل كان هناك نوع من الحرب الكلامية بواسطة الربابة وقصص ابى زيد الهلالى وعنتر ابن شداد والزناتى خليفة والاناشيد الحماسية . ولقد ساق القدر هذه الحرب لصالح حرب الصغير ليتعلمها ولتعيش فى فكره وفى قلبه فلا يطلب من الله شيئا اثناء دعائه فى ليلة القدر الا ان يكون قائدا عظيما كما روى الاستاذ الفاضل والاديب الكبير محمد طاهر الحبلاوى فى كتابه (فى صحبة العقاد) نقلا عن الأستاذ عباس محمود العقاد نفسه .

وسأذكر هنا اساتذة المدرسة اثناء ذلك وهم فى ذات الوقت اساتذة العقاد كان احدهم الشيخ محمد فخر الدين مدرس اللغة العربية والتاريخ وكان يشجع الابتكار فى الانشاء عن الصيغ المحفوظة كخطب المنابر فى ذلك الوقت وكان درسه فى التاريخ درسا فى الوطنية فعرف التلاميذ تاريخ مصر فى مختلف عصورها من مصر الفرعونية ابان مجدها العظيم حين كان يدين لها العالم المعروف وقتئذ من العراق الى ليبيا ومن الحبشة الى السودان والصومال بلاد بنت وحين كانت اسوان كما هى وهى من كلمة (اسوين) ومعناها المكان الذى يهدأ عنده النيل .

وعرفوا تاريخ مصر الاسلامية التى رات الجيوش الاسلامية تمر وتخرج فيها وعرفوا تاريخ الأندلس والجيوش المصرية الاسلامية التى خرجت من مصر لتدك معاقل الصليبيين .

وكانت شجاعة من الاستاذ فى ذلك الوقت ان يتكلم عن الوطنية ولعله كان يعتبر اسوان آخر مطافه فى النفى فماذا بعد ذلك . فأثار شعور الغيرة على الوطن حين كان الاحتلال قد بلغ مداه .

وحين كانت قوة لورد كرومر تصل من اقصى الوادى الى ادناه . وكان الخديوى عباس لعبة فى يديه وكان يسميه الشـاب المراهق لأن هـؤلاء

السلاطين من عائلة محمد عـلى لم يكن بينهم وبين المصريين صلة الا سرقة أموالها وزرعها وضرعها .

ولقد تعلم الانجليزية لأن كل العلوم كانت باللغـة الانجليـزية ما عدا العـربية .

وكان يتزود بالطبع فى المكتبات الأجنبية التى كانت تفتح اثناء الشـتاء للسائحين الذين كان يتكلم معهم طلبة المدارس .

ولقد وجد فى الحملة السودانية ١٨٩٦ ـ ١٨٩٩ كثير من الضـباط وفى انشاء خزان اسوان ١٨٩٨ كثيرا من المهندسين الانجليـز يتكلمـون الانجليـزية .

ولقد عين الانجليز حاكما عسكريا على اسوان ووزعوا من حوله عـلى المصالح الحكومية طائفة من الانجليز العسكريين والمدنيين فاحتـاج اهالى المدينة لمن يعرفون اللغة الانجليزية حتى يترجموا لهم الاوراق الرسـمية ويكتبوا ما قد يقدمونه من عرائض بالانجليزية ولم يجد الاهالى سوى ابناء المدرسة الابتدائية فيتقوى الطلبة جميعا وكان من اتقنهم فى الانجليزية عباس العقـاد حتى اصبح تضلعه فيها مثلا للكتـاب وهى التى اتاحت له القراءة بها ونقل ما فيها الى العربية ، المكانة العالية التى احتلها فى عالم الفـكر والثقافة وكان المترجم له من افضل الذين يتكلمون الانجليزية وكنت اندهش فى قوته فى التكلم بالانجليزية .

ولكن حين قرات كتاب الدكتور شوقى ضيف فهمت السبب (١) .

وحياة صالح حرب متعددة وكان له وضع خاص فى السـودان وكان يعتبر زعيما سياسيا وروحيا فى وقت واحد وكان صديقا للسيد/ عـلى الميرغنى زعيم الختمية والسيد/ عبد الرحمن المهدى زعيم المهـدية وكان أثيرا لديهما حتى كانت تقبل وساطته عندهما بالرغم من تنافسهما الشديد وتنافر مبادئهما وعدم اتفاقهما فى أى مسألة وكان حببا الى الشعب السودانى حتى كان يعتبر سودانيا وكان قد تزوج من ابنة المرحوم الدكتور محمـد امين وزير الصحة السودانى لقرابته لها (٢) .

وكان اذا نزل السودان وطاف بأرجائه تقام له المحافل من الصـباح الباكر حتى منتصف الليل وفى كل محفل كان يتحدث بما يؤكد وحدة مصر والسودان رغم وجود الانجليز والاستعمار ولعل هذه المنزلة الرفيعة بين مصر والسودان حين رغب السودان فى الاستقلال التام عقب ما حدث من

---

(١) مع العقاد ـ الدكتور شوقى ضيف.

(٢) كلمات الاستاذ على الجملاطى .

اتصال الصاغ صلاح سالم بأهالي جنوب السودان على اعتبار انه يمكن اتصاله بمصر بعيدا عن شمال السودان مما اغضب الحزب الوطني الاتحادي الذي كان يرؤسه المرحوم الرئيس اسماعيل الأزهري ولقد ابلغني ذلك الأستاذ يحيى الفضلي حين سافرت الى السودان وهو يفسر لي على سبيل الاسترضاء اسباب اعلان الحزب الوطني الاتحادي الذي كان يدعو للاتحاد مع مصر استقلال السودان لأني كنت احد الداعين الى وحدة وادي النيل .

وذهب صالح حرب الى السودان واخذ يتنقل بين زعماء الأحزاب والقبائل وكانت هذه التنقلات موضع ريبة من حاكم عام السودان الانجليزي حتى ضاق به ذرعا وطلب منه اما مغادرة السودان فورا او القبض عليه .

وهنا غادر صالح حرب السودان وحضر الى القاهرة واتصل بالصاغ صلاح سالم (عضو مجلس الثورة) فحضر اليه وتناول الحديث وجهة النظر الحقيقية كما رآها في السودان ورغبة السودانيين في الاستقلال التام وهنا فهم صلاح سالم انه كان مخدوعا وعرف الأمر على حقيقته وطلب من صالح حرب أن يتصل بالرئيس جمال عبد الناصر ليعلمه بالأمر وحقيقته واتصل به فعلا وطلب منه ان يحضر الى مجلس قيادة الثورة ويسمع رايه اليه واجتمع المجلس وتكلم صالح حرب واصفا الحقيقة كما رآها وكان صلاح سالم حاضرا الاجتماع وما ان سمع الكلام حتى قال لا لزوم لوجودي في الوزارة (وزارة الارشاد القومي) واستقال ليعطي الحكومة فرصة تغيير سياستها وقبلت استقالته في الحال وابتدأت الحكومة في تغيير اتجاهها في حق تقرير المصير في السودان كما يراه اهل السودان حتى ولو كان الاستقلال التام وكان راى صالح حرب في هذه القضية هو الفيصل ـ وهي التي شغلت البلاد آمادا طويلة .

ومن حسنات صالح حرب انه رفض بعد ان ترك الوزارة ان يكون عضوا في مجلس ادارة اى شركة حتى لا يكون تابعا لأحد وكان يعتقد ان هذه العضوية لا تتفق وجلال جمعية الشبان المسلمين وما لها في نظر العالم الاسلامي من قدر يجب ان يحرص عليه رئيسها .

ومن حسناته ايضا انه كان يباشر عمله فيها في الصباح الباكر حتى منتصف الليل ويحضر جميع المحافل والندوات وكان اول من يدخلها وآخر من يخرج منها وكان لذلك اثره الفعال في انجاح هذه الندوات والمحافل .

ولم يسمع عنه انه اخذ قرشا من الجمعية بل كان يثور حين يعلم ان شخصا ما اخذ شيئا مهما كان ضئيلا فى هذا المجال ١٠٫٠٠٠ ج وهو الذى تسلمها مدينة حتى انه لم يستطع ان يدفع مرتبات الموظفين فى الشهر الاول حين تسلم رئاستها ولكنه عرف كيف يوجد الموارد للجمعيـــة حتى نماها وحتى فتح لها ٥٠ فرعا فى الأقاليم بلغ تكاليف احدها ٥٠٫٠٠٠ جنيه .

ومن حسناته ايضا انه حافظ على جلال الجمعية وسمتها الاســلامى وكان يحافظ على استقلالها ويعارض دائما ان تستغل مبانيها فى غير خدمة الاسلام . وكانت الجمعية فى عهده المنارة الاسلامية فى العالم الاسلامى كله التى تلى الأزهر الشريف وما وفد الى مصر زعيم مسلم او غير مسلم والا وكان اتجاهه الى جمعية الشبان المسلمين وكان يعتز بكل مجاهد مســلم ويقيم له الندوات فى مختلف المحافل حتى يتناولوا شئون المسلمين والعروبة وكانت الجمعية حقا مزارا للغرباء والوافدين ومنتدى للمقيمين من العرب والمسلمين وكان لهؤلاء المجاهدين قدر خاص ولم أنس تقديره لســماحة الشيخ البشير الابراهيمى كبير علماء الجزائر وغيره من قادة المسلمين .

ومن حسناته ايضا ان كل الثورات التى قامت فى جميع البلاد العربية والاسلامية قامت على منبر جمعية الشبان المسلمين وهى الجزائر واليمن والجنوب العربى والسودان وتونس والمغرب واندونيسيا .

أما جهوده بالنسبة لفلسطين فهى أكثر من ان تعد فلقـــد اتخـذ من الجمعية منبرا للدفاع عنها يحمى قضيتها فى كل مناسبة من وعد بلفـــور الى التقسيم الى الاسراء والمعراج وكان يدعو الى تعبئة الجماهير للعودة الى ارض الميعاد وكان يجمع التبرعات ويشترى السلاح من اجل فلســطين وذهب بنفسه اليها اثناء كفاح العرب قبل قيام اسرائيل .

الفصل الثانى

الحياة السياسية فى حياة صالح حرب

ان حياة مصر كانت قلقة طول حياة اللواء محمد صالح حرب من يوم مولده الى يوم وفاته ، وهى حياة متداخلة فى بعضها اشد تداخل فمن الثورة العرابية الى احتلال الانجليز لمصر بيد من حديد الى الثورة المهدية واخلاء السودان بأمر الانجليز وارجاعه بجيش مصرى ايضا تحت امرة الانجليز ليوضع تحت الحكم الثنائى اسما الانجليزى فعلا .

وكانت اسرة محمد على قد خانت الشعب باستدعاء توفيق للانجليز لمقاومة عرابى واستقباله الحافل لقائد الغزو الانجليزى وتقديم بعض الخونة من المصريين امثال سلطان باشا سيفا مذهبا الى القائد الانجليزى .

راى صالح حرب الراية الانجليزية الحمراء تسير شامخة رافعة رأسها فى كل مكان فتثير فى نفس كل مصرى ابى الأسى والحزن وتثير الوانا من اليأس يدعو الى الاستسلام .

وكانت الوزارة تستمد وجودها من دار المندوب السامى البريطانى والخديوى ما كان الا موظفا انجليزيا يحمل اسم الخديوى وكان كرومر يصف عباسا بأنه الولد الرقيع وكان قد ابتدا يتقرب فى بدء حياته الى الوطنيين وظن نفسه انه اصبح قويا فانتقد ملابس جندى فى اسوان وهنا اعتبر اللورد كرومر ان هذه اهانة للضباط الانجليز فاما ان يعتذر واما ان يتخلى عن العرش فاعتذر وابتدا فى سرقة الشعب البائس ومما يذكر عنه فى المنوفية انه مر اثناء قيامه برحلة فى دهبيته بقصر فخم على رياح المنوفية يملكه عيسوى زايد وكان من المعتاد انه حين يقول لأحد الباشوات او احد الأشخاص وهو ينظر الى هذه الأراضى الواسعة ان هذا قصر جميل او هذه ارض طيبة يرد عليه الباشا او الشخص (ملكك يا مولاى) فينقل التكليف باسمه فى ثانى يوم . ولكن عيسوى زايد قال له ملك الأيتام يا افندينا لأن احد اصدقائه نبهه انه قد وضع عينه على قصره . وهكذا وقع الشعب بين حاكم لص يسمى الخديوى وبين وزارة معظم وزرائها من الأتراك او من المصريين المزيفين الذين يحملون القابا انجليزية ويؤمرون بأمر المفتش الانجليزى فى وزاراتهم وكان امر الوزارة البريطانية انه لابد من اتباع نصيحة اصغر انجليزى فى الوزارة بل ولابد من توقيعه بجوار الوزير لينفذ امر

الوزير ولم يظهر فى هذه المدة غير صوت مصطفى كامل الذى هـز الربى واحتقر الخديوى عباس فى آخر حياته احتقارا شديدا بعد ان لطخ حياة كرومر بالسواد وانهى خدمته بدفاعه المجيد فى اوربا عامة وفرنسا خاصة بأعماله فى دنشواى .

ولكن الخديوى لسوء طبع فيه انقلب على مصطفى كامل بعد ذهاب كرومر وتولى غورست مكانه وانقلب الى سياسة الوفاق وناوأ الوطنيين فاحتقره مصطفى كامل وآلى على نفسه الا يرى وجه عباس فتحايل عباس على رؤيته فطلب من صديق للطرفين ان يدعو مصطفى كامل فى بيته ويدخل عليه عباس حين وجوده وحين دخل اشاح مصطفى بوجهه عنه وقال لمضيفه كنت افهم انك رجل لقد آليت على نفسى الا ارى وجه عباس ولن رآه وخرج وقاطع صديقه ومات مصطفى كامل فى فبراير سنه ١٩٠٨ فاهتز قلب مصر اهتزازا عنيفا وسقطت وزارة مصطفى فهمى ، وقتل بطرس غالى وتولى محمد سعيد رئاسة الوزارة وتفنن فى مهاجمة الحركة الوطنية، وانتهى الامر بخلع الخديوى عباس حين قامت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ وتولى حسين كامل عرش مصر فى ظل الحمايه البريطانية فى ديسمبر سنة ١٩١٤ . وحشدت السلطة العسكريه العمال لخدمه الانجليز فى حملة فلسطين ومات منهم مئات الألوف وكانت الحياة فى مصر لا تطاق ففر منها من فر ونفى من نفى .

وانتهت الحرب العالمية الاولى التى فر اثناءها صالح حرب بجنوده الى ليبيا وحكم عليه بالاعدام ، وقامت ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول فردت الى مصر روحها وقبض على سعد زغلول ورفاقه فى ٨ مارس سنه ١٩١٩ ويرجع اسباب الثورة الى استياء الأمة المصريه من عدم مساواتها فى المعاملة بالامم الصغيرة التى لا تفضلها فى المدنيه ومنع المصريين من ابسط آمالهم الى مؤتمر الصلح وكان كل المصريين من اكبر رجل الى اصغر رجل فيهم هم فى هذا الاستياء سواء دفعهم اليأس الى اظهار ما فى نفوسهم .

وبدأت الثورة ١٩١٩ وقتل من قتل ، وتكونت المحاكم العسكرية وامتدت الثورة الى الأقاليم وحصلت مفاوضات ملنر وفشلت ، وذهب وفد برئاسة عدلى يكن الى لندن للمفاوضة وفشلت واضطر الانجليز الى اعلان تصريح ٢٢ فبراير سنة ١٩٢٢ وفيه اعلنت مصر ذات سيادة . وتولى يحيى ابراهيم وزارة اجرت انتخابات لعلها الحرة الوحيدة فى مصر ولى بعدها سعد زغلول الحكم سنة ١٩٢٤ وهو الوقت الذى أعلن فيه العفو عن صالح حرب ولو لم يأت سعد زغلول الى الحكم ما خرج المسجونون ولا رجع

المنفيون وما قام لأمثال صالح حرب من غلاة الوطنيين قائمة . وقتل السرذار واخرج سعد زغلول من الحكم واتى زيور ليسلم السودان ورجع سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب وهو الذى رشح صالح حرب للانتخاب عن دائرة اسوان لأنه كان يقدر العاملين عن بعد وفى هذا البرلمان ظهرت كفاءة صالح حرب العسكرية والخطابية . وتوفى سعد زغلول وتغيرت الوزارات باقالة الوفديين بأمر الانجليز وبواسطة فؤاد الذى كان لا يهمه فى الوجود غير (شخصه)

واطلق اسمه واسم ابنه فاروق ونازلى وفوقية وفايقة وفتحية وفوزية وفايزة على جميع المنشآت والشوارع ومات فؤاد ووقعت معاهدة ١٩٣٦ .

ثم توالت الوزارات حتى اتى على ماهر بصالح حرب وزيرا للحربية اثناء الحرب العالمية الثانية ثم استقال على ماهر وقبض عليه ونفى صالح حرب الى أسوان — ثم يعود بعد نهاية الحرب الى القاهرة .

ثم تقوم ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بعد قيام حرب اسرائيل وهكذا عاش صالح حرب فى جو كله حرب ولعل له من اسمه نصيب ، ليقبع فى جمعية الشبان المسلمين ويضع نفسه وتجاربه فى خدمة جميع الثوار المسلمين والعرب .

وكان الوطن فى ذلك الوقت فى وضع وصفه الشيخ عبد العزيز جاويش فى جريدة الأخبار فى ١٩٢٣/١٢/٣١ حين رجع من منفاه .

قال خرجت لكبير عمله سعيد باشا وزير الداخلية اذ ذاك لأنه حينما اعيته الحيل دبر لى أمرا واراد ان يبطش فى شخصيتى بالحزب الوطنى كله كما فعل ذلك غير مرة من قبل وقد تهيأ للوثوب ودبر امرا فظيعا اقول انه فظيع يعرفه افراد احياء يرزقون فقد ذهب الى الانجليز ووشى بى فى امر اسلامى مصرى محض كان لخير طرابلس فلما رايت الامر يكاد يقضى الى ما لا نحب الى اعتقالى رايت ان اخرج لا فرارا ولكن استعدادا كما يحصل فى الحرب من التقهقر الذى لا يكون الغرض منه الفرار وذهبت الى تلك البلاد الحرة ووصف جاويش الهجرة الى بلد غير مصر قائلا — انما يجب على الانسان الاقامة فى وطنه امران التضامن والعدل فاذا تقوضت فيه اركان العدل مالت النفس الى مغادرته الى غيره لا انسلاخا منه ولا كراهية له ولكن قد تلجىء الضرورات المرء الى النزوح عن بلده وهو اشد ما يكون تعلقا به وتذكرا له واشفاقا عليه اذا كان مطرودا منه مشردا عنه) .

لقد هاجر صالح حرب الى ليبيا لغاية دينية وهى الدفاع عن الاسلام وعن بلد من بلاد المسلمين ضعيفة مهزومة امام قوى الغدر من الطليان والمستعمرين . ولو كان يريد الدنيا لاستمر فى خفر السواحل ونقل الى الجيش اذا اراد وكبرت بطنه كعادة الضباط فى ذلك الوقت .

ولكنه آثر الآخرة وتعب كثيرا من اجل ذلك (فلقد كان وطنه لا يرى للعدالة اثرا فى ذلك الوقت وكانت الحياة فى وطنه جحيما لا يطاق للحر الابى ولذلك هاجر الى ليبيا) .

الباب الخامس
مذكرات محمد صالح حرب
الفصل الأول
فقد مذكراته

اللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين ووزير الحربية الأسبق ، رجل جعل من ايام حياته سلسلة متصلة الحلقات من الجهاد والكفاح ، كافح فى شبابه وكافح فى رجولته وكافح فى كهولته ، وما زال الى اليوم يهب حياته - اطال الله حياته - لوطنه ودينه ، ولم يقتصر جهاده على النزول الى ميادين القتال ، فحارب بقلمه ، ورأيه ، ولسانه ، ولقى فى سبيل هدفه اخطار .

وفيما يلى يتفضل اللواء صالح حرب ينشر صفحات مطوية من تاريخ مصر ومن تاريخ مقاومة ابنائها للاستعمار ، ومحاولتهم بذل العون لاخوانهم فى العروبة وفى الاسلام ، فى نصف القرن الأخير ، انها صفحات من ذكرياته ننشرها للعبرة وللذكرى ، والذكرى تنفع المؤمنين .

كتب المرحوم اللواء محمد صالح حرب عن مذكراته بعنوان (فقدت المذكرات) ما يلى :

ثلاث فترات فى حياتى كتبت مذكراتى عنها وفى كل مرة كنت افقدها... وكنت اعتبر فقدها هذا لونا من الوان سوء الحظ ولكن ليس عجيبا أن تتعرض مذكرات جندى للضياع وهو المعرض لأن يفقد حياته كلها .

كانت مذكراتى الأولى عن الفترة التى بدات من يوم رقيت ضابطا برتبة ملازم ثان الى أن بلغت رتبة يوزباش ، وصرت قائدا لاساس الهجانة والسواحل والحدود بمرسى مطروح ، وتنتهى هذه الفترة فى ليلة ٢٦ نوفمبر سنة ١٩١٥ ... ليلة اعلنا الثورة على الانكليز .. وفى تلك الليلة ضاعت فى غمار الأحداث مذكراتى الأولى ، نسيتها فى سكنى بثكنة مرسى مطروح .. وفى تلك الفترة ذاتها شنت ايطاليا حربها الاستعمارية على ليبيا .

مجلة الشبان المسلمين ١٠ مارس ١٩٥٧

والمرة الثانية بدات اكتب مذكراتى من جديد . بدأتها بتلك الفترة التى قامت فيها ثورتنا على الانجليز ، وعهدت الى زميل لى هو الملازم البطل الشهيد المرحوم ابراهيم عوض الذى عينته ياورا لى بأن يقوم بتحرير جريدة الحرب ، فعنى بتنفيذ هذه الرغبة اشد عناية ، وحرص كل الحرص على أن لا يترك كبيرة ولا صغيرة ، من اخبارنا وتحركاتنا ، فكان يدون ذلك بكل دقة . وكان لشدة حرصه على جريدة الحرب هذه يحملها دائما فى « جرباندية » وهى الحقيبة الخاصة به ، والتى لم تكن تفارقه ابدا ، لا فى النهار ولا فى الليل ... فاذا نام وضعها معه فى الفرش ..

وبعد أن حاربنا الانجليز ... دخلنا مع الطليان فى مواقع منها موقعة « اورفلة وفى تلك الموقعة استشهد البطل ابراهيم عوض .. وذهب مشيعا بحسرات قلبى الذى كان يحبه ويعجب ببطولته .

فقدته ، وفقدت معه جريدة الحرب التى كانت سجلا لمذكراتى ...

مع الشريف السنوسى

وبدأت أكتب مذكراتى فى فترة ثالثة بدات عندما وصلت الى استامبول كنت يومئذ القائد العام للجيش السنوسى المكافح للاستعمار الايطالى ، ثم جاءتنا دعوة من السلطان وحيد الدين السادس . جاءت للامام المجاهد السيد أحمد الشريف السنوسى بوصفه نائب الخليفة الأعظم فى أفريقيا ، وجاءتنى بوصفى القائد العام للجيش السنوسى .. وأرسل السلطان غواصة تركية الى ميناء العقيلة حملتنا الى استامبول ، وما كدنا نصل حتى تلاحقت الحوادث بسرعة فسلمت بلغاريا التى كانت تحارب فى ذاك الوقت ، ولم تجد الدولة العثمانية مناصا من التسليم للحلفاء ، فرأى السلطان وحيد الدين أن يغادر السيد السنوسى الاستانة قبل أن يدخلها الحلفاء منتصرين فغادرناها على عجل قبل دخول الحلفاء بثلاثة أيام متجهين الى بروسة فى الأناضول .

وكان الانجليز فى مصر قد استصدروا حكما على بالاعدام ، فكان من المستحيل أن أعود الى وطنى الذى كنت أتحرق شوقا اليه .. وفى هذه الفترة بدات الثورة الكمالية فى تركيا .

مع مصطفى كمال

بعد هزيمة تركيا ودخول الحلفاء استامبول ثارت نفوس فريق من ضباط تركيا الأحرار ، وعلى رأسهم مصطفى كمال ، فأعلن الثورة على تلك الأوضاع ،

وجمع جنوده وأراد أن يحدث انقلابا عسكريا ويسعى سعيا حثيثا ليضم اليه السيد أحمد الشريف السنوسى اذ كان موقفه غاية فى الدقة ، وكان فى أشد الحاجة الى الانصار ، فأرسل خطابا الى السيد الشريف السنوسى يفيض بالوطنية ، وبالغيرة على الاسلام ، خطابا لا يكتبه الا مسلم مؤمن شديد الايمان الى حد التصوف .. ولما آمنا بأهداف الثورة الكمالية انضممنا الى جيش مصطفى كمال منذ بدئها وظللنا نحارب فى صفوفها حتى تم لها النصر المبين ، وتحررت تركيا من سلطانها الضعيف ، الذى أصبح فى اخريات أيامه العوبة فى أيدى الانجليز ، وحملوه على أن يستصدر من شيخ الاسلام فتوى بأن مصطفى كمال خارج على الدين والدولة مارق على الخليفة وكانت هذه الفتوى من أسباب سعى مصطفى كمال لضم السيد الشريف السنوسى اليه لمكانته الدينية .

وبعد أن تم النصر للغازى مصطفى كمال عدت الى استامبول ، والتحقت بكلية أركان الحرب .. ثم جاءتنا أخبار من مصر تقول انه قد صدر عفو عن الحكم علينا بالاعدام ، فتركت مذكراتى فى حوزة ضابط طرابلسى صديق وعدت الى مصر فى سنة ١٩٢٤ .

ذكريات لا مذكرات

قضيت فى مصر فترة اردت أن أعود بعدها الى تركيا واذا بالسلطات المصرية تمنعنى وتحقق معى تحقيقا طويلا يستغرق عدة أسابيع ، وفى هذه الفترة توفى الضابط الطرابلسى الذى استودعته مذكراتى .. وعندئذ أدركت ان الأقدار تأبى أن تكون لى مذكرات ، فقطعت على نفسى عهدا بأن لا اكتب مذكرات بعدها ، وان أكتفى بالاعتماد على الذاكرة ، كلما أردت أن استعيد تلك الذكريات .

وهانذا اقتبس من ذكريات الشباب ما ابقت عليه الأيام ، لاقدمه الى شباب مصر الناهضة ، عسى أن يجدوا فى عبر الماضى ما ينير لهم طريق المستقبل المشرق الباسم ، الذى بدات مصر تستقبل ثورة ، ذلك النور الذى أسأل الله ان يتمه على مصر . وعلى امم الشرق وعلى المسلمين عامة .

تآمر المستعمرين

ولا بدأ الآن سنة ١٩١١ ففي تلك السنة فوجئنا بهجوم ايطاليا على ليبيا ، وكانت ليبيا تحت حكم الدولة العلية ، ولم يكن هناك ما يبرر الهجوم عليها اذ لم يكن هناك أى نزاع بين تركيا وايطاليا ، ولكنها شهوة الاستعمار التى تملكت ايطاليا فدفعتها الى ان تحاول استعمار بعض دول الشرق تشبها بانجلترا وفرنسا فقد كانت ايطاليا تعبر نفسها يومئذ دولة من الدول الست الكبرى فى العالم .

وكان من الواضح أن هذا العدوان قد تم بعد اتفاق وتآمر بين ايطاليا وانجلترا ، اما الدولة العثمانية فكانت فى غفلة عما يدبره المستعمرون ، وقد ايدت انجلترا هذا الهجوم لسبب هام هو ابعاد الدولة العلية عن حدود مصر الغربية ، لتحل محلها دولة أوربية تؤمن بمبادىء الاستعمار .

أما فرنسا فقد أقرت الاعتداء لكى تصرف ايطاليا عن التفكير فى مزاحمتها فى تونس التى كانت فيها جالية ايطالية كبيرة وكانت مصدر (متاعب) وقلق فرنسا .

جواسيس وضباط

كانت الدولة العلية يومئذ فى دور انتقال وعدم استقرار بعد ان اعلن الدستور وعزل السلطان عبد الحميد .. وكانت ايطاليا تعلم هذا فاجترات على تركيا . وزاد جرأتها علمها بان ليبيا مكشوفة ليست فيها حامية تدافع عنها . والقوة التى كانت فيها سحبت وارسلت الى جهة اخرى .

وكانت ايطاليا قد أعدت العدة لهذا الزحف من زمن طويل ، وظلت تتحين الفرصة لتنفيذه وكان من وسائل هذا الاستعداد ان موظفى بنك روما بفروعه العديدة المنتشرة فى انحاء طرابلس وبرقة كان اكثرهم من ضباط اركان حرب الجيش الايطالى ومن الجواسيس المهرة .

كان ذلك كما قلت فى عام ١٩١١ وقد اعلنت ايطاليا ان زحف اسطولها لانجاز احتلال ليبيا ليس حربا بل هو « نزهة بحرية » وقد ألم الاحرار فى كل مكان ان البابا لم يستنكر هذا العدوان بل باركه ، اما بريطانيا فقد اعلنت ان مصر (وكانت يومئذ ايالة عثمانية) ستكون على الحياد .. وبهذا اصبحت تركيا عاجزة عن الدفاع عن ليبيا ، بل وعن مجرد الوصول اليها لأن الاسطول الايطالى مسيطر على البحر ولأن مصر كما ارادت انجلترا كانت على الحياد . ولكن هل سكتت مصر . هل استكانت ليبيا ، هل استمتعت ايطاليا بهذه النزهة البحرية ؟

الفصل الثانى

التحاقة بالمدرسة الحربية

تقدمت للالتحاق بالمدرسة الحربية بواسطة مصطفى باشا ياور ، وكان صديقا لسردار الجيش كما كان صديقا لوالدى أيضا . .

ولكن الحربية فى عام ١٩٠٣ لم تكن تقبــل أى طلاب للالتحاق بها ، لأن الجيش المصرى فى هذه الفترة كان قد انتهى من الحرب فى السودان وأصبح الضباط فيه أكثر مما يلزمه . .

وكان بالكلية وقتئذ مصطفى ذهنى « باشجاويش » وعلى عبد الوهاب « جاويش » وكان مشهورا بعلى حسنى ، وعبد المجيــد برادة « أومباشى » ويوسف شاهيه وهـــو سودانى « تلميذ » واحمد وعبد القادر خليفـــة السودانى .

وكان عليهم الدور فى الترقية وفاتهم الدور بســنة كاملة لأنه لم يكن فى الجيش محل لهم فقد كان فيه كفايته .

ثم جاءت السواحل وطلبت تلاميذ ، لكنها كانت تريد تلامذة جددا وقد اعاد سردار الجيش الكرة فى الحاقهم بمدرسة السواحل وتحدث بشـــأنهم مع هنتر باشا وبعد الحاح واخذ ورد قبل انضمامهم كتلامذه رغم انهم كانوا قد امضوا دراستهم ، ومضى عام على ترقيتهم دون أن يرقوا . .

وفعلا أمضوا سنة كتلامذة ولم يرقوا الا قبلنا بشهور .

وقد التحقت بمدرسة السواحل وكان معى احمدالحمزاوىوعلىشاهين وعبد العزيز حلمى واحمد البقلى ومحمــد رجب ، وأباء اكثرهم كانت لهم مراكزهم فى سلاح الحدود .

ثم تخرجت فى مدرسة السواحل عام ١٩٠٣ وعينت ضابط حدود وبخفر السواحل برتبة ملازم ثان .

وكانت مهمتي هي محاربة التهريب والمهربين . وخلال هذه الفترة قتلت ياسين بطل الأغنية والأسطورة الشعبية المشهورة والمصنوعة من الخيـــال والذى من أجله نشأت الأغنية المشهورة التى تقول « يا بهية وخبرينى ... ع قتل ياسين »

كان ياسين هذا من أكبر وأشد الأشقياء فى زمنه وهو عربى من قبيـــلة العبـــابدة .

نعم .. كان ياسين هذا أعنف شقى وأجرم مجرم مشى على أرض مصر فى زمنه فقد اتخذ من القتل حرفة كما اتخذ من ازهاق الأرواح تسليته التى لا تعادلها تسلية فقد كان يقتل ليلهو ويلعب ويقتل لطرب ويبلغ به الطرب ساحاته عندما يسمع اسمه يردده الناس فى خوف وهلع . وقد روع بجرائمه العديدة وقتذاك مديريتين كبيرتين هما مديرية قنا ومديرية اسوان .

وكان مدار حديث الناس فى ذلك الوقت حول شره المستطير وما يتوجسونه من بلائه .

تراه اليوم فى قنا يسطو ويقتل ثم يفر الى مديرية اسوان ويقتل فيها من يقتل ثم يعود سأته وهكذا ينتقل بين المديريتين ويقتل فيها النفوس التى حرم الله قتلها الا بالحق حتى بلغ الخوف من النفوس غايته وأصبح الناس لايملكون الجرأة على السير منفردين فى الخلاء أو الأماكن النائية .

حتى الجماعات تملكها هذا الشعور ولم تعد تجرؤ على السير فى الخـــلاء أيضا خشية أن يكون لها بالمرصاد ...

وامتنع الكثيرون عن الخروج من منازلهم ليـــلا فى كثير من بلاد هاتين المديريتين .

وفى تلك الأيام ضاقت وزارة الداخلية ذرعا بهذا الشقى ياسين وشددت النكير على المديريتين القائمين على الأمن فى قنا واسوان وأمدتهما بقوة اضافية فكانا يجردان عليه قوات من الجنود والخفراء بقيادة ضابط يتعقبونه هنا ، وهناك ، ولكن كان يخاتل هذه القوات ويقتل منها فيخل عقـــدها ويختل نظامها .

وينتهى الأمر بمحاكمة قائد القوة وهكذا ... بلاء ، واجرام لا تنقطـــع سيرته ولا تهدأ ثائرته فى المديريتين !

وكيرا ما كان يراه من يعرفونه وراء بعض رفاقه وعشرته ولكن احدا لم يجرؤ على الارشاد عنه ..

وأخيرا رأت وزارة الداخلية أن تستعين بعمدة قبيلته « على بك » وهو شيخ محترم ، فهددته الحكومة بأن تجرده من رتبه ونياشينه ان لم يأتى بهذا الياسين حيا أو ميتا ...

خذوا رتبكم ونياشينكم

ظل على بك يطارد الشقى ياسين برجال من قبيلته حتى عثر عليه فى أحد الأماكن .

وطلع له ياسين من المغارة فطلب منه العمدة أن يستسلم . ولكن هيهات لياسين أن يستسلم بهذه السهولة ، فقد رفض الاستسلام وقال للعمدة :

يا سيدى على بك ... أنت عمدتنا ورئيسنا ويعز على أن أؤذيك ، وأنت تعلم أنى محكوم على بالاعدام ولن ترحمنى الحكومة اذا قبضت على ... ولذا فأنا لا أسلم نفسى حيا أبدا كما أنى لا أموت رخيصا أبدا .. فخير لك ان تتركنى .

ثم استطرد يقول :

هل انت أقوى من الحكومة ؟ خل بينى وبينها .. والا فلا تلومن الا نفسك

فلم يسع العمدة الا ان يتركه وشأنه .

وجاء مفتش الداخلية الانجليزى ليسأل العمدة عما فعل : فقال له :

لم أستطع أن أفعل شيئا وأرجو أن تأخذوا رتبكم ونياشينكم إذا شئتم .. ولست أقوى من الحكومة حتى تكلفونى بما لا أطيق .

ثم أردف يقول للمفتش الانجليزى :

ها أنا علمت أن الشقى فى جهة كذا فى مكان كذا ، فدونكم فأقبضوا عليه واقتلوه ولكن هيهات أن يبقى ياسين فى مكان واحد يومين ؟ .. حتى لا يتكرر ما حدث .

وكنت فى هذه الفترة قد انتدبت من سلاح الهجانة لشراء جمال من وادى حلفا وكان معى اليوزباشي حسن ابراهيم وكان مدربا خبيرا بالهاجاناه وهو من قبيلة النابقة من السودان .

وكانت الحدود ترسله للسودان ليشترى الهجن لخبرته فى هذه الناحية وقد أصر على أن أذهب معه ، وبالفعل ذهبنا الى اسوان ومن هناك الى حلفا ثم الى أبو حمد فى السودان .

وهناك انتظرنا البشارية الذين يبيعون الجمال وعندهم مهارة رائعة فى هذا المجال .

وقد اشترينا خمسة وسبعين جملا ، وبعد أن اشتريناها عاد البكباشى الانجليزى الذى كان يرافقنا الى القاهرة بالسكة الحديد وقمت مع اليوزباشى حسن ابراهيم ونفرين من الهجانة ودليل الطريق قمنا مع الجمال من أبىحمد الى حلفا وكانت مأموريتى أن توصل الجمال من حلفا الى مرسى مطروح سيرا بالبر ، ثم تقدم تقريرا فى النهاية عن كل جمل من هذه الجمال .

كانت المهمة فى الواقع شاقة للغاية ، خاصة والعدد من الجمال كبيرا لا سيما اذا قيس بالنسبة لنفرين وأومباشى ودليل طريق واحد لاغير .

ولكن الأوامر وقد وقد امكننا ان نعبر الطريق من حلفا الى البر الغربى .

وعندما وصلنا حلفا وصل تلغراف الى زميلى اليوزباشى حسن ابراهيم ان زوجته فى خطر ...

وقال لى :

لا بد أن أرجع حالا الى القاهرة لاطمئن على زوجتى .

قلت له :

وما العمل فى هذه الجمال ؟

فأجابنى بقوله :

لا شىء .. تتولى انت امرها وانى على ثقة من انك عندك الكفاءة التى تستطيع بها أن تتولاها وتتحمل مسئولية أمرها حتى تصل باذن الله سالمة .

واحسست بمدى المسئولية الكبيرة التى القيت فجأة على عاتقى وأنا ضابط ما زلت فى مستهل حياتى العملية والمهمة شاقة والطريق وعرة ...

ولكنى اقبلت على تحمل المسئولية واستطعت ان اعدى بهذه الجمال الكثيرة من الغرب الى اسوان وهى بالشرق ، وعندئذ فكرت كيف اتصرف فى مئات الأرادب من الاذرة وهى الخاصة بعليق الجمال ... كيف سأنقلها وأين اضعها لتكون فى متناول هذه الجمال خلال رحلتنا الشاقة ..

وهدانى تفكيرى الى أن أخزن كمية فى كل محطة من محطات السكة الحديد على طول الطريق .

ولكن لا بد من أن اذهب الى الشرق حتى أستطيع أن اوزع العليقة على طول المحطات حتى أصل الى القاهرة .

وبدأنا فى العمل وكان لابد أن نسير بجوار السكة الحديد .

وعند كوم أمبو أحببت ان أرى اذا كان هناك قطارات او قطار على الطريق وسألت عن ذلك حتى يمكننا أن نجتاز (منطقة الخطـــر) ولكنهم قالوا انه لا يوجد الآن قطارات فى الطريق .

ويريد الله السميع العليم أن يأتى قطار بضاعة لم يكن مجيئه مسجلا فى الجدول وكانت الجمال تسير بين خطوط السكك الحديدية . واخذنا نضرب الجمال أنا والاومباشى والنفرين والدليل حتى نستطيع أن نبعدها عن الخطوط بأسرع وقت قبل أن يقطعها القطار أربا أربا وكان قد لاح مقدمه وأخذ يزحف فى سرعة نحو هذه الجمال .

واستطعنا ان نفرقها ونبعدها بعد مجهود شاق وكان هناك جمل اسمه « الظافر » كنا قد اخذناه معنا من القاهرة خلال هذه الرحلة لم تستطع أن نبعد هذا الجمل العزيز عن الخطوط واخيرا وقع امام القطار فدهمه وشطره الى قطعتين ثم تعطل القطار .

وكنا قريبين من « سلوا » وهى احدى البلاد التابعة لاسوان وهناك نقطة بوليس وقـــد تم عمل المحضر اللازم فى هذه النقطـــة ثم أمضينا ليلتنا فى « سلوا » .

وقلت ليس المهم أن نمشى مع السكك الحديدية ، نمشى فى الصحراء مهما تكبدنا من المتاعب والمشقات حتى لا يتكرر مثل هذا الحادث مرة أخرى .

استأنفنا المسير على بركة الله ، ولكن فى الصحراء هذه المرة . .

وكنت أتقدم القافلة ومعى دليل الطريق وهو كما قلت من قبيلة العبابدة وكان الجنديان يسيران الى جانبى الجمال بينما الاومباشى يسير فى الخلف ويسوق على الجمال وبينما نحن نسير بين جبلين واذا بالاومباشى يلهب هجينه بالسوط ليصل الى ولما وصل قال لى :

« يا أفندم انا شفت واحد عربى نايم على بطنه ، وفى يده بندقيـــة على المغارة هناك » .

وأشار الى مكانها .

وسمع حديثه دليل الطريق فيما كان منه الا ان ابتدره قائلا :

واحنا مالنا ومال عربى نايم على بطنه وفى يده بندقية ؟ ما ينام على ظهره او ينام على بطنه فى مغارة او فى نار حامية ؟ !

وكان الدليل قدأدرك بنظراته البدوية أن هذا الرجل الرابض فى مغارة فى الجبل لا بد أن يكون هو الشقى ياسين وهو من نفس قبيلة الدليل وهى قبيلة العبابدة كما قدمت ، فأراد بكلامه هذا ان يجنبنا شره ويبعدنا عن بلائه . .

ولكنى وجدت نفسي مندفعا لأرى هذا الياسين الذى دوخ وزارة الداخلية واقلق راحة المواطنين الآمنين فى مديرتين كبيرتين فأوقفت القافلة .

وجن جنون الدليل عندما رأى تصميمى على أن أصل الى مكان ياسين الذى اشار اليه خوفا علينا منه . .

وحاول بكل جهده أن يثنينى عن تصميمى فأبيت وعقلنا الجمال وتركت معها القوة العسكرية ومعى دليل الطريق ثم عدت انا وهو الى حيث المغارةالتى راى فيها الراقد وفى يده بندقية .

وكنا نسير فى حذا سفح الجبل ، فلما قربنا من فوهة المغارة أشرت للدليل بالوقوف ، وسمع الراقد على بطنه وفى يده بندقيته رغاء الجمال واذا به يطلق طلقات سريعة دون أن يرى أحدا ولكنها للارهاب والتخويف ، فتأكدت انه الرابض على بطنه وفى يده بندقيته هو فعلا : ياسين ! .

الفصل الثالث

((٢)) من ذكرياتى ..

يابهية وخبرينى عاللى جتل ياسين

رأيت للفترة الأولى من مذكراتى التى فقدتها حقا فى البقيـة الباقية من ذاكرتى .. تلك الفترة فترة الشباب فى فجره المشرق بالطموح والامل ، كما انها الفترة التى تعلمت فيها الدروس العملية الأولى من صناعة الجندى وما صناعته الا النضال والقتال واقتحام الأهوال والصبر على الردى والمكاره وما أشرف صناعة الموت الكريم فى سبيل الحياة العزيزة .

وما اكرم صناعة الحرب وما الحــــرب الا أن تقتل وتقتل فى سبيل الله والوطن الغالى . وهل تعز اوطان الا اذا رخصت فى حمايتها الدماء ؟ وهــل تايد حق « ما لم يكن السيف بانيه وحاميه ، وهـــل تايد حق » ما لم يحط جانبيه « حسام » .

ما ليس يدفعه المهنـــد مصلتا
لا الكتب تدفعه ولا الاقـــلام
تستعصم الأوطان خلف طبـاته
وتعز حــــول قناته الاعـــلام

نعم هى الحرب صناعة الجندى ، وحرفته ومهنته ، هى الحرب عـــلم القائد ، كنهه وعبقريته ، فان أقدم فيها عرف وان اخفف تلف . والفرق بين علم الحرب وفنه وغيره من العلوم والفنون ، ان كل علم وكل فن يمكن أن يمهر فيه طالبه فى زمن السلم ويبرز ويتفوق ، ويبلغ مداه الا علم الحرب وفنه فان كل امتحان يؤديه فيه طالبه ويبلغ الغاية منه فى حياة السلم قد يذهب جفاء ويتبخر هباء . عند الامتحان الحقيقى الإمتحان الذى يترك تقدير درجاته الى

مجلة الشبان المسلمين ابريل ١٩٥٧ .

عزرائيل . والويل للقائد من امتحان عزرائيل فى موقف الهول والردى هنـا تنكشف العورات ، وتفضح الحرب ما ستره السـلم . فلا حفظ النظريات ولا البراعة فى وضع الخطط ، ولا الكفاءة الممتازة فى حل العمليات المعقدة . ولا السيطرة والادارة القادرة فى توجيه المناورات تجـدى تيلا اذا انهارت الاعصاب ورجفت القلوب وعزت الحياة . عندها ترى العلم والفن العسكرى فى جناحى طائر فيهوى الى الحضيض القائد ويهوى معه جنده .

أرى القلم قد شط بل شطح وبعد كل البعد عن الذكرى أو القصة التى أريد أن أقصها من ذكرياتى فلا هى حرب ولا ميدان حرب . ولا امتحان قائد فى حرب . انما هى امتحان ابتدائى لضابط لم يمض على تخرجه الا شهور معدودات ، امتحان لقلبه وأعصابه وتفكيره ، هى قصة صدام مع الشقى ، يسن ، فمن هو هذا الشقى « يسن » يسن عربى من قبيلة العبابدة .

كان يسن هذا أعنف شقى واجرأ مجرم مشى على أرض مصر فى زمنه . اتخذ القتل حرفة وازهاق الأرواح تسلية فكأن يقتـل ليلهو ويلعب ويقتـل ليسلب وينهب ، ويقتل ليطرب كل الطرب عندما يسمع اسمه يردده الناس فى خوف وفزع وهلع ، وكان يقول لبعض أقاربه لماذا لا أكون مثل أبو زيد الهلالى على الربابة . روعهذا الشيطان الرجيم بجرائمه مديريتينمديرية قنا ومديرية اسوان ، وأصبح لا حديث للناس الا ما يتوجسونه من بلائه وشره المستطير .. قد يراه بعض من يعرفونه ويراه كثير من عشيرته ولا يجرؤ احد على الارشاد عنه . يسطو اليوم على مديرية قنا يقتل من يقتل . ثم يفر الى مديرية اسوان بين المدريتين حتى بلغ الخوف من النفوس غايته ، وأصبح لا يجرؤ أحد على وتسمع بعدد أيام انه قتل فيها من قتل وعود الى سيرته هذه على التـوالى السير منفردا فى الخلاء بل ولا الجماعة تجرؤ وتخشى ان يكون لها بالمرصاد .

وامتنع الناس عن الخروج من منازلهم ليلا فى بعض البلاد فى هاتين المدبريتين. وقد ضاقت وزارة الداخلية ذرعا بهذا الشقى وشددت النكير على المديرين القائمين على الأمن فى قنا واسوان . وامدتهم بقوة اضافية . وصاروا يجردون عليه قوات من الجنود والخفراء بقيادة ضباط يتعقبونه هنا وهناك فكان يخاتل هذه القوات ويقتل منها فيذفرط عقدها ، ويختـل نظامها ، وينتهى الأمر بمحاكمة قائد القوة وهكذا . بلاء واجرام . ولا تنقطع سيرته ولا تهدأ ثائرته فى المديريتين . واخيرا رأت وزارة الداخلية ان تكلف عمدة قبيلة هذا الشقى وهو شيخ محترم هو العمدة على بك وهددته الحكومة بان تجرده من رتبته ونياشينه اذا هو لم يأت بهذا الشقى حيا أو ميتا .

ظل العمدة الباسل يطارده برجال من قبيلته حتى عثر عليه فى أحد مخابئه وطلب منه أن يستسلم . فقال للعمدة يا سيدى على بك انت عمدتنا ورئيسنا ويعز على ان أؤذيك وأنت تعلم انى محكوم على بالاعدام . ولن ترحمنى الحكومة اذا قبضت على فانا لا أسلم نفسى حيا ابدا كما انى لا اموت رخيصا ابدا ، فخير لك ان تتركنى . ولماذا تعرض نفسك للأذى فهل أنت أقوى من الحكومة . خل بينى وبينها . والا فلا تلوم الا نفسك فى هذه الساعة . فاتركنى . فلم يسع العمدة الا ان يتركه وشأنه ولما جاء مفتش الداخلية الانجليزى ليسأل العمدة عما فعل قال له لم أستطع أن اعمل شيئا . وخذوا رتبتكم ونياشينكم اذا شئتم ولست انا أقوى من الحكومة حتى تكلفونى بما لا اطيق ، ها انا قد علمت أن الشقى فى جهة كذا فى مكان كذا فدونكم فاقبضوا عليه واقتلوه وهيهات ان يبقى يسن فى مكان واحد يومين وظل على حاله بين المديريتين لا ينتهى عن منكر ولا ينقطع عن الناس اذاه هذا هو يسن .

وكنت قد انتدبت فى هذه الأثناء من سلاح الهجانة لشراء جمال .. من وادى حلفا .

وبعد ان اشتريت الجمال عاد البكباشى الانجليزى الذى كان معنا الى القاهرة بالسكة الحديد وقمت مع اليوزباشى حسن ابراهيم وانا مع الجمال من ابى حمد الى حلفا . وكان معى اومباشى ونفرين من الهجانة ودليل طريق « فقط » لا غيره . ومأموريتى ان نوصل ـ الى حلفا فى الصخور فى شهر مايو وفى وستين هجينا من حلفا الى مرسى مطروح سيرا بالبر وتقديم تقرير فى النهاية عن كل جمل من هذه الجمال .. مأمورية شاقة بل شاقة جدا .. بقدر مشقتها اخواننا ضباط الهجانة خصوصا والعدد من الجمال كبير جدا بالنسبة لنفرين واومباشى ودليل طريق ولكن الأمر هو الأمر . عدينا من حلفا الى البر الغربى وتوكلنا على الله قاصدين اسوان .

وكنت اتقدم القافلة ومعى دليه الطريق وهو من قبيلة العبابدة وكان العسكريان على جنبى الجمال والأومباشى فى الخلف يسوق القافلة .. وبينما نحن نسير بين جبلين وأنا منقبض النفس واذا بالأومباشى يلهب هجينه بالسوط ايصل لى ولما وصل قال « يا افندى .. أنا شفت واحد عربى نائم على بطنه وفى يده بندقية فى المغارة هناك وأشار الى مكانها ــ فما كان من دليل الطريق الا ان قال « واحنا مالنا ومال عربى نايم على بطنه وماسك بندقية ما ينام على بطنه والا على ظهره فى مغارة او فى نار حامية

وماسك بندقية ما ينام على بطنه والا على ظهره فى مغارة والا فى نار حامية. .. وكأن الدليل أدرك بفطرته البدوية ان هذا الرابض فى مغارة بين الجبل لا بد أن يكون هو الشقى يسن وهذا الشقى عبادى ومن نفس قبيلة الدليل. فأراد بكلامه هذا أن يصرفنا عنه ويجنبنا شره وبلاه . »

ولكنى وجدت نفسى مندفعا لأن أرى هذا الياسين فأوقفت القافلة .. وجن جنون الدليل لما رأى تصميمى على أن أصل الى مكان يسن خوفا علينا منه وحاول بكل جهده أن يثنينى عن تصميمى فأبيت وتركنا الجمال وعقلناها وتركت معها القوة العسكرية ودليل الطريق وعدت والأومباشى الى حيث المغارة التى رأى فيها الراقد على بطنه وفى يده بندقيته وكنا نسير فى جذاء سفح الجبل فلما قربنا من فوهة الغار أشرت للاومباشى بالنزول فنزلنا وسمع الراقد على بطنه وفى يده بندقيته رغاء الجبل واذا به يطلق طلقات سريعة دون أن يرى أحدا ولكنها للتخويف فتأكدت أن الراقد على بطنه وفى يده بندقيته هو الشقى الملعون يس وأدركت فى هذه اللحظة انه لم يعد فى امكاننا ان نواصل سيرنا دون معركة مع هذا الشقى وعدت الى حيث مبرك الجمال لتدبير الخطة وطبعا صوت طلقات بندقية يس . ومالنا وماله فأخرسته فى هذه المرة فسكت وتركت عسكرى والدليل عند الجمال. وأخذت معى الأومباشى والعسكرى الثانى وذهبنا للموقعة . وواجهنا فوهة الغار من مسافة ثلثمائة متر تقريبا وبدانا نطلق على فوهة الغار بعض الطلقات ونحن خلف من نجدات الأرض فلم يطلق علينا وكأنه يريدنا أن نتقدم ليكشفنا فتقدمنا زحفا الى نجدة أخرى واذا بى أسمع بكاء طفل ينبعث من الغار فكان ذلك مفاجاة لنا .. وخشيت ان رصاصا يصيب هذا الطفل فأمرت بايقاف ضرب النار وانسحبنا ولاحظت ان الريح تهب بشدة من الشرق الى الغرب يعنى من موقعنا الى ناحية الغار فخطر لى خاطر على قدر تفكيرى فى تلك السن .. وهو انى رأيت فى طريقنا وقبل أن ندخل هذا الممر بين الجبال مغربيين يسكنان فى أخصاص من البوص وحولهم بوص من سيقان الأذرة — فخطر لى لماذا لا نأتى منها بحمل جمل بوص ونربطه فى حزمة كبيرة ونُدليها من أعلى الجبل بواسطة حبل وحبال الحملة متوفرة عندنا .. وندليها الى فم الغار بعد أن نشعل فيها النار وشدة الريح ستدفع بنارها ودخانها الى داخل الغار فيضطر هو ومن معه فى الغار الى الخروج منه والهرب فنستطيع أن نصيبه . خطرت لى الفكرة فتسرعت فى تنفيذها وقصدت الى مبرك الجمال .. واذا به يطلق علينا طلقتين أصابت احداهما طربوش العسكرى فانبطحنا ولا زلنا نزحف حتى وصلنا الى الجمال وقلت لدليل الطريق أن يأخذ جملا ويذهب بأقصى السرعة الى عزبة البوص

القريبة بحمل الجمل بوصا ويعود فقال لى ومن أى طريق أذهب قلت له من الطريق التى جئنـا فيها قال يعنى أمر على باب الغار وفيه يس .. وأنا راكب جمل يا حضرة الضابط أنا فقير وعندى عيال ومش مستغنى عن عمرى فقلت له الله يخرب بيتك ويبتى عيالك .. اصعد انت وامش من فوق الجبل وأنا أفوت لك الجمل .. وفعلا صعد هو فوق الجبل فى خفة المعتاد على تسلقها وركبت أنا جملا سريعا ولمـا اقتربت من فوهة الغـار ألهبته بالسوط فمرق كالسهم واذا بصوت طلق نارى ظننت انه للارهاب لأنى لم أشعر باصابة ولمـا ابتعدت عن فوهة الغار نزلت من على الجمل واذا به اصيب فى حافة فخذه اليسرى اصابة كشطت جلده وادمت لحمـه .. ولكنه لم يتأثر وكان الدليل قد وصل الى الأرض عن طريق الجبل .. فركب الجمل وانطلق مسرعا ليستحضر البوص وعدت أنا من طريق الجبل الى مبرك الجمل وفى سرعة خاطفة أعطيت تعليماتى للاومباشى والعسكرى بخصوص البوص واخذا معهما حبلا وصعدا الجبل ونزلا من الجانب الآخر من الغار ووقفت أنا على الجانب الأيمن من الغار ..

ولم يمض على هذه الاحداث نصف ساعة واذا بانسان كأنه غـزال فى خفة يخرج من الغار ويندفع كالسهم يريد أن يجتاز الممر الى الجبل المقابل ليهرب (وعلمت فيما بعد انه ظن أن الهجين الذى مر أمامه وأطلق عليه النار انما ذهب ليستحضر مددا كبيرا من العساكر لمحاصرته . والقضـاء عليه فى هذه المرة .. فأراد أن يفر قبل قدوم هذا المدد فخرج من الغـار فأطلقنا عليه النار لارهابه وكانت تعليماتى الا نصيبه بل نخوفه ربمايستسلم غير أن هذا الشيطان الشقى لا أمل له فى الحياة اذا استسلم فسيقاوم حتى يفلت أو يقتل وفعلا عندما رأى الرصاص يمر عن يمينه وشـماله وفوق رأسه استعصم بهضبة وانبطح خلفنا واتجه يطلق النار فى سرعة علينا وعلى الجمال ونحن نطاوله ولا نريد اصابته واذا باومباشى عن يمينى يقول لى انا أصبت يا أفندى ووضع يده على خاصرته ثم اذا برصاصة تصيب كعب بندقيتى . اذن الشقى مصمم على الجزء الظـاهر من جسم الشيطان والحمد لله فان سلاح الهجانة كان فى ذلك الوقت سلاحا بارعا فى التنشين المـاهر واصابة الهدف . فاذا أربعة رصاصات فى المليان كما يقول التعبير العسكرى رأينا الشقى يلقى بسلاحه فجرينا نحوه واذا به قد انتهى لأن احدى الرصاصات كانت فى قلبه والثلاث الأخرى واحدة تحت أبطه وواحدة كسرت ترقوته وثالثة مست ذراعه الأيمن ٤. وفتشناه واذا معه ذخيرة كثيرة وبندقية ذات خمس طلقات يونانية واذا فى دكة لباسـه ختم باسمه فتأكدنا عندئذ انه يس لا شك ولا ، شبهة .. ولكن شغلنى صوت الطفل

الذى سمعته فتوجهنا نحو الغار بعد أن ضمدنا جراح الأومباشي ونادينا أخرج يا من فى الغار فلم يخرج أحد ولم نسمع همسا فقلت للعسكرى أقدح كبريتة لأن الغار مظلم وخصوصا لمن يدخل فيه وصرت أبحث والعسكرى يقدح عودا بعد وعود من الثقاب وأخيرا اكتشفت ان الغار له جناح على اليسار فدخلته واذا بامرأة صرخت وتابعها ولد يولول فأخرجناهما واتضح ان المرأة المسكينة زوجة الشقى والولد ابنه ولا حول ولا قوة الا بالله . ولما علمت الزوجة بقتل زوجها اندفعت تزغرد وتقول فى حماس » بركة لى بركة لى « وحسبت انها تتصنع الفرح خوفا منا ولكنى علمت أنها جادة لأنها كانت تعيش معه فى فزع وخوف وبلاء .. واجلسنا المرأة وابنها عند مبرك الجمال .. وبعدها عدت الى الجثة ولست أدرى ماذا أصنع بها ولا أفهم شيئا من الاجراءات القانونية فى هذه الحالة غير اننا استحضرنا جوالا ولقيت فيه الشقى وحزمنا الشوال وربطناه وركبت المرأة وابنها جملا ولكن الى أين ؟ لنسلم القتيل فى محطة المحاميد وهى أقرب محطة منا ، وعدنا مكرهين الى الطريق المكروهة طريق السكة الحديد ولى نمشى الا قليلا ، قابلنا جمع غفير وفى وسطهم جمل محمل بالبوص فلما أبصرونا وقفوا وتقدم شيخ العزبة الغربية مسلما على ثم قبل أن يسألنى أو يعلم منى شيئا اندفع يقول الحمد لله على سلامتك يا أفندى .. الحمد لله على سلامة شبابك .. الحمد لله اللى ربنا نجاكم من شره هو ده انسان .. ده شيطان .

واصلت السير حتى قربنا من محطة المحاميد واذا بى التقى بمأمور المركز ويسألنى ماذا حصل وأين يس ؟ وقبل أن أجيبه واصل كلامه قائلا طبعا هرب ان شاء الله ما يكنش قتل واحد منكم ولا بهدلكم . فقلت يا حضرة المأمور وانت كنت فين لما قابلته وعلمت به .. واستمر حضرة المأمور يتكلم ولا يترك لى مجالا لأجيب على أسئلته وأخيرا قلت يا حضرة المأمور يس قتل .. فما سمع قولى حتى تجهم وجهه وقال مستحيل دم كلام فارغ انت قتلت يس ؟ أبدا أبدا شوف انت قتلت مين ؟ فتلت من أظن أنه يس فقال : لا لا ما اصدقش وطيب انت جاى ليه وما انتظرتش ليه عند الشخص اللى قتلته وتبعث خبر بذلك فقلت له قد استحضرناه معنا . فقال المأمور استحضرته معك ؟ جبت جثته ولما راى المأمور الشوال قال عال عال ده طرد بضاعة ولا طرد ركاب ولا شوال ذرة . وحملق فى الشوال عندما كان العسكرى يفك رباطه ثم نفضه فسقطت الجثة والمأمور يحملق فيه فما

أن رأى الجثة حتى صرخ صرخة عالية (هو ابن الـ .. هو ابن الكلب) . وكأنه فى حالة غير عادية ولما رجع الى هدوئه قال برافوا يا ابنى أهنيك على سلامتك وعلى شجاعتك وانت ريحتنا من هم وشر كبير) .

وما اشرقت شمس الصباح حتى بدات وفود المسئولين الى محطة المحاميد من قنا واسوان وما انتصف النهار حتى كان مكان الاستراحة يعج بالوافدين من جميع الرتب والمتفرجين وكان ضمن القادمين وكيل نيابة قنا واخر من أسوان وتسلم محضر التحقيق وكيل النيابة وبدأ يوجه الى اسئلة فيها عنف وعنت . والحقيقة انه لما ازدحم المكان برجال الادارة لم أر منهم ترحيبا ولا لطفا فى معاملتى وكأننى أتيت أمرا فيه اساءة اليهم مع انى كنت أرجو عكس ذلك فلم اعبأ وانطويت على نفسى بعيدا عنهم لولا هذا التحقيق الذى واصله وكيل النيابة وكان من ضمن سئلته العجيبة لماذا قتلته ولم تقبض عليه حيا ؟ لماذا لم تتركه بعد قتله حيث هو وترسل خبرا بالحادثة ؟ فقلت له انا لست ضابط بوليس ولاأعرف شيئا عن هذه الاجراءات . وتصرفت بقدر ما وصل اليه تقديرى ـ سؤال آخر ـ تقديرك غلط وتصرفك غلط ووضعت نفسك فى مسئولية ؟ الحقيقة انه عند هذا الحد من وكيل النيابة كنت انتظر اعترافا بالعمل الجليل فاذا بى أقابل بهذا النكر . عند ذاك لم أسكت قلت له تقديرى غلط وتصرفى غلط وأنا محتمل كل مسئولية تنتج عن هذا التقدير الغلط والتصرف الغلط ولكنك لن تسمع منى بعد الآن جوابا لأى سؤال . بل ولن أجلس معك مجلس المتهم . وتركته ونزلت من الدهبية وظل ينادينى فلم التفت اليه وذهبت فى الحال الى محطة المحاميد وارسلت برقية ثانية وكنت أرسلت برقية أولى بالحادثة الى مفتش الصحراء الغربية الاميرالاى الالمانى فون دومربكر بك ذكرت له فيها ما الاقيه من تحد وعنت فى التحقيق معى فما كان منى الا ان ابلغ الأمر الى اللواء هنيز باشا (الجنرال جورج هنيز) شقيق الجنرال ارشولد هنيز) فقامت قيامته وقابل مستشار الداخلية وفى الحال اوفد مفتش المديريتين قنا واسوان مستر وندسون فحضر فى يوم بقطار الاكسبريس وبمجرد أن وصل محطة المحاميد طلبنى وسلم على سلاما حارا ثم جلسنا معا وطلب منى أن أقص عليه كيف التقينا بيس وما حصل

فقصصت عليه كل ما وقع وفى نهاية الحديث قال لى هل يمكنك ان ترسل معى الدليل المصرى وعسكرى لأنى أريد أن أشاهد مكان الحادثة فأعطيته جملا ورافقه الدليل وعسكرى وذهب وعاين مكان الحادث ثم عاد بعدساعتين وأمر باجتماع كل الحاضرين من وكيل مديرية أسوان وحكمدار قنا واسوان ومأمور أدفو وضابط بوليس وبعض الضباط والمشايخ والأهالى وموظفين آخرين فوقف فى وسط هؤلاء جميعا ونادانى ومد يده الى وقال باللغةعربية انكليزية (باسم وزارة الداخلية أشكرك كثير خالص وانت قمت بعمل عظيم خلص مديريتين من مجــرم كان خطر كبير على الأمن العــام ثم التفت الى حمكدار قنا وقال له حضرة الحكمدار ثم التفت الى حكمدار اسوان وقال له حضر الحكمدار ثم التفت الى الضباط وقال حضرات الضباط . يمكنكم الآن أن تناموا كويس وتستيريحوا تمام ما فيش خطر مافيش خوف ــ هذا الضابط الصغير جدا خلصكم من الحطر والحمد لله مش كده مبروك عليكم والحقيقة انى كدت أذوب خجلا وتألمت كل الألم لهذا التقريع الشنيع لهؤلاء الضباط العظام والصغار وهم سكوت ولم يجرؤ واحد منهم أن يرد بكلمة ثم مد يده الى مرة ثانية وكرر الشكر وقال حضرتك تقدر تسافر الآن . قلت له . لكن النيـــابة لا تزال تريد منى أقوال أجاب ما فيش أقوال ومافيش سؤال وجواب خلاص حضرتك تقدم تقرير لسعادة هنتر باشــا ونسيت ان اقول ان ثلاثة اطباء حضروا من اســـوان وقنــا وكشفوا على الجثة بعدها أمر النائب بدفنها بعد ان دون حالتها وما بها من اصابات ــ ثم تحركت صباح اليوم الثالث فى طريقى الى القاهرة وبعد ان وصلتهــا وجدت أمامى خطابا من وزارة الداخلية سلمه الى الاميرالاى فون دومربكر خطاب كله ثناء وتمجيد وتقدير وبعد ان اطلعت عليه رددته اليه ليضعه فى ملف خدمتى وصرفت لنا وزارة الداخلية عشرين جنيها مكافاة .

وهـــكذا قتل يس . وهكذا كانت نهايته ولم تمض غير ايام حتى نظم أحد ابناء الصعيد أغنية فى ذلك لم تلبث حتى رددها الشعب كله من اقصى الصعيد الى شمال الدلتا تلك هى الاغنية .

يا بهيــة خبرينى

ع اللى جتل يس

الفصل الرابع

أثناء الحرب العالمية الأولى

مقالب جعفر ونورى

اريد ان يعلم قارىء هذه الذكريات بما كانت عليه حدود مصر الغربية عندما اعلنت الحرب العالمية الأولى وفى الوقت الذى كانت لا تزال فيه **ليبيا التى تخلت عنها الدولة العمثانية بعد عقدها الصلح مع ايطاليا كانت ليبيا المجاهدة بحق وصدق** ، تحارب ايطاليا **وحدها بلا سند ولا مدد الا ايمانها بربها وتفانيها فى سبيل وطنها** وحمايه عروبتها من دخيل فاجر **أراد الاستعمار** ، فظنه سهلا هينا ، واظهار بطولة حسب كسبها رخيص ليثبت انه أهل لأن تكون احدى الدول الست الكبرى فى ذلك التاريخ فخاب أمله وفشل رجاؤه سنين طويلة سجلت فيها ليبيا نصرا على قواته وسامته الخزى والعار ولو وجدت ليبيا من المدد ما يساعدها على جهادها لقذفت بايطاليا الى البحر والى غير رجعة .

ولكن الدولة العثمانية قبضت يدها على كل معاونة نزولا عن شروط الصلح التى بينها وبين ايطاليا كما أوقف الهلال الأحمر المصرى مساعدته وهو الذى قدم الكثير وفوق الكثير للشقيقة العزيزة والجارة الباسلة الكريمة ليبيا وامتنع المسلمون فى مصر وغير مصر عن تقديم اى عون واعتقد الجميع ان لا أمل فى نصر تحرزه ليبيا ولا هزيمة ايطاليا بعد أن انسحبت الدولة العثمانية من الميدان .

جهاد السنوسى

وكان وقع هذا الموقف السلبى من الجميع على ليبيا شديدا وشديدا جدا ، اذ حرمها كل ما كانت ترجوه من المسلمين وهى بلد لا يملك شيئا وليس له موارد من أى نوع تعينه على استمرار جهاده ومع هذا الضيق المحيط ببرقة من جميع نواحيها ابت ليبيا المسلمة المؤمنة والعربية الباسلة، ان تجعل لليأس سلطانا عليها وفضلت ان تموت كريمة كما عاشت كريمة وابت ان تسلم او تستسلم وكان المجاهدون يعيشون على الطوى اياما كثيرة ويحاربون العدو بما يغنمونه من سلاحه وذخيرته ومؤونته وفى هذا الهلاك وتحت ضغط هذا الحرمان والحرب المستعرة الأوار رأى السيد الامام

العدد ١٢ مارس ١٩٥٨ ــ مجلة الشبان المسلمين .

المجاهد وقائد المؤمنين السيد أحمد الشريف السنوسى رضى الله عنه وارضاه. أن ينقل معسكره قريبا من الحدود المصرية ليسهل عليه الاتصال المباشر بمصر الشقيقة الكريمة وبالهلال الاحمر فنزل فى مسيعد وابدل اسمها واسمها (مساعد) وبدأت مفاوضاته واتصالاته ورسله وكتبه الى مصر يشرح فيها حال المجاهدين وما وصلوا اليه ويطلب العون والمدد السريع .

وفى هذه الأثناء نشبت الحرب العالمية الأولى ودخلت فيها الدولة العثمانية ضد انجلترا وفرنسا ومن معهما وما لبثت ايطاليا أن نقضت محالفتها مع النمسا وانضمت الى الحلفاء عند ذلك كتب السيد الامام احمد الشريف السنوسى الى أنور باشا وكان أنور فى هذه الحقبة رجل الدولة العثمانية الأول بمؤازرة المانيا له واصبح وزيرا للحربية ونائبا عن القائد العام (السلطان) وصاحب النفوذ الذى يملك أن يغنى ويفقر ونشأت بين السيد السنوسى وانور باشا صداقة متينة عندما كان فى برقة ثم تركها بمناسبة حرب البلقان وتأزم الحالة فى استانبول .

كتب السيد الامام الى أنور باشا يطلب العون والمدد الكافى وانه مستعد أن ينضم الى دولة الخلافة فى حربها ضد المستعمرين للمسلمين .

فما وصل كتاب السيد احمد الشريف الى انور باشا حتى انتهز الفرصة وبادر بارسال اخيه (نورى) فى غواصة المانية ، ثم جعفر العسكرى — رئيس وزراء العراق فيما بعد — وغيرهما من الضباط العثمانيين « نديم ، وغالب ، وآمين ، ونهاد عبد القادر وفوزى ، وضياء » وبعض ضباط الصف والعساكر المتخلفين فى استانبول من الليبيين الذين سبق أن أرسلهم عندما كان فى برقة لتدريبهم تدريبا عسكريا يجعل منهم ضباطا احتياطيين وضباط صف فنيين ، جاء كل هؤلاء الى معسكر السيد الامام فى مساعد بعضهم فى غواصات المانية وبعضهم فى مراكب شرعية استطاعت ان تفلت من رقابة أساطيل الحلفاء فى البحر الأبيض وتكون من هؤلاء جيش نظامى مدرب تدريبا حديثا وبدأوا فى تدريب اجاهدين فى جهة « بير واعر » غرب مساعد (وأطلقوا على بعض الكتائب أسماء « بدنجى نمونه — ايكنجى نمونه — طابور بير واعر ») الخ ..

استعداد هزيل

وكان الهدف الاستراتيجى المطلوب من هذه القوة التى تشكل فى برقة القيام به هو مهاجمة الانجليز فى حدود مصر الغربية حتى يضطروا الى

الحرب فى جبهتين عندما يهاجم الجيش العثمانى الانجليز فى قنال السويس وعند ذاك تثور مصر كلها وتكون نهاية الاحتلال والخلاص منه .

كانت هذه هى الخطة التى وضعت فى استانبول وجاء هؤلاء الضباط لتنفيذها ، ولكن واسفاه فان هذه الخطة الضخمة كان بقدر ضخامتها العكس فى الاستعداد لها ، فان الاستعداد لها كان هزيلا الى درجة لا يتصورها عقل ، وكان الموفدون للقيادة وتنفيذ هذه الخطة دون المستوى الذى تتطلبه هذه العمليات وان كانت بسالتهم الشخصية وشجاعتهم واقدامهم فوق كل تقدير ولكن قيادتهم كان ينقصها الكثير من حرب الصحراء .

بدا نورى فور وصله الى معسكر مساعد اى المعسكر السنوسى يساعده جعفر العسكرى والضباط الذى قدموا من استانبول بدأوا بتدريب المجاهدين السنوسيين ولو ان جميعهم كانوا قد سبق لهم التدريب بل الاشتباك فى مواقع كثيرة مع ايطاليا وتمرسوا على القتال .

بدا نورى وجعفر بتشكيل الوحدات الخاصة التى اطلقوا عليها الأسماء التى ذكرتها وخصوا هذه الكتائب بعناية خاصة فى مأكلها وتسليحها وغير ذلك .

وعينوا اليوزباشى امين قائدا للكتيبة الأولى ، واليوزباشى غالب قائدا الثانيه واليوزباشى نديم قائدا لكتيبة بير واعر وكان قيادة الاسلحة الميكانيكية ايضا بقيادة الضباط العمثانيين مثل المدفعية ومدافع الماكنة يعاونهم كثير من ضباط الصف والأنفار الأتراك (هؤلاء جميعا يحملون قنابل يدوية) أما بقية القوات السنوسية فكانت تشكل من كتائب القبائل بمعنى أن لكل قبيلة مجاهديها . العوافر ـ الحاسة ـ البراعصة العبيدات ـ العبيد ـ المنفة ـ وغيرهم خلاف حرس السيد الامام المكون من حفظة القرآن الكريم وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة وثلاثين حافظا « كقوة المهاجرين والانصار فى غزوة بدر الكبرى » .

وكانت هناك كتيبة اخرى من السودان الغربى وكان مجموع هذا الجيش السنوسى نحو ذقة من اثنى عشر الفا مقاتلا لا يزيد تسليحهم على بندقية مشاه ، بل كان السلاح من انواع مختلفة ويستتبع هذا اختلاف فى الذخيرة وعدد الطلقات التى يحملها كل جندى فبينما يحمل بعضهم مائة طلقة نجد آخرين لا يحملون اكثر من ثلاثين طلقة وليس لديهم اى استعداد

فى خدماتهم الخلفية فلا قسم طبى ولا تموين ولا احتيـــاطى للذخيرة ولا وسائل للمواصلات غير جمال الحمل التى تمشى الهوينا ولا تركض ، وعدد محدود من الخيل للضباط ورغما من هذا النقص الفاضح فى كل شيء فانه لم يمض اكثر من أربعة شهور على وصول الضباط العثمانيين الى المعسكر السنوسى حتى بدأ نورى يطالب هو وجعفر فى الحاح من السيد الامام احمد الشريف السنوسى أن يعجل على القيام بحركة هجوم على الانجليز فى حدود مصر الغـــربية .

حركة مذبوحة

ولكن المجاهد الكبير والعليم الخبير بالحرب وما تتطلبه من استعداد ، كان يرفض طلبهم ويقول فى منطق عسكرى « أين استعدادكم واين قوتكم التى تريدون أن تهاجموا بها الانجليز ؟ »

تريدون منى أن أحارب دولتين عظيمتين احداهما خلفى وهى ايطاليـــا والثانية أمامى وهى انجلترا بالجيش المجرد هذا المجرد من كل استعداد وفوق هذا فأنتم تعلمون علم اليقين أن تموينينا الآن متوقف على ما يسمح به الانجليز فى السلوم من مؤن وسلع تأتى بها طوافات مصر من الاسكندرية ــ وبالرغم من انضمام ايطاليا فى الحرب معهم فقد اشترطوا عليها الا يمنعوا تموينينا وان يستمر كما كان من قبل وقد وفوا اليوم بذلك ، وأنا عندما كتبت الى صديقى أنور باشا انى مستعد للانضمام فى دولة الخلافة لمحاربة المستعمرين اشترطت أن تمدنى الدولة العلية بالامداد الكافى الذى يتطلبـه الموقف فى محاربة الدولتين ولكنى أقول والأسف يملأ قلبى انكم منذ وصلتم لم يصلنا من العون والمدد ما يستحق أن يذكر ، بل أنتم تعتمدون عـلى تموينكم الشخصى على السلوم ، فأين المخــــازن التى امتلات بالمؤن فى حالة ما اذا أقفل الانجليز باب الاسكندرية وأين الأسلحة الموحدة الصالحة للقتال، وأين الذخائر الكافية وأين وأين ؟ .

لا شيء ، فهل المقصود أن نقوم بحركة مذبوحة أقدم فيها المجاهدين الى الفناء ، ونمكن ايطاليا من الاستيلاء على برقة دون ان تفيـــد مصر اى فائدة من حركتنا ، وانا الحريص على ان اقوم بكل تضحية اذا كانت نتيجة مساهمتنا تخليص مصر من الاحتلال الانجليزى .

أما الهجوم الصورى الذى لا يأتى الا بالهزيمة المحققة فانا لا يمكن أن اوافق عليه ، اكتبوا لاستانبول وانا سأكتب الى صديقى انور باشا ايضـــا بهذا الاستعداد واكرر استعدادى لأن احارب الأبيض والاسود فى كل جهة،

اذا توفر لدينا بعض الاستعداد وشيء من الأمل فى نجاح حـــرتنا ضـــد أعدائنا . » .

بالرغم من انه لم يأت أى عدد من أى نوع من الدولة العثمانية لانهـا كانت هى نفسها فى حالة لا تحسد عليها ، وكان الهجوم على الدردنيل ، فلم تقدم أى مدد جدى من أى نوع لجيش الامام السنوسى ، بالرغم من ذلك فقد ظل نورى وجعفر لا يكفان عن الحاح على السيد الامام بالقيـــام بهجوم ضد الانجليز رغم علمهما علم اليقين ان هذا الهجوم لن يكون الا حركة مذبوحة ، ولن يكتب لها أى نجاح ولكنهما توهما ان الانجليز فى شغل شاغل فى ميادين أهم وأخطر فلن يعززوا قوة لها خطرها لمواجهة الهجوم من برقة ، وعزز هذا الوهم فى نفوسهم ما يرونه من تملق اميرالاى اسنويك مفتش الحدود الغربية والمقيم فى السلوم ، تملقه وسعيه المتواصل لارضاء السيد الامام وقدوم وفود من مصر لها اتصال روحى وأخاء فى الله مع السيد الامام السنوسى هذه الوفود مكلفة من الانجليز ، باقنـــاع الســـيد الامام بخطورة موقفه اذا هو انحاز واذا هو اذعن لاغـــراء الأتراك وقام بأى حركة ضد الانجليز ولتذكره بالصـــــداقة التقليدية القـــديمة من آبائه والامبراطورية الانجليزية وان انجلترا ما كانت فى يوم من الايام عدوة لهـــذه الدعوة الرشيدة المسلمة ، وانها لزمت جانب الحياد فى حرب ايطاليا ، كما انها لم توافق ايطاليا على قفل باب التمـــوين من مصر الى المجـــاهدين السنوسيين رغما عن انضمام ايطاليا الى الحلفاء .

تقــــدير خاطىء

فسر نورى وجعفر هذه المعاملة بأنها من الانجليز ضعف بلغ غايته حتى انحدروا الى هذا الدرك من التملق والخضوع .. فلماذا يتردد الســـيد السنوسى فى هجومه عليهم والله يعلم ان السيد الامام لا يهمه تملق الانجليز له ولكن الذى يهمه أن يطمئن على استعداد جيشه للهجوم وهو أعلم بتقدير الموقف من حضرات السادة الذين يتولون القيادة والذين كان من آمالهم المبنية على الخطأ البالغ فى التقدير أن فى اســـــتطاعتهم أن يحرزوا نصرا رخيصا وأن يستغل الجيش العثمانى القادم من الشرق فى دخول مصر ، ذلك الجيش الذى كان معلوما انه سيكون تحت قيادة الخديو حتى يحفز المصريين على الثورة ولكن الأتراك ابعدوا الخديو عن هذه القيادة ، وقـــد سمعت من الخديو عن هذه القيادة ، شخصيا عندما التقينا فى استامبول ١٩١٨ لـــماذا لم تكن على راس القوة التى قدمت لمهاجمـــة الانجليـــز فى القتـــال فقـــال لى فى شرح طـــويل الإســـباب التى ادت الى ابعـــاده

بعد ان بعث معيته الى حلب ومكث بها خمسة عشر يوما .

نعود الى نورى وجعفر فقد ساقهما هذا التقدير الخاطىء الى ان يرتكبوا من الاعمال ما لا يتفق فى قليل ولا كثير من الشرف العسكرى ولايليق أن يسلكوه مع أعظم مجاهد ظهر بين المسلمين فى تلك الحقبة وهم مكلفون بطاعته واحترامه احتراما يليق بسمو مكانته عند الله والمسلمين ، نسوا كل ذلك وبدأ جعفر يدبر (المقالب) لخلق جو من التذمر والغضب والمرارة بحمل الانجليز مكرهين على محاربة السنوسى وبذلك يكونون قد وصلوا الى غايتهم .

مقـــــالب !

(المقلب الأول) .. فكر جعفر ودبر ثم ذهب الى السيد الامام يقول له ان قبائل اولاد على القاطنين فى حدود مصر الغربية سنوسيون مخلصـــون يدينون بالطاعة التامة لسيادته وهم ينعمون برزق وفير من الزرع والضـــرع ولا تطالبهم الحكومة المصرية بشىء فلا ضرائب ولا عوائد ولا رسوم ولا شىء مطلقا فلماذا لا يسعى السيد الامام لدى الحـــكومة المصرية لتســـمح له بتحصيل زكاة الأموال من هؤلاء السنوسيين لتكون لاخوانهم المجاهدين فى برقة . واولاد على لن يترددوا فى دفع هذه الزكاة بمجرد ان تصلهم رغبـــة الســـــيد الامام بذلك والأمر لا يكلف السيد الامام اكثر من ان يتكلم مع الأميرالاى اسنويك الذي سيسارع مغتبطا فى تلبيته . ان هـــذا الراى لو صدر من مخلصين لكان رايا سديدا وعملا فيه خير ونفع كبير ولكنه كان رايا وراءه خبىء ويستر شرا مستطيرا ، فتقبل السيد الامام مشـــورة جعفر بالرضا والتقدير واسرع فى استدعاء الاميرالاى اسنويك وطلب منه الســـماح بدخول بعض مشايخ السنوسيين الى الحدود المصرية والاتصال بأولاد على لتحصيل الزكاة وهى أحد الأركان الخمسة فى الاسلام لمساعدة اخـــوانهم المجاهدين فلم يسمع الأميرالاى اسنويك الا ان يرحب بالفكرة ويوافق على الطلب دون أن يرجع الى وانا قائد منطقة مرسى مطـــروح ، وحاكمها الى واحة سيوه ، واغتبط سيادة السيد الامام بهذه الموافقة السريعـــة وبشر جعفر بذلك فماذا فعل جعفر المفكر المدبر ؟ جمع كيده (نســـتغفر الله له) وجاء بمن اعدهم لطاعته فى الشر واوضـــــح لقائدهم ما يريد ، وهو انهم سيحملون تصريحا من الأميرالاى اسنويك لدخول الحدود المصرية وامرا من السيد الامام بتحصيل الزكاة من قبائل الاود على والمرابطين ، وواجبهم وقد

اتيحت لهم هذه الفرصة ان يقوموا بما عليهم نحو السلطان وخليفة المسلمين الذى اعلن الجهاد ، وأن يأخذوا كل ما تصل اليه ايديهم من عرب أولاد على الذين لم يصبهم ما اصاب اخوانهم فى برقة وعاشوا ناعمين ، وأن لا يرحموا من يتردد او يمتنع عن كل ما يطلب منهم .

وبأسرع ما يمكن دفع هذه الجماعات من الأشرار وقطاع الطريق الى حدود مصر يحملون تصريح الأميرالاى اسنو وأمر السيد الامام ، فلم يصادفوا اعتراضا من قوات الحدود بعد ان اطلعوا على التصريح وأمر السيد السنوسى . فتوغلوا فى الحدود حتى وصلوا بين سيدى برانى ومرسى مطروح حيث تسكن الكثرة من القبائل العربية المصرية وبدا هذا الجمع المسلح ينفذون خطتهم التى رسمت لهم فبدأوا السلب والنهب باسم الزكاة ، وذبح الغنم بلا حساب لأكلهم ، ونهب الجمال وهى ثروة العرب وتهريبها الى حدود برقة ، ومن يتكلم يضرب حتى يغشى عليه ويفقد النطق ، لا يفرقون فى ذلك بين الرجال والنساء والأطفال ، وفى ليلة واحدة اتوا من الجرائم ما لا يفعله جيش العدو الكافر ، واذا بعدد من مشايخ اولاد على يقتحمون مكتبى صارخين من هول المحافظين (كلمة محافظين تطلق على العساكر السنوسيين) قائلين : هل تركتنا الحكومة نهبا لمحافظيه سيدى احمد ؟ هل تخلت عنا ؟ اذن اتركونا ندافع عن انفسنا ونقتل ونقتل . فلم يسعنى الا ان آرسل فى الحال داورية من الهجانة ومعها ضابط للقبض على هؤلاء المجرمين لكى يأتونى بهم لأعرف ما سبب هذا ، ولم يمض وقت طويل حتى علمت بكل شىء ، تصريح من اسنو ونداء من السيد الامام بجمع الزكاة ، وبينما الهجانة تقوم بحماية العرب من هذا الاعتداء اتصلت بالأميرالاى اسنو فى السلوم واطلعته على ما هو حاصل وسألته كيف يسمح بهذا دون ان يخطرنى وانا المسئول ؟ فلم يسعه وقد ارتبك الا ان يأسف ويعتذر ، وقال لى تصرف فى الأمر كيف شئت واعتبر تصريحى كأنه لم يكن ، وفى الحال كتبت خطابا للسيد الامام وبعثته مع وفد من العمد والمشايخ الى سيادة السيد فى السلوم وكان خطابا مؤثرا فلما اطلع على الخطاب غضب اشد الغضب لما حصل وخرج عن حلمه المشهور واستحضر جعفر فى الحال ولم يترك فى جعبة غضبه كلمة الا أفرغها فيه وجعفر بقدر ما هو شجاع باسل فهو ممثل ماهر يملك دمع عينيه . فأطلق لمقلتيه العنان ، وسال الدمع مرارا ، وقال للسيد الامام امام العمد والمشايخ « اتظن ان عبدك جعفر يرسل مثل هؤلاء المجرمين الخاسرين الى تحصيل الزكاة كلا والله ولكنه لا بد ان اندس بينهم من لا دين لهم ولا خلق لهم من قطاع الطريق ، فشوهوا الغرض الشريف الذى قصدنا اليه » ولكن غضبة الامام لم تطفئها

دموع جعفر ، ولا توسلاته ، وامره ان يقوم بنفسه الى داخل الحدود المصرية ويجمع كل المحافظين الذين اجتازوا الحدود ويعيدهم الى السلوم ، ثم طيب السيد الامام خاطر العمد والمشايخ ، واظهر غاية الألم والأسف على ماحصل وردهم ردا جميلا ، ودعا لهم بخير ، وقال لهم ان هذا الاجرام لن يتكرر ، وانه عاقاهم من تحصيل الزكاة بسبب ما اصابهم ، ثم بعث بأسفه الأميرالاى اسنوبك وانه امر جعفر بالقيام الى (حدود مصر) ليعيد كل عسكرى الى السلوم .

انكشف الأمر

ولما وصل هذا الخطاب الى اسنو امر القائمقام روبال ان يرافق جعفر فى مروره ، وبعث الى السيد خطابا غاية فى الرقة يثنى فيه على كل ما قمت به ويرجونى ان أبلغ اسفه الشديد لقبائل اولاد على الذين اصابهم شر واذى ودعا لهم بأن يعوضهم الله اضعاف ما فقدوا ، ومر جعفر وروبال على المنطقة التى وقع فيها الاعتداء فوجدا اثر النهب والضرب ، ووجد ان جميع المحافظين قد فروا عندما راوا داوريات الهجانة وعلموا بذهاب العمد والمشايخ لمقابلة السيد السنوسي واخذوا معهم من الابل ما اخذوا .

وفشل « المقلب » الأول ، وكان يقصد جعفر من وراء ذلك ان يحصل صدام جدى بين عرب اولاد على والمحافظين ، ويشتد الصدام فينشر جعفر بين المجاهدين فى السلوم ان عرب مصر قتلوا المحافظين الذين بعثهم السيد الامام لجمع الزكاة ، فيثير هؤلاء بدافع الانتقام لاخوانهم ، ويندفعون غير مبالين الى حدود مصر ، فاذا اعترضهم احد من الانجليز قتلوه ، فيظن الانجليز ان السنوسى قد غدر بهم ، وانه بدأ هجومه على الحدود ، فتنقطع العلائق وتنشب الحرب . ويتم المراد .

هذا هو « المقلب » الأول وقد فشل بحكمة السيد الامام ولكن جعبة نورى وجعفر لا تزال فيها سهام وما سيأتى ذكره من المقالب يتضاءل بجانبه هذا المقلب . والى فرصة اخرى .

* * *

لما فشل جعفر باشا فى تدبيره الأول ولم ينجح فى قطع العلاقة بين الامام المجاهد السيد احمد الشريف السنوسى وبين الانجليز حتى تنشب الحرب بينهما على حدود مصر الغربية ، تلك الحرب التى لم يعمل لها اى استعداد جدى من جانب نورى وجعفر ولا يمكن ان يرجى لها اى توفيق فى أن تحقق شيئا من الهدف الاستراتيجى الذى تريده استانبول ذلك

الهدف الذى من اجله بعث انور باشا اخيه نورى معه جعفر وهذا الفشل هو ما تحقق فعلا مما سأوضحه فيما بعد .

وكانت خيبة امل جعفر فى تدبيره الأول حافزا شديدا دفعه الي تدبير جديد « ثعلب ثان » يعوض ما خسره فى تدبيره الأول .

التدبير الثانى

طلب السيد الامام احمد الشريف السنوسى من الانجليز ان يأمروا طوافات خفر السواحل التى تأتى بانتظام الى ميناء السلوم بأن تأخذ بريده عند قيامها الى الاسكندرية فوافق الانجليز فى الحال على ذلك وزادوا عليه ان قالوا للسيد ان خطاباته لن تتعرض لفتحها بمعرفة الرقيب ، تقديرا لشخص السيد الامام ، واشعارا بالثقة ، وتقديرا للصداقة التقليدية « بين السنوسى والانجليز » وبناء على هذا القبول وضع نظام بين سكرتارية السيد الامام والأميرالاى اسنوبك يقضى بأن يخطرهم اسنوبك بساعة قيام الطوافة من السلوم ، وان ترسل خطابات السيد قبل قيام الطوافة بساعة.

وسارت الأمور سيرها الطبيعى دون اى شكوى حتى خطر للسيد جعفر أن يخلق من هذا البريد مشكلة سياسية لعلها تقطع العلائق وتوصله الى المراد .

اتصل جعفر بالرجل الذى يحمل بريد السيد السنوسى الى اسنوبك وقال له : عندى خطاب مهم جدا فلا تنزل الى الميناء قبل ان تأخذه ، وكان ميعاد قيام الطوافة الساعة التاسعة مساء ومفروض حسب الاتفاق أن يكون بريد السيد السنوسى عند الاميرالاى اسنو فى الساعة الثامنة مساء .

وانتظر المكلف بتوصيل البريد حسب امر السيد جعفر حتى مضت الساعة الثامنة ثم التاسعة فنبه حامل البريد السيد جعفر ، فقال له : انتظر ، ثم مرت ساعات حتى بلغت الحادية عشرة ، اى كانت على ميعاد وصول السيد السنوسى ثلاث ساعات ، ولم يصل الى الأميرالاى اسنوبك فظن اسنو انه ليس لدى السيد الامام احمد الشريف السنوسى بريد فأمر الطوافة بالقيام وقامت ..

وفى هذه الأثناء كان جعفر قد وكل من يرصد قيام الطوافة فما ان عرف انها تحركت من الميناء حتى سلم حامل البريد خطابا لم يعرف احد ما بداخله وربما كان ورقة بيضاء وقال له « اسرع بتوصيل البريد فأسرع الرجل الى خيمة الأميرالاى اسنوبك وهو يصرخ « بوستة سيدى » ولما رآه

اسنو قال له : نحن اخطرناكم من الصباح بأن الطوافة ستقوم فى الساعة التاسعة ومفروض ان يكون بريد السيد الساعة الثامنة ، والآن فاتت الساعة الحادية عشرة ، فظننا انه ليس لديكم بريد واذنا للطوافة بالسفر ومع كل فستأتى الطوافة « ثور البحر بعد ثلاثة ايام فانتظروا قدومها » .

فعاد حاصل البريد من حيث اتى ، وكان جعفر فى انتظاره وبمجرد ان رآه قال له « هل سلمت البريد » قال : لا لأن الطوافة قامت وما امكن اعادتها فقال له جعفر « هات خطابى » ولا تقل للسيد انك تأخرت فى توصيل البريد فانه سيوقع عليك عقابا شديدا وانا سأتكلم مع سيدنا فى ذلك ونفح « البوسطجى خمسة جنيهات على الا يقول شيئا عن التأخير » .

« جعفر يسعى بالوقيعة »

وفى الصباح علم السيد السنوسى ان بريده لم يسافر وقال جعفر العسكرى للسيد كان لدى خطاب مستعجل بطلب ادوية ضرورة من الاسكندرية وتأخر البوسطجى عن ميعاده وقتا قصيرا بسبب تجهيز الجواب فاستعجلت الطوافة وقامت مع ان الواجب كان يقضى بأن تنتظر وماذا فى تأخير الطوافة ساعة او اثنين ما يفوت على الطوافة امرا ضروريا ولا أظن تأخير ساعة ما يستوجب ارتكاب هذه الغلطة الشنيعة وعدم الاكتراث كأن بريد السيد شىء لا يهمهم ولا يعطى من العناية ما يستحقها وفى هذا البريد كما تعلمون سيادتكم طلبات ضرورية لكم واظن انه يجب اتخاذ اجراء حازم مع هؤلاء الانجليز حتى لا يتكرر هذا العمل منهم فاذا نحن سكتنا فى هذه المرة فثق يا سيدى انهم سيتمادون فى ذلك فقال السيد السنوسى « سأتكلم مع اسنو فى هذا الخصوص » فقال جعفر لا .. لا يا سيدى ان امر الطوافات يجب ان يصدر من جهة اعلى من اسنو حتى لا يتصرف هو مرة اخرى مثل هذا التصرف فاذا امرتم فانى ارسل باسمكم الى الجنرال ماكسويل الفت نظره الى ذلك فيصدر اوامره الى مدير عام خفر السواحل وسترون كيف تسير الأمور بعد ذلك ولن تستطيع اية طوافة ان تتحرك من الميناء قبل ان تحمل بريدكم او تخطروا اسنو انه ليس لديكم بريد اما هذا الاستخفاف والعبث فلا نسكت عليه ، فقال السيد له لا بأس من اخطار ماكسويل ليشدد على المسئولين باللازم .

وما ان سمع جعفر بهذا الأمر حتى اسرع الى نورى وارسل برقية باسم السيد الى الجنرال ماكسويل فى القاهرة وكنت انا فى ذلك الوقت فى

مرسى مطروح وكان وكيل البريد والتلغراف « تادرس عبد السيد » وكنا تلامذة فى فصل واحد فى مدرسة اسوان الابتدائية ، وكنت متفقا معه على أن يلتقط كل برقية هامة فى طريقها الى القاهرة لتكون على علم بما يجرى من الأحوال ، واذا به جاءنى يجرى وفى يده صورة للبرقية من السيد الامام وهى البرقية التى بعث بها جعفر الى ماكسويل باسم السيد السنوسى يقول فيها :

قامت الطوافة عباس دون أن تأخذ بريدنا وفى هذا الاهمال ما فيه من عدم التقدير لنا فاذا تكرر هذا العمل فسيكون بمثابة قطع العلاقات بيننا .

قرأت هذه البرقية ، فأدركت فى الحال مدى ما يجرى فى معسكر السيد السنوسى دون علمه ، وعلمت فيما بعد ان نص البرقية لم يعرض على السيد وظن انها مجرد اخطار للجنرال ماكسويل ليشدد التنبيه على المسئولين كما قال له جعفر ، وقلت لنفسى ماذا سيكون رد الجنرال على هذه البرقية » .

وما غربت شمس ذلك اليوم حتى جاء الرد من ماكسويل الى السيد السنوسى وجاءنى بصورته تادرس افندى واليكم ما بقى من الذاكرة من هذه البرقية « الحسيب النسيب السيد احمد الشريف السنوسى السلوم جاءتنى ببرقيتكم واسفت كثيرا لقيام الطوافة خفر السواحل قبل ان تأخذ بريدكم وقد ادركت من برقيتكم اهمية هذا البريد ولهذا اصدرت الاوامر فى الحال الى الطوافة دبانه « ويلاحظ ان ديانة طرادة فرنساوية » لقربها من ميناء السلوم بأن تدخل الميناء لتأخذ بريدكم حتى لا يتأخر وثقوا انه لن تقوم طوافة بعد الآن قبل أن تحمل ما تريدون ارساله فيها .

ودخلت ديانة ميناء السلوم وتسلمت بريد السيد الامام واوصلته الى الاسكندرية وفشل المقلب الثانى الذى دبره جعفر « بفضل برود الانجليز » الذين لا يصبرون على كل شيء الا اذا كان من وراء ذلك مصلحة لهم ...

« اعلان الجهاد »

طلب الألمان من انور باشا فى الخارج ان يحمل السلطان على اعلان الجهاد ووقف كثير من القواد الأتراك ضد أنور باشا معارضين ذلك وقالوا لأنور لا تطلب الى السلطان ان يعلن الجهاد فانه لن يأتى بأى نتيجة بل سيفضح المسلمين ويجعل معنى الجهاد لغوا وعبثا ، بل سيأتى بعكس ذلك الذى نطلبه ، فان جميع بلاد المسلمين اما انها مستعمرات فى يد الخلفاء او

محميات او محتلة فعلا فتكون النتيجة ان المسلمين سيحاربوننا مكرهين مرغمين بدلا من ان يجاهدوا معنا ، وسترى ذلك فدعنا من اعلان الجهاد ولنهدد بهذه الكلمة بدلا من ان نعرضها لامتحان قد ترسب فيه ويجلل العار عندئذ رؤوس المسلمين وتذهب هذه الكلمة « كلمة الجهاد » التى يخشاها اليوم اعداؤنا ، تذهب هباء وتحمل معها الرهبة التى تملا قلوب المستعمرين للبلاد الاسلامية ونحن لم يسبق ان مهدنا لها أو أججنا فى القلوب سعيرها وبالرغم من الموقف الحازم الذى وقفه هؤلاء القواد كان الحاح الألمان على أنور اشد من معارضتهم ، فأرغم السلطان على اعلان الجهاد واعقب ذلك ان صدر فرمان سلطانى باقامة « السيد الامام المجاهد الأكبر احمد الشريف السنوسى نائبا للخليفة الأعظم فى افريقيا » ومنح فيما منح من السلطات ان يرقى من يشاء الى رتبة عسكرية او مدنية فى افريقيا على انه بعد ان يعود العسكريون الى تركيا يعودون الى اقدميتهم الحقيقية فى الجيش وبهذه السلطة منح جعفر رتبة اللواء فى افريقيا مقرونة بالباشوية .

تقدم جعفر باشا وانور باشا مكررين التهنئة للسيد السنوسى بنيابة الخليفة الأعظم وقالا « يا مولانا انت اعلم منا بما يفرضه على المسلمين اعلان الجهاد وانتم يا سيدنا الآن فى مقام الخليفة فى افريقيا فأول واجب هو تحريض المسلمين وتعريفهم بواجبهم فى هذه الظروف فان لم يستطيعوا ان يحاربوا مع الخليفة فلا اقل من ان يمتنعوا من الاستجابة لأعدائه واحداث ثورات داخل بلادهم ، ورجاؤنا الى سيادتكم ان تأمروا بكتابة خطابات الى زعماء المسلمين فى الشرق تدعونهم للجهاد فى سبيل الله قدر ما يستطيعون وفى ذلك رضاء الله ورسوله وخليفة المسلمين ونصرة الدين والامر اليكم فقال لهم السيد الامام « دعونى افكر فى الأمر » وتركوه وشمروا عن ساعد الجد فلم يتركوا فى المعسكر رجلا ذا نفوذ من اتباع السيد الامام ولجأوا اليه جاعلين كلمة الجهاد دعاية واسعة النطاق ألهبوا بها صدور هؤلاء الزعماء ، والعلماء ، ومشايخ السنوسيين ، قائلين انه اصبح لزاما بل فرضا دينيا الدعوة الى وانتهى هذا السعى المتواصل بأن زين المجتمع للسيد السنوسى كتابة الخطابات وارسالها مع رسول خاص وهى فى مأمن من الرقابة بمقتضى ما وعد الانجليز به ، وبذلك يكون نائب الخليفة قد ادى واجبه الدينى وما فرضه الله عليه فى هذا الموقف فاستجاب لهم وللمشورة اولئك العلماء والمشايخ من اتباعه المخلصين وكتبت الخطابات كما شاء نورى وجعفر وختمت بخاتم السيد وامضائه ووضعت فى خرج واخذها الأمين المقرب فى خدمة الامام وهو « احمد العابدين » وسافر بها فى أول طوافة قامت من السلوم الى

الاسكندرية على زعم أنها كالعادة خطابات تحمل طلب المعونة وستجدى أكف المحسنين حتى تستطيع برقة الاستمرار فى جهادها ضد الطليان .

الحقيبـــة المفقـــودة

ولم يعد المفكر المدبر الوسيلة التى يشعر بها الانجليز بخطورة الخطابات التى يحملها احمد العابدية ووصل حامل الخطابات الى القاهرة وبات فيها ، وفى الصباح بحث عن حقيبة الخطابات فلم يجدها فجن جنونه وشرق وغرب وصاح وبكى وبلغ بالسرقة فلم يلتفت اليه احد واخيرا علم ان الخطـابات وصلت الى المخابرات الانجليزية وهى فى حوذتها وبعد ان اطلع الانجليز على محتوياتها امر الجنرال ماكسويل بكتابة خطاب الى السيد السنوسى وهذا بعض ما بقى فى ذارتى من محتوياته التى علمتها فيما بعد .

« السيد الحسيب .. وبعد كلمات التكريم والتعظيم جاء فى الخطاب :

لقد ساقت الصدفة الينا الاطلاع على الخطابات المرسلة مع تابعكم احمد العــابدية وما صدقت ابدا ان ما جاء بهذه الخطابات يصدر عن ذاتكم الكريمة ولم يخامرنا شك فى أن هذه الخطابات مدسوسة عليكم ، وسهى من يعلمون جاهدين على تكدير صفو العلاقات التى يننا .. ولثقتنا انكم لا تضـــمرون سوءا ابدا للدولة البريطانية ويعصمكم من هذا ايمانكم العميق الذى ينـأى بكم عن كل سوء والصداقة التقليدية التى تربط بين الأسرة السـنوسية الكريمة منذ نشأت هذه العلاقات مع جدكم العظيم محمد بن على السنوسى ونجله السيد محمد المهدى وبين الامبراطورية الانجليزية وبهـــذا ترون يا سيادة السيد اننا مطمئنون كل الاطمئنان لحسن نواياكم ذلك الاطمئنــان الذى حملنا على ان نكرم خطاباتكم فلا تصل الى فتحها يد الرقابة لهـــذا رأينا ان نعيد لسيادتكم هذه الخطابات لتطلعوا عليها ولكم الرأى الأعلى فيما تتخذونه مع اولئك الذين زوروا هذه الخطابات ودسوها ونسبوها اليكم » .

وقام رسول خاص من المخابرات البريطانية الانجليزية يحمل هـــذه الخطابات حتى اوصلها بنفسه الى يد الامام السنوسى .

وفشلت المكيـــدة

واترك للقارىء ان يتصور الحالة التى أصبح عليها نورى جعفـــر أما سيادة السيد فلا اظن انه مر عليه يوم لقى فيه اقسى من هذه الصدمة .

وهكذا فوت الدهاء الانجليزى والبرود السكسونى على نورى وجعفـر ما بيناه ، وهكذا يستطيع الانجليز عند الفزع ان ينحنوا للعاصفة حتى تمر

فى سبيل المصلحة الكبرى التى يهدفون اليها ، وكان امل جعفر انه بمجـرد أن يطلع الانجليز على هذه الخطابات لن يصبروا دقيقة على قطع العلائق ، فليس وراء ما جاء فيها مكان للشك فى سوء نية السيد نحوهم وما يضمره لهم من بغض وعداوة رغم كل ما قدموه لهم من خدمات .

اقف عند هذا وفى العدد القادم ما بقى من مقالب اشد وانكر ، انتهت الى قطع العلائق بين السيد السنوسى والانجليز ، ونشبت الحـــرب التى كانت أمنية نورى وجعفر ان تشتعل ، ولو احسنوا التقدير لعلموا انها لن تكون حربا ، بل كارثة عليهم وعلى جيش السنوسى وفشـــلا ذريعا .. فى تحقيق الهدف الذى ندبتهم حكومتهم العثمانية للقيام به وتأديته على الوجه الأكمــل .

كانت الصدمة شديدة (١) على نورى وجعفر عندما فشل التدبير الثالث وظنا فيه الضربة القاضية على ما بين السيد الامام السنوسى والانجليـز ، وان الانجليز لا يمكن ان يحتملوا اكثر مما احتملوا واى خير يرجـــونه من توددهم وتملقهم للسيد السنوسى بعد ان تكشفت لهم نواياه وان الد اعدائهم لا يمكن أن يضمر لهم من البغض ما يضمره لهم السيد . وهل هناك عداوة أمر واقس من ان يكتب السيد الامام بصفته نائب خليفة المسلمين فى افريقيا خطابات الى زعماء المسلمين وقادتهم يحرضهم على الثورة ضـــد الانجليز ويدفعهم الى عصيانهم والتمرد عليهم فأى كراهة واى عداء اشد مما عبرت عنه خطاباته والحرب مستعرة الأوار والانجليز يصطلون جحيمها ، وهال نورى وجعفر هنا الدهاء الذى اظهره الانجليز فى اعادتهم خطابات السيد اليه مرفوقة بذلك الخطاب الهين اللين الذى يسيل مكرا وكهانة فيمسح سخامات الصدور ، لو ان السيد الامام كان من اولئك الذين يخـــدعهم لين الافاعى ولكن هيهات ....

راى نورى وجعفر بعد هذا الرد الانجليزى الذى فـــوت عليهم اخبث ما دبرا ان يسلكا طريقا غير الذى اتبعاه فى القالب الماضية وان يجعـــلا الانجليز والسيد السنوسى امام الأمر الواقع فى ثورة مشبوبة الأوار تقطـــع كل صلة بينهما وتسوقهما الى الحرب وبدءا فى تنفيذ خطتهما فأرســـلا فى شهر اكتوبر سنة ١٩١٥ ، قوة من الجيش السنوسى قوامها اربعمائة رجل وثمانية ضباط بقيادة وصفى باشا الخازمى) ضابط طرابلسى متخـــرج من الكلية الحربية فى استانبول) ونزلت هذه القوة فى حطيلة قرية على مســـافة ١٧ كيلو من الشمال الغربى من سيوه ، وفى هذه الحطية نفسها تعســـكر

قوة من هجانة الحدود بقيادة الملازم الثانى احمد سالم ، وهذه القوة تابعة لقسم مرسى مطروح وكان مركز سيوه فى هذه الآونة قد اصبح تابعـــا فى ادارته لمصلحة الحدود والسواحل بعد ان عجزت وزارة الداخلية حينـــذاك عن تأمين الأمن فيه ووقوع عدة حوادث كان ضحيتها فى احدى المرات مأمور المركز وضابط وبعض العسكر ، واصبح هذا المركز تابعا لقيادتى فعينت فيه الملازم اول احمد منصور (الأميرالاى احمد منصور) معاونا يقوم بأعمـــال المأمور وارجو ان اصل يوم بذكرياتى الى ان افى هذا الضابط حقه من تقدير مواهبه عندما يأتى دور الحديث عنه ، بعد اعلاننا الثورة على الانجليـــز فى الحدود الغربية فى نوفمبر سنة ١٩١٥ ، وما قام به فى جد ودأب اثنـــاء الجهاد الطويل المرير فى سبيل الوطن العزيز هو وزميله الملازم الثانى محمود عبد الواحد (الأميرالاى محمود عبد الواحد) وهما الباقيان على قيد الحياة اطال الله حياتهما واما الباقون من اخوانهما الضباط المجاهدين فقد جاوروا الرفيق الأعلى شهداء خالدين فى جنة عرضها كعرض الســـموات والارض أعدت جزاء وفاقا لذلك الجهاد المرير الطويل الذى لا يصبر عليه الا أولوا العزم المؤمنون .

المقلب الرابع

نعـــود بعد ذلك الى القوة السنوسية بقيادة وصفى والتى توغلت فى الحدود المصرية ونزلت فى حطية قرية التى تعسكر فيها قوة الهجانة المصرية. علمت بنزول هذه القوة فى قرية من برقية وصلتنى من معاون مركز ســيوه الملازم (احمد منصور) فقدرت ان هذا العمل الايجابى لابد ان يكون المقلب الرابع الذى دبره جعفر لاشعال نار الحرب وقلت فى نفسى ترى هل ســيادة السيد الامام السنوسى يعلم شيئا عن هذه القوة المسلحة من جيشـــه التى دخلت حدود مصر وهل يعلم ان معنى ذلك اعلان حرب ، وبمجـــرد ان وصلتنى برقية سيوه اخطرت الجهات العليا بمحتوياتها ولم تمضى ســـاعات حتى جاءتنى الأوامر بأن اقوم فى الحال الى سيوه واتصـــل بقائد القـــوة السنوسيـة « واقنعه » بمبارحة حدود مصر وافهمه بما يترتب على بقـــائه داخل الأراضى المصرية فقمت فى الحال بسيارة « فورد » وهى أول سيارة فى التاريخ كله تقطع الطريق بين مرسى مطروح وسيوة والمســـافة (٢٦٠) كنلو متر

« الجنيـــــه »

وصلت سيوة فقابلنى الموظفون والاهالى بمظاهرة فـــرحين مســـلمين وصار بعض الأهالى « فى سيوه » الذين لم يروا فى حياتهم سيارة تمشى على الأرض بهذه السرعة وصاروا يتمسحون فيها وبعضهم يقول هذه (جنيه)

وبعضهم يقول هذا) البرق (.

وبمجرد وصولى بعثت رسولا الى وصفى «باشا» قائد القوةالسنوسية فى قرية اخطرته بوصولى ، واننى سأزوره غدا ، وعينت الساعة وفى الصباح قمت الى قرية ومعى الملازم احمد منصور وعند وصولنا الى معسكر السنوسيين وجدت وصفى قد أعد لاستقبالنا حرس شرف ، وبعد ان انتهينا من هذه المراسم ذهبنا الى خيمته فأكرمنا وبالغ فى الاكرام ، ثم بدأت معه الحديث وانى موفد من قبل الحكومة المصرية لأبلغه ان نزوله فى قرية داخل الحدود المصرية بقوة مسلحة امر غاية فى الخطورة على العلاقات بين مصر وجارتها الشقيقة العزيزة برقة وهو كضابط عظيم لا يجهل ما ينطوى عليه مثل هذا الاعتداء وانى مكلف من قبل حكومتى أن اطلب منه مبارحة حدود مصر حتى لا يحصل ما لا ترغب فيه نحن ولا انتم وما لا تحمد عاقبته ولا اظن سيادة الامام احمد الشريف السنوسى يرضى ذلك او يأمر به ، فما كان من البكباشى « وصفى » الا ان قال لى يا سيدى انا عبد مأمور وجندى انفذ ما صدر لى من الأوامر.

ثم قدم لى ورقتين احداهما من السيد السنوسى يأمره بأن يأخذ معه قوة قليلة لم يعين عددها ويذهب الى حطيه قرية فى حدود مصر لتحصيل الجمارك من القوافل .

ثم قال « وانا ما جئت محاربا ولكن الأوامر التى عندى ان اعسكر على الحدود لكى احصل الجمارك من قوافل جار المجابرة من اهالى جالو واوجله الذين يأتون من مصر ويدخلون الحدود الليبية . دون ان يدفعوا للحكومة السنوسية رسوما جمركية على تجارتهم .

وقدم لى ورقة ثانية من نورى باشا بامضائه يأمره ان يأخذ قوة قوامها اربعمائة جندى وبجانبه ضباط ويعسكر بها فى حطيه قريه (وعينها بالاسم) لكى يحصل الفوائد الجمركية من تجار المجابرة الذين يعبرون الحدود فقلت له ما دام الغرض هو تحصيل الرسوم الجمركية من القوافل فان حطية قرية ليست المكان الأصلح من غيره لهذا الغرض ويمكنهم ان تحققوا هذه الغاية فى غير حطيه قريبه . وتكون أصلح لكم كما تكون خارج حدود مصر وبذلك تجمعون بين تحصيل الرسوم الجمركية وتجنبون انفسكم هذا الوضع الذى لا يمكن تفسيره الا انه اعلان حرب على مصر ، ولكم فى جهة المناصب اللقه القيقب وقارة الشهناب وقارة المجابرة وجغبوب نفسها لكم فى هذه الأماكن ما يصلح لأن تعسكروا فيه لتحصيل الرسوم الجمركية

فقال لى انى آسف كل الأسف حيث لا استطيع ان اترك قرية المحـددة فى الأمر الذى بيدى الا اذا صدر امر آخر من سيادة السيد السـنوسى ومن القائد نورى باشا ، فقلت له ان امر السيد السنوسى ليس فيه تعيين قرية بالذات فقال : ولكن امر القائد يجدد ذلك وجئته بخريطة للحدودواوضحت له كل ما قلته عليها ولكنه اصر على تنفيذ امر نورى باشا فرأيت انه لا يريد ان يقتنع فقلت له انى احملك مسئولية ما سيحصل نتيجة لهذا الاصرار على البقاء داخل الحدود المصرية فقال لى لا حيلة فى ذلك . انا انفذ امرا لو اضطرنى ذلك الى القتال فعلمت ان الرجل لا يفهم اكثر من ان ينفذ حرفية الأمر الذى بيده من نورى وان المسألة ليست تحصيل عوائد جمركيـة بل عمل استفزازى له ما بعده من النتائج ، فأدركت نهاية ما وصل اليه تدبير جعفر ليزج السيد السنوسى فى حرب غا مستعد لها وادركت ان السـيد الامام لم يعرض عليه اكثر من ارسال قوة صغيرة لتحصل عوائد جمركيـة وشدة حاجته للمال لتموين قواته المرابطة امام الطليان فى برقة تجعله يقبل كل ما يرى فيه عونا على امداد جيشه حتى يصمد فى دفاعه .

احتجـاج

أنهيت كلامى مع البكباشى (اللواء) وصفى فودعنا بنفس الاكـرام والاحترام فى استقبالنا وعند وصولى سيوه ابرقت للاميرالاى اسنويك بما دار بينى وبين قائد السنوسى وفى ثانى يوم جاءنى رده يقول « قدم احتجاجا لقائد هده القوة وعد سريعا الى مرسى مطروح تجد خطابا مهما للغاية نفذوا ما جاء فيه ، فقمت فى الحال الى قرية وقدمت للسـيد وصفى احتجاجا كتابيا باسم الحكومة المصرية .

ثم عقدت معه بعد ذلك جلسة خاصة عربية مسلمة بين مصر والشقيقة العزيزة ليبيا والتى لم تدخر مصر وسعا فى مساعدتها اثناء الاعتداء عليها ، وقلت له : اسمع يا وصفى بك انت نزلت بقوتك فى قريه وها انت ترى فيها قوة من الهجانة المصرية واخشى ما اخشاه وقربه لا توجد فيها غـير بئر واحد للماء تستقى منها القوة المصرية وها انت لن تجد ما تستقى منه قوتك غير هذه البئر الواحدة وهجين القوة المصرية ترعى من عشب حطية قرية وجمالك ايضا لن تجد مرعى غير هذه الحطية واخشى ما اخشاه اذا نحن لم نضع نظاما دقيقا يتعهد كل منا بتنفيذه بأمانة واخلاص ان تكون النتيجـة صداما بين جنودنا وجنودكم بسبب الماء والمرعى واى عار بل اى تبعـة ثقيلة تقع علينا نحن المسئولين انا وانت اذا وقع شىء من ذلك بين المصـرى

والليبى بل بين العربى والعربى والمسلم والمسلم فقال لى : انا مســتعد كل الاستعداد أن أنفذ فى دقة واخلاص كل ما تأمر به لتجنب اى حادث لا قدر الله يقع بيننا وبينكم وبناء عليه وضعت نظاما دقيقا للايام والساعات لكل من القوتين للورود على البئر بحيث لا يجتمعان ابدا على المــاء فى وقت واحــد ثم قسمت الحطية الى منطقتين منفصلتين لرعى الابل بحيث لا تتجاوز قوة منها منطقتها .

ثم جمعنا بين الضباط وضباط صف القوتين فى حفل تعارف وصداقة والقيت عليهم كلمة كما اتفق وصفى على ما يجب للاخ على اخيه من واجبات اذا تجاوروا ان يتزاوروا فى محبة ومودة . حتى تنتهى الجهات العليا الى قرار فيه مصلحة الجميع . وودعنا بعضنا بعضا ونحـــــن على اتم ما نكون من الصفاء . وعدت الى سيوه ثم الى مرسى مطروح لأرى ذلك الخطاب الهام ، ومجرد ان وصلت مرسى مطروح بعثت برقية بملخص ما تم بيننا وبين القوة الســنوسية فى قربه .

تحريض على الثورة

وجدت مظروفا باسمى ومكتوبا عليه « سرى جدا » ولمــا فضضـــته وجدت بداخله خطابا لشخصى من الجنرال ماكسويل وآخر اللواءهنتز باشا لكى يحول الى خطاب ماكسويل وخطاب من هنتر الى اسنو ليسلمنى خطاب الجنرال ماكسويل ولمــا طالعت خطابى المرسل من ماكسويل قرأت فيه ان الأتراك قد غرروا بأصغر اشقاء السيد احمد الشريف السنوسى وهو السيد هلال السنوسى ودفعوه الى ان يخرج على طاعة اخيه السيد احمد وسخروه للوصول الى افساد العلائق بيننا وبين السيد الكبير وذلك بأن يشعل ثورة فى سيدى برانى وها هو قد مضى عليه نحو اسبوع يجمع فيه العمد والمشايخ من اولاد على ومشايخ الزوايا ويحرضهم على ثورة وهو فى كل ليلة يهاجم قسم سيدى برانى ويطلق عليه النيران فقتل بعض الجمال واصاب بعضــها بجرحات والتعليمات الصادرة الى قسم برانى تمنعهم بتاتا من ان يقــابلوا هذا الاعتداء بمثله وقد انذرنا السيد هلال بما سيصيبه اذا هو استمر على غيه هذا وعرفناه ان السيد احمد غير راضى عن عمله هذا وناقم عليه وفوض الينا الامر فى أن نتخذ معه كل إجراء وبالرغم من ذلك فهو لا يزال سادرا فى غلوائه يؤجج نار الفتنة باسم خليفة المسلمين وها انا ابعث اليك فى هــذا صورة من البرقيات التى وصلتنا من سيادة السيد احمد الشريف السنوسى

وفيها تعلمون مقدار ألمه واسفه وسخطه على السيد هلال ويقول فى برقياته للحكومة المصرية ان تتخذ ما تشاء من اجراءات نحو السيد هلال فهو خارج طاعتنا مخالف لأوامرنا واصبح مسخرا للاضرار بمصلحة وطننا ، فهو الآن الآن مسئول وحده عن ل ما يأتيه .

قرأت تلغرافات السيد الامام السنوسى للحكومة المصرية وانه يتبرأ من أعمال السيد هلال وكانت تنطق بالمرارة من تصرفات السيد هلال وظهوره بهذا المظهر الذى يدل على انقسام البيت الكريم بعضه على بعض . ينقسم البيت العظيم بيت السنوسى باعث الجهاد فى وقت ينظر فيه العالم الاسلامى كله بعين الاجلال والاكبار للجهاد العظيم والبطولة النادرة والبسالة المؤمنة وكيف رفع هذا الجهاد الباسل رؤوس المسلمين فى الشرق والغرب واعاد الثقة فى نفوسهم واوحى اليهم من جديد انه لا غالب للمسلمين من الناس ان كانوا مؤمنين .

قرأت برقيات السيد الجليل فتملكنى من الأسى والألم ما لا يستطيع هذا القلم تصويره ثم مضيت فى قراءة بقية خطاب الجنرال ماكسويل الذى يطلب منى وقد اعيتهم الحيل فى اقناع السيد محمد هلال العودة الى السلوم والنزول على ارادة الوصى عليه السيد الامام احمد الشريف يطلب منى ان اقوم مسرعا من مرسى مطروح الى سيد برانى حيث يعسكر السيد هلال ويجمع الجموع وينشر بينهم امر الخليفة باعلان الجهاد ولكن على من ، على الضباط المصريين والجنود السودانيين فى قشلاق الحدود بسيدى برانى ويكلفنى الجنرال ماكسويل ان ابذل جهدى لاقناع السيد هلال بالعودة من حيث اتى والا فانه اذا تمادى فيما يفعل فانه سيندم طول حياته على كل ما يقدم عليه بعد ان تأكد الانجليز انه خارج على امر سيده وولى امره السيد الامام ، ويختم الجنرال ماكسويل خطابه بكثير من الاطراء الشخصى .

الضحك على الذقون

وعجيب امر هؤلاء الانجليز فقد اتقنوا فن الضحك على الذقون اذا كانت لهم حاجة عند احد فلا يبخلون عليه بما يستحق وما لا يستحق ويخلعون عليه من الثناء ثوبا فضفاضا .

طويت الخطاب واستعنت بالله أن أوفق فى هذه المأمورية ولا وربى ما كانت النية ارضاء الانجليز والنزول على أمرهم ولكنى أردت رأت هذا الصداع الذى يريد أن يحدثه السيد هلال فى بناء البيت الرفيع العماد

بيت السنوسى العظيم ـ وركبت السـيارة ولمحت ، قسم سيدى برانى فوصلت فى نحو الساعة (٢) مساء والتقيت بمأمور المركز واظنه ولا اقطع انه السيد على عبد الوهاب) الأميرالاى على عبد الوهاب محافظ العريش أطال الله فى حياته) وسألته عما لديه من معلومات عن السيد هلال فقال لى انظر ناحية زاوية سيدى برانى ، يدلك المنظر على ما يجرى هناك وهى الزاوية التى اتخذها السيد هلال مركزا لقيادة الثورة التى يريد ان يشعلها كما صور له خياله وزينها له جعفر ودفعه الى الخروج على أمر عائلة اخيه الأكبر امام المجاهدين السيد أحمد الشريف السنوسى ـ نظرت بالنظـارة المكبرة الى ناحية الزاوية فاذا حشود كبيرة من الرجال وخيل وجمال . وقص على السيد المأمور ما يلاقونه كل ليلة من اعتـداء العـرب واطلاق النيران والأطفال داخل الثكنة وهم مكتوفو الأيدى لا يستطيعون ان يقابلوا الاعتداء بمثله اطاعة للاوامر والتعليمات الصادرة .

أدركت الموقف الذى ارتضاه السيـد هلال وان لم استطيع أن أقدر مداه فلم أضيع وقتى وركبت السيارة وليس معى أحد غير السائق واعترض السيد المأمور وقال أتذهب الى هؤلاء المجانين بمفردك قلت : نعم سأذهب اليهم بمفردى فلست عدوهم ولا محاربا لهم وأنا اعرف السيـد هلال ـ عندما جاء من السلوم لزيارة الاسكندرية لأول مرة ونزل ضيفا على عندما كنت قائدا لقسم الضبعة فقال لى المأمور أنا أخشى عليك كثيرا من هؤلاء القوم وربما يصيبك أذى قبل أن يعلم السـيد هلال بمجيئك فقلت له لا تخف فالله معنا .

أمرت السائق بالسير نحو الزاوية وفى دقائق معدودة وصلنا واخترقنا الجموع الى باب الزاوية ونزلت من السيارة ، وسمعت الكثيرين ينادون القومندان ـ القومندان وسألت أين السيد هلال فقالوا (جوه) مع العمد والمشايخ ودخلت عليهم فلما رآنى السيد هلال قام وقام من معه واحسـن لقائى ورحب بى كثيرا وأجلسنى بجواره ثم واصل حديثه مع المجتمعين من العمد والمشايخ (المرفوتين) بسبب تهم وجهت اليهم أو اهمال فى اداء وظيفتهم .

سـيدى تجلتز

على العموم نظرت اليهم علمت انهم الموتورون الحاقدون على الحكومة وبدأ يقول لهم السيد هلال « سيدى احم تجلتز » ـ اى صار انجليزيا ـ ولم ينفذ أمر السلطان خليفة المسلمين بعدما أعلن الجهـاد وعينوه نائب

الخليفة الأعظم فى أفريقيا والدولة زعلانة منه لأنه لم يقم باعلان الجهـاد ونورى باشا وجعفر باشا كلفونى ان أنفذ أمر السلطان وبناء على أمر الدولة أنا جيت لكم يا أولاد على لكى نعلن الجـــرب على الـكفرة الانجليز واللى يساعدوهم (يعنى من المصريين) وأنتم سيأتيكم خير كثير من الدولة العلية. (وعلمت فيما بعد انه كان يكرر هذا الكلام ويردده فى كل مجلس وفى كل يوم وفى أثناء كلامه كان يظهر التقزز والألم على وجوه المشايخ المجتمعين فأردت ان أجعل حدا لهذا الهراء فقلت : يا سيد هلال أنا عندى معك كلام خاص بينى وبينك) .

عند ذلك قال للمجتمعين (الفاتحة (وأردفها : ما يمشى منكم واحد لأنى أريدكم بعد قليل وخرجوا وبقيت أنا وهو وبدات احدثه — يا سيد هلال هل تستطيع أن تعلمنى عن عدد القوة من المحاربين الذين وصلوا الى برقة مع سيدى ابن السنوسى رضى الله عنه عندما جاء اليها قال : سيدى ابن سنوسى جاء ما معه محاربون ولا كان على راس جيش عندما دخل برقه. قلت اذن كم كان معه (من البغال والجمال المحملة بالمال) .

قال سيد ابن السنوسى ما كان عنده مال ولا جمال ولا بغال . قلت اذن ماذا كان عنده وماذا كان معه عندما جاء الى هذا الوطن قال ما كان مع سيدى ابن السنوسى شىء غير كتاب الله وسبحته وعلم العرب وهدى العرب وبنى الزاوايا وتبعته العرب كلها . قلت عظيم يا سيدى هلال جدك العظيم الجليل القدر سيدى محمد على بن السنوسى رضى الله عنده وأرضـاه الذى جدد شباب الاسلام وعلم الناس الدين وهداهم الى الطريق المستقيم وبعث فى نفوسهم عزة الاسلام ووجهم وجهة الجهاد لاعلاء كلمة الله انت تنعم بالمقام السامى من تراثه وميراثه حتى وصل هذا المقام بالمنتسبين اليه من هؤلاء العرب الا ينطق باسم واحد من أفراد العائلة السنوسية الا اذا كان على طهارة ، بلغ الاجلال لكم الى هذا الحد فما معنى هذا السلوك الذى تسلكه أنت وهل تدرى انك بمثل كلامك الذى سمعته منك فى هذه الساعة تقول للعرب عن سيدى أحمد كبير هذه العائلة الآن وحامل لوائها وقائد جهادها وامام دينها وخليفة جده اليوم فى هذا الموقف ، هل تدرى انك بكلامك تحاول ان تهدم هذا الصرح العظيم الذى شيده جدكم الكبير وهل لو صدق العرب بعض ما تقوله لهم اليوم يبقى فى قلوبهم ذرة من الايمان بدعوة سيدى امين السنوسية اللى جعلتهم مؤمنين مخلصين لها عاملين على

اتباع كل ما أرشدهم اليه خاضعين لكم هـــذا الخضوع الذى نحاول أن تستغله اسوأ استغلال .

لأجل مولانا

يا سيدى هلال اذا هدمت سيد احمد وزلزلت اعتقاد الناس فيه ماذا تكون أنت من بعده ولمصلحة من هذه الحملة الباطلة الظالمة التى تقوم بها بين عرب مصر هنا فقط نطق وقال لأجل مولانا خليفة المسلمين .

فقلت له وهل تدرك أنت حقوق خليفة المسلمين اكثر مما يدركها سيدى احمد يا سيدى هلال أنت تلعب بالنار ولا تدرى والذى ساقك الى هذا انما يريد ان يهدم بيتكم ، ولكن لن يستطيع لأن العرب والمســـلمين لا يعرفون من أنت ولكنهم يعرفون السيد الامام والوصى على التراث العظيم السيد أحمد الشريف والسيد أحمد قد تبرأ منك أمام الحكومة المصرية ومن اجراءتك فأصبحت وحدك المسئول عن كل هذه الحماقات التى تقوم بها وأنا أسألك بصفتى « قومندان » هـــذه المنطقة على من تتكل انت فى احداث ثورة أو شغب فى أرض مصر ونحن سادة هذا البلد ونحن أعلم بمصلحتنا ولست انت ولا من زين لك هذه الحركة احرص منا على تحرير مصر من أعدائها فقل لى ! أين هى قوتك ؟ وأين هم رجالك الذين تريد أن تحدث بهم هذه الحرب داخل حدودنا وهذا التعدى الفاضح على قشلاق سيدى برانى وليس فيه انجليزى واحد وكلهم مصريون وسودانيون مسلمون فما معنى هذه الحركات ! فقل من هم الذين سيتبعونك لتواصل هـــذه الاعمال البعيدة عن العقل والحكمة والتى ليس لها الا نتيجة واحدة هو الاضرار بشخصك ، قال كل عرب أولاد على والعمد والمشايخ والعرب كلهم معى وتحت أمرى وأنت بنفسك رأيت اليوم العمد والمشايخ الذين كانوا هنا الآن

فقلت اذن أنت تتكل على هؤلاء ــ عظيم ــ نادى يا سيد خادمك الآن وأنا أعلم ان كل من كان فى الحجرة معه هم بعض العمد والمشايخ المرفوتين لتهم الصقت بهم واستوجبت فصلهم من الخدمة .

نادى السيد هلال خادمه فقلت له اذهب استدع العمد والمشايخ الذين كانوا هنا فخرج وبعد قليل دخلوا جميعا فقلت لهم اسمعوا انا أعرف من أنتم وأنتم تعرفون من أنا انى آمركم أن تغادروا هذه الزاوية فى الحال ومن يتخلف منكم بعد خمسة دقائق سيعرف ماذا يكون مصـــيره فخرجوا ، ونظرت الى الساعة فى يدى وامتنعت عن الكلام مع السيد هلال وهو ينظر

الى ورائى ولا يتكلم حتى اذا مر تخمسة دقائق بالضبط قلت للسيدهلال نادى خادمك فناداه قلت للخادم اذهب وادع العمد والمشايخ ن يعودا الى هنا فذهب وغاب نحو ثلاث دقائق ثم عاد وقال يا سيدى العرب ركبوا ، خيلهم ومشوا فنظرت الى السيد هلال وقلت أرأيت يا سيد جيشك الذى تريد أن تغير به على مصر . يا سيد هلال اذا كان الذى حضر بدلا منى كانت عربة أو عربتين انجليزيتين مدرعتين ماذا يكون مصـيركم والانجيز يعملون معك ما يشاءون وهم واثقون وآمنون من جهة السيد الامام احمـد الشريف وهو الوحيد فى تقديرهم الذى يعملون له حسابا ماذا كان مصيركم فى هذه الليلة ــ أرأيت الحماقة التى ساقوك اليها من خدعوك .

ليه كده

قال والله يا قومندان أنا أقول لك اللى حصل . أنا فى السلوم جانى جعفر فى خيمتى وأخذنى الى نورى باشا وكلمونى كثيرا عن الجهاد والخليفة وأمر السلطان ومخالفة سيدى احمد لأمر الخليفة ووعدنى بانهم سيولونى بدلا منه وأعطونى خمسمائة جنيه ذهبا ووعدنى جعفر بأنه سيرسل خلفى جيشا معه مدافع ومتراليوزات لمحاربة الانجليز وصدقتهم وحضرت الى هنا وحصل اللى حصل فقلت له كفاك ما حصل منك وقم معى وانا أصحبك من شر ما ارتكبته من حماقات فقام معى فى الحال واركبته معى فى السيارة ورأى بعينه ان كل الجمع الذى كان محتشدا تفرق ولم يبق احد من تلك الزرافات وذهبنا الى سيدى برانى وتعشـينا عند حضرة مأمور المركز واتصلت تليفونيا بالسلوم وطلبت من اسنو أن يرسل خبرا للسيد الامام . سيدى احمد لكى يرسل خيلا لركوب السيد هلال الى المعسكر فى مساعد، وبعد العشاء تحركنا بالسيارة فوصلنا السلوم وفى منتصف الليل وجدنا الاميرالاى اسنو ومعه الضباط الانجليز فى انتظارنا وطبعا كان سرورهم عظيما وسلموا على السيد هلال وقال له اسنو « ليه تعمل كده يا سيـد هلال ولولا القومندان ــ اشار الى ــ كنت الليلة دى بدلا ما تكون فى السـلوم كنت فى الطريق الى مالطة » فأخذت انا السيد هلال من يده وابتعدت به عن الضباط الانجليز ووصلت الخيل من معسكر السيد احمـد وركبت مع السيد هلال وصعد الى معسكر مساعد وكانت هذه الليلة هى ليلة عيـد الأضحى المبارك .

اليوم الفضيل

وفى صـباح يوم العيد طلبت من الاميرالاى اسنو بك أن اصعد الى مساعد لكى أعيد على سيادة الامام احمد الشريف السنوسى ولكى أراه لأنه

لم يسبق لي أن رأيته ولو ان المكاتبات بيننا كانت مستمرة في مناسبات كثيرة منذ حضر من الكفرة الى جغبوب فلم يعترض اسنو على طلبي وصعدت هضبة السلوم الى مساعد وقد علم المعسكر السنوسي بقدومي فكان لقاء كريما وكان أول من قابلني رسول السيد هلال وانتحى بي جانبا وقال لي ان السيد هلال يريد ان تزوره قبل ان تزور اي احد آخر وهو يرجوك ، كل الرجاء أن تفعل ذلك فلم أر مانعا واتجهت نحو مخيمه واذا به واقف ينتظرني وما رآني حتى احتضنني ورحب بي أجمل ترحيب ثم أخذني الى داخل خيمته وانتحى بي ناحية بعيدة عن زحام الوافدين وقال لي في لهفة وسرعة ارجوك واستحلفك بالله وبرسوله وبسيدي ابن السنوسي وهذا « الفضيل » « يقصد عيد الأضحى » الا تذكر شيئا مما سمعته مني عندما تقابل سيدي أحمد . فقلت كن مطمئنا يا سيد هلال فلن يسمع سيدي احمد ولا غيره كلمة واحدة مما قلته وثق يا سيد هلال انني احرص الناس على كرامة هذا البيت وسلامة كيانه . وان المسلمين في الشرق والغرب يعلقون آمالا كبارا على وجوده فليس مثلي من يسعى للفرقة بين سادته بل كل همي منصرف الى تعزيزه وتأييده كما هو واجب كل مؤمن ولكن وصيتي اليك وقد تلقيت هذا الدرس القاسي ان تعرف أعداءكم من أصدقائكم وان لا تأتي مرة أخرى مثل هذه الحماقة فتكون انت ضحيتها اما مكانة السيد أحمد فلن يستطيع مخلوق ان يزلزلها أو يزعزعها .

والعالم الاسلامي كله في الشرق والغرب يعرف قدره . وانتهت مقابلتي مع السيد هلال واذا بشخص لا بالطويل ولا بالقصير بدين الجسم ذي لحية سوداء كثيفة تحيط بوجه أبيض مستدير يدخل دار السيد هلال فقام الجميع اقامة له اكراما له وتهامسوا جعفر باشا . جعفر باشا وما ان رآني حتى تقدم نحوي مظهرا اللهفة والشوق والسرور العظيم بمقابلتي واحتضنني وأجلسني بجواره وأكثر من التحية ثم قال والله العظيم منذ زمن طويل ونحن أنا ونوري في شوق شديد الى رؤياك والباشا يقصد (أنور باشا) في كل خطاب يصلنا فيه يسأل عنك ويثني عليك وسبق أن تزودنا عند قيامنا من استانبول بالكثير من اعمالك وماقدمته له والمجاهدين عندما كان هنا يتولى قيادة المحاربين وشكرته ودعوت للباشا بطول العمر والتوفيق وبينما نحن في هذا الحديث واذا بأحد اتباع سيدي احمد الشريف يأتي ويطلبنا لمقابلته فقام جعفر وقمت معه وتوجهنا ناحية مقر السيد الامام ودخلنا وكان لقائي لسيادته لا استطيع وصفه ولا التعبير عنه

وقابلنا نورى وغيره من كبار الاخوان الذين كانوا فى حضرته ثم حضر فطور يوم الأضحى فأكلنا جميعا وأعقب ذلك الشاى على الطريقة السنوسية ولما انتهينا منه وانتهت المايدة رفع يده الشريفة بقراءة الفاتحة قرأها الجميع وهى ايذان بالانصراف .

لما خلا مجلس سيادة الامام السيد احمد الشريف السنوسى من كبار رجاله (١) ، وخرج نورى وجعفر ولم يبق معه غيرى بدا حديثه بالثناء على شخصى وبالغ فيه حتى اخجلنى ولاحظ تأثرى ، وحاولت أن اجعل حدا لهذا الاطراء ، فقال فى النهاية : —

يا ولدى انت شاركتنا من أول يوم فى حربنا مع الطليان بل شاركت فيها قبل أن أقدم الى جغبوب من الكفرة فلا يمكن أن ينسى هؤلاء العرب ما قدمت به مع اخوانك الضباط المصريين ، ولولاكم ما قامت حرب ولما انتظم جهاد ولا وصل من استانبول ضابط ولا سلاح ولا عتاد فضلا عن خير مصر علينا الذى لا نستطيع له وفاء ولسنا نملك غير الدعاء ان يجزى الله من قدم واحسن وتفضل .

وها أنت فيما تقوم به الآن كيف يمكننى ن اسكت على تقدير هذا الاخلاص وهذه المحبة لنا والتفانى فى مساعدتنا بكل ما تقدر عليه ومن كان يستطيع أن يراب هذا الصدع فى كيان العائلة السنوسية الذى أراد نورى وجعفر أن يحدثاه بواسطة السيد هلال والذى كشف لى عن نواياهم ، وما بيتو ، ووالله لولا ولائى ووفائى لدولة الخلافة وارى فيها الحصن الباقى للمسلمين — رغم ما هم عليه ولولا الصداقة المتينة التى تربط بينى وبين انور باشا وتقديرى لما قام به فى سبيل بلادنا . لولا ذلك لما صبرت على هذه الأعمال التى يقوم بها جعفر ويسوق معه نورى ولكنهم وقد فضحوا انفسهم بما عملوه مع السيد هلال فقد انذرتهم وعرفوا اننى لن أثق بهم بعد اليوم ولن اطمئن الى وجودهم فى المعسكر ومنذ شهور وهم لا يكفون عن ترديد القيام بحركة ضد الانجليز ويأتى الى كل يوم نورى ويقول لى : « تريد هركة يا سيدى » بالهاء — فأقول له يا نورى باشا يجب أن تفهم انك اذا كرهت اليوم الانجليز أو الطليان أو غيرهم من هؤلاء المستعمرين فانما تكرهونهم كراهية سياسية يعنى اليوم لكم اعداء وفى غد اذا تم الصلح بينكم يصبحون لكم اصدقاء اما انا فأكرههم ما حييت كراهية تجرى فى دمى ورضعتها من اللبن ويوحى الى بها ايمانى .

العدد ١٨ شهر اغسطس ١٩٥٨ مجلة الشبان المسلمين .

كراهية نشأت فيها وعشت فيها وأنا أرى ما يرتكبه الفرنسيون فى السودان الغربى وما يرتكبه الطليان فى ليبيا وما سمعته من آبائى عن فظائع الفرنسيين فى المغرب وما يأتيه الانجليز فى مصر والسودان وكثير من بلاد أفريقيا ، فكل جارحة من جوارحى وكل قطرة من دمى بل كل خفقة من خفقات قلبى وكل خلجة من خلجات نفسى توحى بالكراهية .

اذن لست أنا الذى يتردد فى حرب أى من هؤلاء سواء أكانوا الانجليز أو غيرهم وها أنت ترى ما نحن فيه من سوء الحال وقلة المدد ومع هذا لا زالت معسكراتنا فى برقة صامدة أمام الطليان والله يعلم انهم كثيرا ما يبيتون على الطوى ويصارعون الردى وأنا لو استطعت لاشعلتها حربا ونارا على أعداء بلادنا وأعداء المسلمين الذين يتحكمون فى ديارهم ورقابهم .

ولكن كيف تطلب منى أن أتحرك وأعلن الحرب على الانجليز وأنت أعلم منى بحالنا وكنت أظن أنك آخر من يطلب منى ذلك لأنك أول مسئول عن الاعداد والتجهيز حتى اذا قمنا بالحركة التى نريدها حققنا غاية ووصلنا الى هدف ولكنك لم تعمل شيئا حتى الآن ولم تستكمل نقصا ولم تهيىء جيشا له أى قيمة حربية ، فقل لى بربك ماذا تكون نتيجة هذه الحركة غير تقديم الآلاف من أبناء برقة للذبح والموت الرخيص فهل يرضيك وهل يرضى أنور باشا لو علم بما نحن فيه ؟

لا . لا . انا لا اقوم بحركة الا اذا كان لدينا بعض الاستعداد ولا اقول الاستعداد كله ، أما وأنا أرى وألمس أنه لا سلاح ولا ذخيرة ولا عتاد ولا مؤونة ولا وسائل فقل بل ليس لدى العساكر نعال فى أرجلهم ولا ملابس تقيهم بردا ولا حرا فكيف تكون هذه الحركة ؟

بل أكثر من ذلك هؤلاء المجاهدون فى هذا المعسكر يتمونون من سوق السلوم يوما بيوم يعنى بما يسمح الانجليز بتوريده من مصر ، فكيف اذا نشبت حرب بيننا وبينهم وقفل الباب فمن أين يكون التموين . هل لديك خزين اسبوع واحد من المؤونة لهؤلاء المجاهدين ، لا شىء ؟.

حـوار مع نورى

كان يا ولدى يسمع نورى منى هذا الكلام ولا يستطيع الجواب عليه ثم يعاودنى طالبا الحركة فتأكدت ان القوم غير جادين وانهم ملوا الحياة فى المعسكر لأنه ليس فيه ما ينعمون به ، حياة صحراوية قحلة قفرة مجدبة لا ترف فيها ولا ملذات ولكن ما حيلتى فى ذلك وما ذنبى وذنب هؤلاء الذين يريدون أن يدفعوهم الى الموت الرخيص ؟

هذا هو حالنا وما أخفيت عنك امرا ولا كتمت سرا انت من اعز الأبناء واصدقهم واخلصهم لنا ومع كل فلست فيما اقول سرا لأن الانجليز يعرفون ما نحن فيه وجواسيسهم تجوب معسكرنا ليلا ونهارا ولا رقيب ولا حراسة وعليه فهم لا يجهلون من امرنا شيئا وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وانتهى الحديث ، واذا بالسيد الامام رضى الله عنه وارضاه قد امر لى بخاتمه سنوسية من أغلى ملابسهم طقما كاملا فجاء الخادم ببفجة كبيرة فيها هذه الهدية المباركة وقدمها لى معتذرا بأنه كان يود ان يقدم شيئا أكثر من ذلك فقلت يا سيدى هذه فى نظرى اغلى ما كنت اتمناه واعز ما افتخر به وسأصونها طول حياتى واوصى بأن يكون بعض كفنى منها ، فدعا لى بخير ولا شك ان دعاءه المستجاب هو الذى اسعدنى الى اليوم فى حياتى رغم ما لقيته اثناء الجهاد المرير ، فودعته وداعا مؤثرا وخرجت من حجرته وما مشيت خطوات حتى قابلنى جعفر باشا وكأنه كان يرصد خروجى من حضرة السيد فسلم وقال لى ان الباشا نورى بنتظرك فى خيمته فذهبنا معا فقابلنى بمقابلة حارة وبعد عناق وقبل جلسنا نتحدث فقال لى : « نحن نعرفك معرفة تامة من زمن بعيد وقد سمعنا عنك من الباشا (يقصد الباشا انور) الشىء الكثير وسمعنا اكثر بعد وصولنا الى هنا » . فقلت فى نفسى والله ان ما سمعته عنى هنا لا يسركم ولا يرضيكم وانتم تعماون جاهدين على زج السيد الامام السنوسى فى حرب مع الانجليز ولم تكلفوا انفسكم ان تقوموا ببعض الواجب فى اعداد جيش او شبه جيش ليحقق شيئا من الهدف الاستراتيجى الذى جئتم الى افريقيا من اجله .

بدأ السيد نورى حديثه يقول : والله اننا فى حيرة شديدة من امر السيد احمد فهو يعدنا بأنه سيأمر بالحركة ضد الانجليز بعد شهر مثلا ونكتب نحن الى استانبول بذلك ثم يأتى بعد مرور الشهر فيقول لنا اننى رايت سيدى المهدى فى المنام فقال لى آخر الحركة ويعين ميعادا آخر فنكتب الى استانبول ايضا وعند حلول الميعاد ومطالبتنا له بالحركة يقول انه راى سيدى ابن السنوسى يقول ان استعدادكم لا يعنى القيام بحركة فلا تقدم عليها الآن ويعين ميعادا آخر وهكذا اصبحت التحركات الحربية مرتبطة بالأحلام ، فهل سمعتم شيئا اعجب من هذا ؟

فسألته يا باشا هل انتم الآن على الاستعداد بهجوم او بمباداة الانجليز بالحرب ؟

قال نعم !

قلت هل استكملت كل شيء بحيث تستطيع قوتكم ان تصمد امام عدو تظنون أنه غير مستعد لمقابلتكم .

قال نعم نحن مستعدون تماما ، وبعد هذه الجملة مباشرة قال انا اريد أن اسألك ان قام ضابط من عندنا على راس مفرزة والمفرزة فى اصطلاح الجيش التركى هى القوة الصغيرة المركبة من مختلف الأسلحة ، هل يستطيع قومندان هذه القوة ومعه نقود ان يمونها بعد نزوله من السلوم ودخوله الحدود المصرية ؟ قلت ماذا تقول يا باشا ؟ تريدون تموين جيشكم من العقبة او العقيبة ؟ — وهذه اسماء المنطقة بين مربوط والسلوم — يا باشا يجب أن تعلم ان عرب أولاد على وهم سكان الصحراء الغربية يصبحون بمجرد ان يقفل الانجليز باب تموينهم فى اشد الحاجة الى ان تقوموا انتم بالتموين اللازم لهم لا ان يقدموا لوحداتكم مؤونة ، ومن قال لسعادتك ان فى العقبة او العقيبة مخازن ومتاجر واسواق تباع فيها المؤن ؟ فراى نفسه انه قد تورط اكثر من اللازم فقال : « لا . لا نحن عندنا مؤن ولكن اقول ذلك لأنه ربما تطول الحرب فنحرص على ابقاء المخزون عندنا ونشترى غيره » وقد ثبت بعد قطع العلاقات مع الانجليز ونزولهم الى السلوم انه لم يكن لدى الجيش مؤونة يوم واحد الأمر الذى اضطر المجاهدين ان يسطوا على خزبن العرب من تقاوى العام المقبل ليتمونوا به فضلا عن اعتدائهم على كثير من مواشى واموال اولاد على .. لم يقف الباشا عند هذا وسألنى سؤالا آخر . قال اظن أن جميع اولاد على مخلصون للسيد ولدولة الخلافة وانهم سمعوا باعلان الجهاد ، وطبعا كلهم عندهم سلاح ويستطيعون ان يحاربوا معنا ؟ قلت اما عن الاخلاص والرغبة فى الجهاد فنعم . واما عن السلاح فلا ، وكنت اظن ان الباشا يعلم ان قانون حمل السلاح فى مصر يمنع من حيازة سلاح الحرب الا بترخيص ولن يستطيع واحد من اولاد على الحصول عليه ولهذا يجب أن يكون لديكم من السلاح والذخيرة ما يكفى لمن يريد المساهمة فى الجهاد .

منافسة بين القواد

واستدرك وقال : عندنا سلاح كثير وذخيرة زى التبن .. وظهر بعد ذلك أن كثيرا من افراد الجيش نفسه لا سلاح معه ولا ذخيرة . قلت يا باشا مضى عليكم نحو تسعة اشهر وانتم على حدود مصر الغربية فكان يجب ان تكون معلوماتكم وافية عن الحالة فى هذه الحدود ونصيحتى اليكم ان تستكملوا استعداداتكم قبل ان تقدموا على المخاطرة بحركة مذبوحة ولا تظن

ابدا ان الانجليز من الضعف بحيث لا يستطيعون ان يقابلوكم بقوة يقدرون لها الغلبة عليكم ثم ارجو باخلاص الا تؤولوا تملقهم وادبهم ولينهم مع السيد السنوسي الى شيء اكثر من انهم لا يرغبون في فتح جبهة ثانية في حدود مصر الغربية في الوقت الذي يرقبون فيه هجوما من الشرق على القنال ومشغوليتهم في الدردنيل وخوفهم من ثورة في مصر اذا اجتاز جيش الشرق قنال السويس ، وكما يقال انه سيكون على راسه خديوى مصر كل هذا يحملهم على ان يهادنوا سيادة السيد السنوسي ما استطاعوا الى المهادنة سبيلا لكسب الوقت واكرر مرة اخرى انه ليس معنى ذلك عجزهم عن مقابلتكم بقوة تفوق قوتكم بكثير والعجيب ان معسكركم مفتوح للغادى والرائح وانهم يعلمون عنكم كل شيء . بل ويعرفون قوتكم بالضبط حتى الموجودة في بير واعر وهي القوة التي تحرصون على ان تكون في سرية لا يعرفها غيركم ، عندما قلت قوة بير واعر ذهل نورى واضطرب جعفر وقال : وكيف ؟ قلت نعم يعرفون كل ذلك . فقال نورى نحن نخشى اذا تأخرنا عن الحركة ان يسبقنا في الدخول الى مصر جمال باشا ونحن نريد ان نسبقه الى ذلك او على الاقل ندخل معا هو من الشرق ونحن من الغرب (وفيما بعد علمت السر في ذلك وهي المنافسة الشديدة التي كانت بين انور باشا بصفته وزير الحربية وجمال باشا وهو لا يريد انتصارا لجمال بأى حال ولهذا كان الهجوم على القنال ضعيفا هزيلا مخجلا بسبب تقاعس انور باشا عن تجهيز جيش الشام التجهيز الواجب للهجوم على القنال فكانت الهزيمة الشنيعة التي لم تكلف الانجليز شيئا يذكر والتي خيبت الآمال) ثم واصل نورى حديثه فقال « نحن نريد ان نخرج الانجليز من مصر ونرد لمصر جميلها في موقفها معنا في حربنا مع الطليان في ليبيا والتي لولاها ما استطعنا ان نرد بعض اعتبارنا بين الامم ولذهبت ليبيا ضحية رخيصة وخلفت لنا العار . نعم تركنا ليبيا ولو انها لا تزال تحارب وتناضل من غير ان تكون معها الى الآن ولكن استيلاء الطليان عليها بعد ان خلع السلطان عبد الحميد وقيام تركيا الفتاة بأعباء الحكم فاذا بها تفقد آخر ولاية لنا في افريقيا دون طلقة واحدة كان هذا منتهى الخزى الذي يسجله التاريخ علينا (وكان جعفر يترجم له بعض الكلمات التركية التي يستعصى عليه معرفتها باللغة العربية) ولما رايت

نورى بدأ يتكلم فى السياسة اردت ان اخوض معه فيهـــا فقلت له اخشى يا باشا ان كون نيتكم مبيتة على انه اذا استطعتم اجلاء الانجليز من مصر ان تفكروا فى العودة لحكمها . فما ان سمع ذلك حتى انفتض وقال كيف تحدثنا انفسنا بذلك ؟ ونحن نعلم ان مصر اصبحت اعلم منا واغنى منا واكثر عددا منا واوسع ثقافة فى كل ناحية ؟ لا . لا هذا لا يخطر على بال اى من رجالنا القائمين فى الحكم بل نحن جميعا نر يدان أن رى مصر دولة مستقلة صديقة لنا تقف بجانبنا ونقف بجانبها دولة مسلمة قوية . ونحن نريد ان نكفر عن اخطائنا نحو مصر ، فنحن نشعر ان موقفنا السلبى عندما اقدم الانجليز على الهجوم عليها وسكوتنا على ذلك ، كان هــــذا الموقف خطأ شنيعا سهلا على الانجلير احتلال مصر فأصبح من واجبنا كما اخطأنا نحوها فى المـــاضى ان نصلح هذا الخطأ متى مكنتنا الفرص ونساعدها على اســـتقلالها وارجو من اخواننا المصريين جميعا ان يثقوا بنا ويطمئنوا الى حسن نيتنا واخلاصنا فى صداقتنا . وهذا السؤال الذى سألتنى اياه ســـأله محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى المصرى للمسئولين فى استانبول فأكدوا له مثل تأكيدى هذا لك وزيادة » .

بركان ورائى

وعندما ارادت ان أجعل حدا للحديث فقد طال فقلت له ارجو ان تفهم استانبول ان حملتكم فى الشرق وفى الغرب على مصر لاجـــلاء الانجليز اذا فشلت فستترك اسوأ الأثر فى نفوس المصريين المتشوقين لهذا الهجوم حتى يشتركوا معكم بثورتهم ودمائهم ، فى سبيل الخلاص من الاحتـــلال فاعملوا جاهدين على استكمال استعدادكم حتى نضمن النجاح لنا ولكم . والله ولى التوفيق فقال ان شاء الله سنوفق ونحقق لمصر هدفها . وصافحنا وخرجت ونزلت الى ميناء السلوم حيث قابلنى اسنوبك وما ان صـــــافحنى حتى سألنى كيف وجدت سيدى احمد ؟ قلت بخير وفى صـــحة وعافية ثم قال ما رايه فى هذه الحوادث المتتالية التى لا تنقطع ؟ قلت غير راض عنهـــا قال اذن لمـــاذا لا يمنعها ويكون صديقا لنا كما نحن له ولا يعرض نفسه ورجاله الى العاقبة السيئة جدا عليه ؟ قلت سيعمل ، واذا باسنو يضع يده عـــلى

كتفى ويقوه : اسمع منى اؤكد لك انه ما دام الترك فى معسكر السيد فسيغلبونه على امره وسيجد نفسه فى حرب معنا رضى او لم يرض وفى وقت قريب ونحن اذا اسفنا على هذه النتيجة فانما ناسف لأننا كنا نود ان تبقى صداقتنا مع السيد السنوسى مستمرة . ولكن لا لوم علينا لقد عملنا كل ما يمكن عمله لنحول دون الكارثة التى سيدفعه الضباط الأتراك اليها وكان الواجب عليه ان يكون اكثر حزما مما هو عليه الآن بعد ان كشف الاعيبهم فيقصيهم عن معسكره الى الغرب او يعيدهم فى غواصة الى استانبول . اما تركهم هكذا فالنتيجة نحن واثقون منها وهى ان الحرب بيننا وبين السنوسى واقعة لا محالة . ولما وصلنا الى هذا الحد قلت له انا اريد ان اعود الى مرسى مطروح فكرر لى الشكر على ما قمت به وودعنى ونادى على بقية الضباط الانجليز فودعونى وركبت السيارة عائدا الى مطروح ، وما تحركت السيارة حتى رايت نفسى نهبا مقسما للافكار وظللت طول الطريق افكر فيما سمعت من سيادة السيد السنوسى الكبير ثم ما سمعته من نورى واخيرا ما قاله الاميرالاى اسنو فأدركت انى خلفت ورائى بركانا لا يلبث ان يثور فسيادة السيد السنوسى اصبح لا يثق ابدا بنورى باشا وجعفر ومن لف حولهم ولا يطمئن مطلقا الى وجودهم فى معسكره ونورى وجماعته اصبحوا يتوجسون خيفة وينتظرون شرا ينزل بهم بعد ان كشفت نواياهم وظهر للسيد جليا ما دبروا وبيتوا وانهم ابعد ما يكونون عن الاخلاص فى عملهم معه وان كل همهم منصرف الى احداث حركة تكون نتيجتها ما تكون ويرغم السيد مكرها على خوض معركة فاشلة .

المباغتة

وصلت مرسى مطروح وهذه الهواجس تملا راسى ونفسى ولا ادرى المصير وظهر لى ان الانجليز قد سئموا التودد والتملق والتقرب غير المجدى والذى اطمع فيهم نورى واتباعه دون ان يصل بهم الى غرضهم وقد اصبحوا فى حالة يأس لن يصبروا عليها اكثر مما صبروا . وصرت انا فى مطروح اعد الايام وما يأتى به الغد لانى قياسا على ما رايت ان نورى وجعفر سوف يستعجلان المصير قبل ان يقبض عليهما ويفلت من ايديهما الزمام ، ووقع ما كنت احاذره فلم يمض على وصولى الى مرسى مطروح الا اثنا عشر

يوما حتى ارتفع فى صباح ٢٣ نوفمبر ١٩١٥ على الطـابية البحـرية البيرق الذى يشير الى قدوم طوافة من الغرب قاصدة الدخول فى ميـنـاء مرسى مطروح دون سابقة اخطار او علم بقدومها لأن العادة الجارية ان نخطـر بكل طوافة قادمة من الشرق او الغرب وقاصدة الدخول فى ميناء مرسى مطـروح الا فى هذه المرة ، فكانت مفاجأة وظهر بعد قليل انها الطوافة عبد المنعم التى كانت راسـية فى السلوم والتى كانت دائما على استعداد للابحار فى الليـل والنهار وظلت فى حالة طوارىء منذ بدة نظرا لتوجس الانجليز من حـركة ضدهم فى اى وقت . ونزلت انا الى الميناء وما القت الطوافة مرساها حتى قفز منها القائمقام هوايت وبعد ان سلم على قال لى فلنترك الـكلام الآن وسعادة البك يريد مقابلتك حالا فى الطوافة (وسعادة البك هو الأميرالاى اسنو) فقفزت الى داخل الطوافة واذا بالاميرالاى اسنو واقف على الكوبرتة فلما رآنى تقدم وسلمنا ثم ابتدرنى بقوله : « اما قلت لك أن الاتراك لا بد أن يورطوا السيد السنوسى فى حرب ضدنا ولولا اننا تنبهنا الى ما اضمروه لمباغتتنا ليلة امس لكنا اليوم أسرى فى أيديهم ؟ ثم قال لى سأنزل الآن واتوجه الى مكتبك فى القسم ولى معك كلام طويل عن الاجراءات التى ســتتخذ فى مطروح من اليوم . وفعلا نزلنا معا وتوجهنا الى المكتب وانضم الينا القائمقام هوايت وبدا اسنو كلامه او تعليماته اما ما هو المقلب الاخير الذى دبره نورى وجعفر فأفزع الانجليز حتى فروا هاربين من السلوم فقد علمته بعد ثورتنا والتقائنا بالسيد الامام السنوسى وسيأتى ذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله .

الفصل الخامس

طلب رفع العلم البريطانى على السلوم

علم أحد زملائى الضباط وهو الضابط محمـــود لبيب ـ بالاتجـــاه الاستعمارى الذى بينته وذلك عن طريق عمله معهم ، واختلاطه بهم ، كما علم ذلك ايضا من برقية كانت مرسلة الى « هنتر باشا » .

وكانت البرقية تقول :

(الى هنتر باشا : قابل الضابط التركى المعسكر بقشلاق السلوم العلوى واحتل عليه فى اخلاء القشلاق وتسليمه ، وان لم يرضخ توصله بجنــودك الى ظهر الجبل وعسكر فى جهة (مساعد التى تبعد « ٣ » ثلاث كيلو مترات غربى قشلاق السلوم ـ انتظر تعليمات اخرى) .

امضاء ـ كتشنر

وارتفعت اصوات زملائى الضباط بالاستنكار القوى والغضب الشديد واذكر انى قلت لهم يومها :

« ليس هناك داع مطلقا لرفع اصـــواتنا وتنبيه الأعداء : ان علينـــا التزامات قطعناها على أنفسنا وعهدا أقمنا جميعا على تنفيده اذن فلا بد من العمل ، فكروا فى القيود الجائرة التى كبلوا بها بلادنا ، فكروا فى هـــؤلاء المعذبين الذين يسحقونهم بأقدامهم . لقد زادوا الفقراء فقرا ، لكى يضاعفوا من ثراء اتباعهم الأغنياء لقد اباحوا قطرا عربيا لدولة جائرة لحاجـــة فى انفسهم وها هو الشعب الليبى امامنا فى دور الاحتضار ! واذا ماتت جـذور الشجرة سرى الموت فى أجزاءها العليا كذلك . فالموت لا يجهز على عضـــو دون عضو : وغرق السفينة لا يمكن ان يكون موضع قلة المبالاة من راكب دون راكب ! .

فنحن جميعا فى الكارثة سواء اذا قلت ان الهاوية تفتـــح فاها لتبتلع الجميع .

العدد ١٠٥ نوفمبر ١٩٦٥ مجلة الشبان المسلمين .

احباط مؤامرة الانجليز

وكنا جميعا لا نكاد نملك اعصابنا الثائرة ، واخذ زملائى فى التشاور ، واستقر الرأى اخيرا على احباط أى مؤامرة يقوم بها الانجليز .

وقال لى زميلى الضابط محمود لبيب :

يا أخى : اننى ابحث عن مغامرة جديدة .

قلت له :

لقك الله . أما علم من ان كل مغامرة لا تخلو من مخاطرة فقـــال : انى أرحب بالخطر فى سبيل ان افسد اى خطط يقوم بها الانجليز .

قلت له :

ما اجمل ان يبلغ الانسان نهاية امله ان لمـا يرجوه حد يقف عنـده او نهاية يصل اليها وسيان بعد ذلك الموت او الحياة !

وسكت زميلى .. ثم قال : لقد استدعانى هنتر باشا منذ قليل واخبرنى أن أكون مستعدا أنا والملازم مرسى محمد للتوجه معه غدا فى هذه المهمة مهمة تبليغ الضابط التركى امر الاخلاء كما جاء فى البرقية . فما هو رايك ؟

قلت له :

هذه النقطة بالذات هى محور تفكيرى الآن ، وعلى كل حال فلنـــدع الحوادث تجرى فى مجراها الطبيعى ، ولنترقبها متحفزين ، حتى يقضى الله امرا كان مفعولا ، واعتقد انه سبحانه لا يتخلى عن جنـوده المخلصين .. اما عن المغامرات التى تبحث عنها فالأيام حافلة بها ، فترقب وانتظر ..

وفى اليوم التالى توجه اربعة من الضباط صوب السلوم العلوى حيث تقوم الثكنة التركية وكان على راس هذه القوة «هنترباشا» مدير السواحل والحدود البحرية ، وانتهى بهم السير الى الثكنة !

ولمـا تقابل هنتر باشا بالضابط التركى عصمت ، قال فى لهجة قاسية لا تخلو من عجرفة :

— عندى أوامر من كتشنر باخلاء هذه الثكنة وتسليمها لنا !

فرد الضابط التركى فى شجاعة وقوة :

ـ احتفظ بأوامر رئيسك ، اما انا فانى اعلنها صريحة مدوية انى لن اتزحزح عن هذه الشكنة حتى ابذل فى سبيل الزود عنها دمى ، واروى رمال الصحراء بدانا ورجالى ..

اليك عنى ... اغرب عن وجهى ...

المأساة توشك ان تتكرر

وقد امكننا الوصول الى برقية بالشفرة عن طريق السيد احمد مسعود وكيل مكتب تلغراف السلوم ـ وكان فى مقدمة الرجال العاملين المخلصين الذين يمتلئون غيرة ووطنية ـ وقد ارسلها لنا احد السعاة داخل مظروف صغير من مكتب التلغراف .

وفى المخيم الكبير اجتمع الضباط واخذ زميلى يتلو عليهم البرقية مترجمة على الشفرة ، وكان نصها :

« الى مدير عام السواحل والحدود والبحرية هنتر باشا » ارفع العلم البريطانى على السلوم .

امضاء ـ كتشنر

واوشكت مأساة رفع العلم البريطانى على السودان أن تتكرر من الانجليز ايضا فى السلوم .

وقلت لزملائى الضباط :

ـ أن الساعة عصيبه والوقت حافل بالخطر ، وأن علينا أن نتصرف بمنطق الوطنية ، ونصون ارض بلادنا ، وما لأى اعتبار ان يدخل فى حسابنا او يحول دون اداء واجبنا وليس امامنا الا عمل واحد وتصرف واحد اطلبه منكم باسم وطننا العزيز ، هو رفع العلم المصرى فوق هذه الارض انها ارض مصرية ، فلا بد من عمل المستحيل وارجو ان نقسم جميعا على هذا المصحف بأن ندافع عن هذه الأرض ، وان لا نسمح برفع اى علم عليها الا علم مصر العزيزة حتى لا تتكرر هنا مأساة رفع العلم البريطانى فى السودان او نموت جميعا فداء لهذه الغاية السامية اذا اقتضى الامر ذلك واقسم جميع الضباط على المصحف الشريف ان يبروا بالوعد الذى قطعوه على انفسهم .

ووسط هذه الظروف ارسل المرحوم امين مسعود الحناوى وكيل مكتب التلغراف بالسلوم برقية ثانية كان فحواها :

« المستر برنجل مدير مخازن خفر سواحل الاسكندرية ارجو ارسال العلم البريطانى والسارية مع الطوافة عبد المنعم لرفعه على السلوم » .

امضاء — هنتر

وكان علينا ان نتصرف بسرعة وبحكمة ورايت ان ارسل بعثة الى نقطة بقبق — وكانت تبعد عنا بحوالى ٤٥ كيلو مترا لتحضر العلم المصرى من هنـاك .

وكان حكمدار هذه النقطة ضابط برتبة ملازم أول اسمه يوسف هيبه ، وكان من اصدقائى الأعزاء ، ومن توفيق الله وفضله كان مثاله فى هـذه النقطة فقد كان يتمتع — رحمه الله بروح عالية وايمان صادق وقد ارسلت اليه رسالة حملها الجاويش مرجان عليمى ومعه اثنـان صف ضباط هما الجاويش محمد عباس الفراوى والباشجاويش السـودانى محمـد على الشـاجى .

وذكرت له فى الرسالة ان هؤلاء سيصلون اليه وجمالهم لا تصلح ابدا للعودة فقد قلت لهم الا يرمحوا الجمال بالنسبة لاهمية المهمة التى قاموا لانجـازها .

وقلت له :

وستصلك جمالهم وهى لا تصلح للعودة بهم فمن واجبك ان تسـتبدلها بأقوى هجين من عندك وارجو ان تسلمهم علم النقطة الذى عندك ، وترسل معهم البروجى والبورى والسارى لأن هذا العلم سينصب ويرفرف عـلى السلوم ، وارجو أن يصلوا فى الميعاد المحدد لهم ، وشكرا لك يارب المروءة والوطنيـة .

عندما هبوا مذهولين

وسلمهم العلم العزيز والأشياء الأخرى التى طلبناها ثم قفلوا عائدين بعد أن انجزوا المهمة على خير ما يكون ...

وبعد ان وصلوا شرعنا فى الحفر للصارى ، وعلقنا العلم مطويا ولا عـلم لأحد بذلك .

وقد كانت التعليمات قد اعطيت الضابط النوبتجى والجاويش النوبتجى وفى الميعاد المحدد كان البروجى تحت العلم ...

وفى الموعد تماما عزف السلام ونشر العلم فى الحال ، ولما سمع الانجليز البورى ، وهو يرسل تحية العلم هبوا مذهولين وخرجوا فوجدوا العلم المصرى يرفرف فوق السلوم واسقط فى ايديهم .. وطأطأوا الرؤوس وعيونهم تنظر الى الأرض بينما العلم المصرى يتخذ وضعه نحو السماء وينشر ظله على ارضنا العزيزة » .

الفصل السادس
التفكير فى الهروب الى ليبيا
ضد الاحتلال

اجتمعت مع الأميرالاى اسنو والقائمقام وهايت فى مكتبى فى مرسى مطروح بعد نوزلهما من الطوافة « عبد المنعم » التى عادت بهم جميعا من السلوم فرارا من وقوعهم ومن معهم أسرى فى أيدى نورى وجعفر كروايتهما لى .

وبدأ اسنو كلامه فقال : « لقد غلب نورى وجعفر السيد احمدالسنوسى على أمره وورطاه فى قطع علاقاته معنا فنحن من اليوم فى حالة حرب معه وستصل القوات الانجليزية تباعا الى هنا وستكون مطروح قاعدة للعمليات الحربية ضد السنوسيين والترك ، وسوف يندم السيد احمد ندما شديدا على تردده وعدم حزمه فى اقصاء الاتراك عن معسكره والآن قبل ان اكلفك بأى عمل فيما نحن قادمون عليه لى معك كلام خاص .

(اتفاق على ابعادى)

وعنما نطق بعبارة « كلام خاص » رأيت القائمقام هوايت قام مسرعا وخرج من المكتب وكأنهما كانا متفقين على أمر وبدا اسنو حديثه ـ فقال .

« انا اعلم وهنتر باشا يعلم ايضا ولا اظن الجنرال ماكوين نفسه لا يجهل انك مسلم شديد التعصب لدينك ووطنك وقد ظهر تعصبك هذا جليا فى اثناء الحرب بين ليبيا وايطاليا ولا اريد ان اعيد الحديث فى ذلك فقد سبق ان تكلمت فيه معك عندما كنت قومندانا فى قسم الضبعة وجاءت مناسبة تهريب الأسلحة والذخيرة والضباط الاتراك الى ليبيا ، كنا نقدر شعوركم كل التقدير وكنا نقدر الروابط التى كانت تدفعكم لهذه المجازفة انت واخوانك الضباط فلم يحل ذلك دون تعيينك قومندانا لقسم الضبعة وانت لا تزال برتبة ملازم أول ، وكانت الاحتجاجات كثيرة وطلبات التعويضات التى تطلبها ايطاليا من مصر لا تنقطع وكنت أقول فى نفسى لو كنت فى مكانه لم يسعنى الا ان اعمل مثله والآن اسمع منى فانى اخاطبك كأنك ابنى ، لقد

مجلة الشبان المسلمين ٢١ نوفمبر ١٩٥٨ .

كنت كفؤا فى عملك وتأدية واجبك فى وظيفتك » . وهنا احبس قلمى لأنه اطنب فى الثناء على ثم استمر يقول : « نحن لا نريد ان يدفعك تعصبك الى ان تقدم على عمل يقضى على المستقبل الذى ينتظرك ، ويؤلمنا كل الألم ان تنتهى الى مثل هذه النتيجة فتذهب اعمالك المجيدة التى قدمت بها مع الريح وتقديرنا لك جعل هنتر باشا يتحدث معى بخصوصك كثيرا وكان يقول « انا اخشى على هذا الضابط من تهوره وتعصبه اذا ساءت الحالة فى الصحراء الغربية واضطررنا الى حرب مع السنوسى ويقول انا لا انسى كيف استطاع أن يضلل القائمقام موريس بك ويهرب قافلة من مئات الجمال تحمل سلاحا وذخيرة الى برقة وكيف ثارت واحتجت ايطاليا وطالبت بالتعويض وكيف قامت علينا جميعا قيامة الجنرال كتشنر ، وما اصاب القائمقام موريس بسبب افلات هذه القافلة » لهذا نخشى ان يرتكب هذا الضابط حماقة فى ثورة تعصبه تؤدى به ، فاذا تحرجت الحالة على الحدود الغربية يمكنك ان تخيره فى القيام بأجازة غير محدودة المدة وتفهمه ان هذا تقدير منا له لأننا لا نريد احراجه وحتى لا يضطر الى الاساءة لنفسه ، وها انا اعرض عليك امر هذه الاجازة فما قولك ؟ » .

* * *

تدفق القـــوات

قلت له : « انى أرى فى كلامك هـذا اتهاما لى فهل قصرت فى واجب ؟ فقال : لا لا تؤول كلامى هذا التأويل بل هذا العرض انما هو اشفاقا عليك لنبعدك عمالا يرضيك ان تشترك فيه » . فقلت له ان قيامى من هنـــا فى هذا الوقت اعتبره ماسا بكرامتى ، وكأننى غير مرغوب فى بقائى هنا » فقال : أما وقد فسرت الأمر هذا التفسير فابق حيث انت ويسرنى كل السرور ان تبقى بل نحن فى اشد الحاجة اليك « .

ثم رن الجرس وقال للمراسلة : « ناد القائمقام هوايت بك » .

وحضر هوايت وبدأ اسنو حديثه من جديد كأن لم يكن بيننا حـــديث سبق هذا فقال لى : « انت من اليوم الحاكم العسكرى فى مرسى مطروح . ولك كل سلطات الحاكم العسكرى كما عليك كل واجباته وسيكون اتصالك بالقائد العام لهذه الجبهة الغربية ، وأنا واثق كل الثقة انك خير من يؤدى واجبات هذه الوظيفة فى هذه الظروف الحرجة ، واول عمل تبدأ به الآن هو ترحيل جميع سكان مطروح من المدنيين وعائلات الموظفين ، واجرد جميع ما فى

الدكاكين من بضائع وتقدير ثمنها وانا سأعطى اصحابها ايصالات لتحصيلها من الاسكندرية ، ويجب ان ترحلوا كل من يمكن ترحيله بالطوافة عبد المنعم واذا بقى احد بعد ذلك فليرحل بالبر » .

وما وافت الساعة الثانية بعد الظهر فى هذا اليوم يوم ٢٣ نوفمبر حتى وصلت الى ميناء مرسى مطروح النقالات من الاسكندرية تحمـــل فرقة من الجنود الهنود ومعها كل ما يلزم من مؤونة وعتاد ومعدات للقتال وعنـــد الغروب وصلت ست وثلاثون سيارة مدرعة عن طريق البر . وبدات عملى فى تشكيل لجنة فى الحال اجرد بضائع التجار وبدأت السيارات المدرعة بعد غروب الشمس تأخذ اماكنها حول مرسى مطروح وتقوم دورياتها بالطــواف غرب البلدة وضواحيها وفوق الهضاب المشرفة عليها وامضينا هــذه الليلة فى حركة لا تهدأ .

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٤ نوفمبر وصلت طائرتان ونزلتا فى المطار. وفى الساعة التاسعة صباحا قدمنى اسنو الى القائد العام للجبهة ومعه أركان حربه . فقال القائد محييا « انا اعرفك قبل ان اراك » انا مسرور جدا لأن نلتقى ونعمل معا » .

وقدم لى أحد اركان حرب ، وقال هذا ضابط الاتصال بيننـــا فى كل ما تريده او نريده . ووصل فى صباح هذا اليوم الايان من الفرسان ، ثم عدد كبير من اللوريات والمدفعية وكل هذا يدل على ان الانجليز كانوا قـــد أعدوا العدة للحرب وجهزوا قوتهم الضاربة فى الاسكندرية لتتحرك بمجرد ان يصدر لها الأمر .

وفى هذا اليوم وصل البكباشى تويدى قادما من برانى ومعه ست عربات مدرعة كانوا قد ارسلوها الى هناك بعد الحركات التى قام بها السيد هلال السنوسى فى سيدى برانى وانتهت الى عودته الى السلوم ـــ حضر البكباشى تويدى بعربته المدرعة وترك خلفه الضباط والجنـــــود والموظفين المصريين والسودانيين وعائلاتهم الذين كانوا فى قسم سيدى برانى فلما سألته عنهم قال : ان الأمر الذى صدر اليه من الأميرالاى اسنو يقضى بأن يقوم حالا بالسيارات الى مطروح بعد ان ينبه على قوة الهجانة والموظفـــين الذين فى سيدى برانى بأن يعودوا الى مطروح بالجمال ، فتوجهت فى الحــــال الى الأميرالاى اسنو واعلنته وصول البكباشى تويدى والسارات المدرعة ، وانه ترك من خلفه كل من كانوا فى سيدى برانى من عسكريين ومدنيين وعائلاتهم

بناء على امره « اسنو » فقال اسنو صحيح انا اصدرت هذا الأمر فقلت له « الم تقدروا ان يترتب على ترك هؤلاء فى سيدى برانى معرضين للهجـــوم ومعهم نساء واطفـــال . اما كان من الواجب ان يبقى البكبـــاشى تويدى بالسيارات المدرعة حتى يرحل هؤلاء ثم يسير خلفهم . فقال : « ان كل من فى سيدى برانى مسلمين لن يتعرض جيش السنوسى لهم بمكروه » فقلت له : وهل نسيت ما فعل السيد هلال عندما كان يحاول اشعال الثورة فى برانى وارسال اتباعه فى كل ليلة للهجوم على القشلاق » ففكر قليلا ثم امر باستدعاء البكباشى تويدى وامره بأن يقوم فى الحال بســـياراته عائدا ، فى طريقه الى سيدى برانى ليرافق من تركتهم فيها فقلت له انه لن يصل اليهم وقد فات الوقت ، ومع ذلك فقد قام تويدى عائدا ولم يمض على قيامه غير اربع ساعات حتى عاد قائلا انه لم يبق اثرا لمن خلفهم وعلم ان طلائع الجيش السنوسى وصلت الى سيدى برانى .

وفى الصباح ٢٥ نوفمبر وصلت طائرتان الى مطار مطروح .

ماذا على أن افعل ؟

ان اشد يوم مر بى فى حياتى هو يوم ٢٥ نوفمبر ١٩١٥ رأيت أن اخلو فيه ساعة الى نفسى وجلست أفكر طويلا فى موقفى الدقيق وماذا يجب على أن اقوم به وليس بجانبىمن يبادلنى الرأى .. فانا اليومالحاكم العسكرى فى مطروح ، وهى قاعدة العمليات الحربية ضد الســـوسيين وقوادهم الترك وليس فى مصر كلها ولا هنا فى الصحراء الغربية ما يعلم شيئا مما اعلمه عن اسرار الجيش الذى سيتعرض لهجوم الانجليز ، وأنا الوحيد الذى اعـــلم بالتفصيل حالة القوة السنوسية من مصادرها واعلم انه جيش لا يملك من القوة والعتاد والمؤن والاستعداد للقتال سيئا يستحق التقدير واعلم الخلاف الشديد الذى بين الامام أحمد الشريف السنوسى وبين نورى وجعفر واعلم أن السيد على حق ، كل الحق حين يرفض مباداة الانجليز بجيـــش يكاد يكون اعزل ، وفوق ذلك فأن خلفه دولة كبرى وهى ايطاليا فى برقه وهو فى حرب مع الانجليز وهما على ثقة تامة من ان هذا الجيش لن يحقق شـــيئا من الهدف الاستراتيجى الذى ترغبه استانبول .

ولكنهما يريدان بصورة من الصور ان تقول استانبول انهما قاما بحركة ضد الانجليز وبهذا يتخلصان من الوضع الذى اصبحا فيه فهما يفضـــلان هذه المغامرة الطائشة والحركة المذبوحة على الاستمرار فى السلوم هما ومن معهم من الاضباط الأتراك ، بعد ن أصبحوا جميعا يتوجسون خفية من أن

السيد امين الشريف السنوسى قد يأمر بالقبض عليهم واعتقالهم فى اى يوم بعد أن تكشفت له الألاعيب .

هذه الحقيقة كنت اعلمها علم اليقين وان الجيش السنوسى لن يصمد امام عدوه الا ايام معدودات وسوف يتمزق شمله استعرضت فى خلستى هذه الصورة فى خاطرى ثم عدت أسأل نفسى ماذا يجب على ان افعل فيما يحيط بى . الانجليز مستعدون كل الاستعداد ليسحقوا بقواتهم الضاربة الكتائب السنوسية التى امامهم وبأسرع ما يمكن ، حتى يتفرغوا الميدان الشرقى اى الجيش التركى القادم من سوريا نحو قنال السويس وهذا الجيش السنوسى فى تفاهة استعداده ، وانقسام قيادته ، مغلوب لا محالة، واعود فأسأل نفسى ، ماذا يجب على ان افعل كنا عندما اجتمع باخوانى الضباط تغلى مراجل حقدنا على الانجليز وخاصة بعد ان اعلنوا الحماية على مصر ، وكنا نتمنى ان تتهيأ لنا الفرصة للقيام بعمل ضدهم والآن هل ابقى مع الانجليز أؤدى ما يطلبونه منى واكون عونا لهم فى حربهم .

ويتبع ذلك انضمام هجانة الحدود من ضباط وجنود الى الجيش الانجليزى ، يحاربون فى صفوفه اخوانهم العرب ، وتنشر الدعاية فى العالم كله بأن بنى عمومتنا من العرب بقيادة ضباط عثمانيين موفدين من قبل الخليفة الأعظم لتحرير مصر من الانجليز ووجهوا بجنود مصر يحاربون فى صفوف اعدائهم الانجليز ، او بينما مصر تنتظر جيشا عثمانيا آخر قادما من سوريا بقيادة الخديوى عباس — اى جيش عربى من الغرب وجيش عثمانى قسمه الكلى عرب من الشرق — كل هؤلاء يتقدمون الى الموت لتخليص مصر من أعدائها ، ومن أذل كبرياءنا ، وداس بأقدامه كرامتنا وعزتنا ، وأصبحنا نمشى على الأرض كاهون من عليها وكاننا الذين عناهم الشاعر فى قوله :

واعرف خلق الله فى الذل امة

ترى من بنيها للذى سامها جندا

الا لا كانت الحياة . « ولا عزنى خال ولا ضمنى اب » وبرئت مصر منا وأمطرت علينا اللعنات ان رضينا أن نقر الذل فينا ولبست مصر على أيدينا ثوب الخزى والعار .

انهم اعـــداؤنا ؟

هذه العبارات هى هى التى جالت فى خاطرى وانا شاب حينذاك ، تغلى مراجل الغضب بين جوانحى ويؤجج الحقــد فى قلبى ســعيرا . فتمشى الحماسة فى كل شعرة فى جسدى . وتصرخ كل قطرة فى دمى الثــورة . الثورة الثورة . فأما الحياة واما الردى . وهانت الدنيا وما فيها ، ورخص الشباب وعوده الأخضر . والمستقبل وما ينتظرنى . وقد استعرضت فى خاطرى على عجل علاقتى بالعمل مع الانجليز ، ويشهد اخوانى من الضباط الذين على قيد الحيــاة ، والذين عملوا معى ، انى ما تملقت يوما من الايام رئيسا انجليزيا ، ولا استطاع احد منهم ان يمس كرامتى من بعيــد او قريب ، ومع هذا فقد كانت نظرتهم الى عملى نظرة تقدير وتكريم واحسنوا معاملتى كل الاحسان مع علمهم بتعصبى الوطنى ودينى . وكانت ترقبــاتى فى غير دورى وشغلت مراكز لم يشغلها مصرى قبلى فى مثل رتبتى ، ومــع هذا فما نسيت يوما من الايام انهم اعداؤنا ، وانى اشعر بالمذلة والهـــوان ما دامت بلادى محتلة بهم ، واحمد الله على ان جميع اخوانى من الضــباط الذين كانوا فى الصحراء الغربية انوا جميعا على قلب رجل واحد . وطنية ورجولة ، وكنا نرقب اليوم الذى نساهم فيه للخلاص من عار الاحتــلال ، فاذا بهم يفاجئوننا بالحماية ، والله وحده يعلم ما تركه اعلان هذه الحماية فى قلوبنا ونفوسنا من آلام ضاعفت مرارة الحقد والعـــداوة فى قلوبنا ، فدعوت الله ان يهيىء لنا فرصة الانتقام من اعدائنا .

استعرضت كل هذا سريعا ثم انتهيت الى ان هذه هى الفرصــة التى كنا متشوقين اليها ، فلم لا اقوم انا بالثورة ، واؤججها فى الحدود الغربيــة ثورة باسم مصر ، ولتكن ثورة كل استعدادنا وعدتنا فيها ايماننا بالله ، وبهذا الوطن ، ولتحرقنى نارها فأكون قد لقنت الأعداء درسا يعلمهم الى اى حد يمقتهم المصريون ، ويتربصـــون بهم الدوائر ما داموا يحتلون بلادنا ، فأنا المصرى اللى بالغوا فى تقديره ، ويقولون ان مستقبلا ملحوظا ينتظــرنى لم اتردد فى الخروج عليهم عندما مكنتنى الفرص ، فاذا قدر ان ثورتنا لم يكتب لها النجاح الذى نرجوه فأكون على الأقل قد انقذت ســمعة مصر وشرف الجندية المصرية ، واكون قد نزعت من عقول الانجليز ما يشيعونه .. هنا وهناك من ان مصر قد اطمانت الى ما هى فيه ، وان وطنية اهلها لا تتعــدى الكتابة والكلام ، وحماسة الخطباء .

كل هذا مر على خاطرى سريعا . ثم عدت أسائل نفسي من انا ؟ ضابط صغير برتبة يوزباشى عمره ٢٥ سنة قليـــــل التجارب لا يجد بجواره من يتفاوض معه ، مطلوب منى فى هذه الساعة ان اقدر الموقف الذى انا فيه وحدى واصدر قرارا وحدى ثم أنفذه فى هذه الليلة بالذات والا ضـــاعت الفرصة . واى قرار ؟ قرار الثورة على الانجليز وانا محاط بجحيمهم وقد ازدحمت مطروح بقوتهم الضاربة التى اعدوها من زمن فتوكلت على الواحد الأحد واصدرت قرارى فلم يبق مكان للتردد .. الثورة الثورة ، ويجب ان اشعل نارها فى هذه الليلة بالذات والله المستعان .

رجـــولة رجل

وكانت الساعة قد بلغت الثانية بعد الظهر وبعد هذا القرار تاقت نفسى ان اتحدث الى اى انسان اثق فى اخلاصه واطمئن الى دينه ورجولته ووطنيته ورأيت ان هذه الصفات تجتمع فى المرحوم عثمان الدرعى باشكاتب قسـم مطروح ، وهو رجل قد جاوز الخمسين من عمره ، ولد فى السودان ونشـأ فيه ، ثم جاء الى مصر وتوظف ، فاستدعيته فى بيتى وحدثته عن نفســه وطلبت منه ان يسافر الى القاهرة ويلحق بعائلته وقلت له اننى سأكتب له تصريحا بذلك ، فقال لى : « ولكن من يعمل معك فى القسم اذا ســافرت انا ؟ » فقلت : « الكابتن الثانى والمخزنجى ومع كل فأنا لن ابقى هنـــا » فسألنى : « والى اين تذهب ؟ » قلت له : « اسمع .. انا لا اطلب منك ان تقسم لأنى مطمئن اليك كل الاطمئنان .. انا قررت ان اخرج فى هذه الليلة من مطروح لأحدث ثورة ضد الانجليز » فبهت الرجل ، ثم تمالك نفســه وقال : « هل هذا الكلام جد يا جناب القومندان ؟ » فقلت له : « وهل تعودت منى ان اهذى ؟ » فسكت قليلا ثم قال : « ثورة ضـــد بريطانيـا العظمى ؟ . » قلت : « وهل ضد بريطانيا العظمى .. » قال : « انت ترى انهم فى يوم وليلة ملاوا علينا الدنيا بلاء » قلت : « نعم ارى كل ذلك فقال : « وتريد ان تثور على هذا الهول » « براك » كلمة سودانية معناها (وحدك) قلت : « لست (براى) ولكن الله معى » قال : « الله يقول : « ولا تلقـــوا بأيديكم الى التهلكة » . قلت : « ليست هذه تهلكة ، ولكنها جهاد فى سـبيل

الله والوطن وانا ما استدعيتك لأخذ رايك فى قرارى ، ولكنى اسدعيتك لانه عليك لتستعد للسفر الى القاهرة ، فسكت ثم رفع راسه وتكلم وفى صوت الرجل عزم « نعم .. سأستعد للسفر . ولكن للسفر معك حيث تذهب » فقلت له : « امجنون انت ؟ ما شأنك بهذا وانت رجل مدنى ، وسنك لاتسمح بهذه المخاطرة ، وعندك عائلة ليس لها من يعولها غيرك .. سافر ، سافر للقاهرة فراعنى منه انه يقسم بالطلاق بأن لا يسافر الى القاهرة ، ولا بد أن يخرج معى ويقول : « لماذا تريد ان تحرمنى من الجهاد فى سبيل الله والوطن كما تقول ؟ » فعجبت للشيخ وغضبته وتصميمه ، ولم يسعنى الا أن اقول له : « عظيم » .. وقمت وصافحته فى حرارة وكأنها مصافحة البيعة على الموت .

وكان والله هذا الرجل فى كل صفحات ثورتنا التى كانت من بدايتها الى نهايتها ابتلاء وحرمانا وكل ما يخطر على البال من شدة وقسوة ومحن وشقاء ، وكان هذا الرجل رغم سنه ، مثلا للرجولة فى اسمى معانيها والصبر فى أمر حالاته ، ثم قلت له أن الامر يجب ان ينفذ فى هذه الليلة . فاذا تأخرنا ضاعت الفرصة ولا يعلم الا الله واذا يكون المصير . فقال : « الأمر اليك ، وانا من هذه الدقيقة جاهز » وصرفته وخلوت لنفسى لأضع الخطة للتنفيذ فى هذه الليلة .. وقد كان .

الفصل السابع

دعوة الى الجهاد

لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام ، وأنا أقولها :
(فلو كنت بوابا على باب جنة ـ لقلت لآل العاصى ادخلوا بسلام) .

فطرقناهم فى الليل البهيم فهبوا كراما وعلى راسهم حميـــده العاصى وحسين العاصى فرحبوا بمقدمنا اى ترحيب وطربوا اى طرب عندما علموا وجهتنا ، وفى الحال نحرت الذبائح وزغردت النساء ، ومضت الليلة دون ان تغمض لنا عين وطيروا الخير بالخيل غربا وشمالا وجنوبا .

دعوة الى الجهاد

وبعد صلاة الصبح جمعت ضباط الصف والعساكر الهجانة ولا علم لاحد منهم بما عزمنا عليه ولكن ربما قدر بعضهم ما كتمناه عنهم عندما راوا خروج العمدة واستقبال العرب وجموع القبائل التى قدم بعضها قبــل ان يطلع الفجر بمجرد ان وصلهم النذير . وقفت بين الجنــود وخطبت فيهم وقلت لهم فيما قلت :

لقد عملنا معا زمنا طويلا وكنتم مثلا طيبا فى اداء واجبكم على الوجــه الاكمل كنتم قدوة حسنة للمستجدين وذكرى جميلة بين الاهالى فى الصحراء الغربية ، وفخرا لسلاحكم عند كل من يعرفكم او يرافقكم او يشاهدما وصل اليه تبدريبكم ، الامر الذى حمل قيادة الجيش الانجليزى على ان ترسـل بعض الضباط ليدربوا عندنا فى الصحراء . والآن اريد ان اطلعكم عــلى ما نويته لقد خرجت من مطروح وتركت مركزى واستغنيت عن وظيفتى واخترت فى سبيل الله وبلادى الدار الاخرى على الدار الفانية . ومنذ ليلة امس قد بعت لله نفسى ، وها انا لا ادرى ان كانت ستغرب شمس هــذا اليوم وانا حى او تشرق غدا وانا حى . وانا خرجت بكم لأصل الى هنا وقد وصلت والحمد لله وقد رايتم كيف امتلأ المكان بالرجال ولم تمض الا ساعات قليلة ، فجزاكم الله خيرا وانتم من هذه الساعة احرارا فى العـــودة الى مطروح وانا اعلم ان لدى كل منكم تبعات ومسئوليات عائلية وما منكم احد الا وله زوجة واولاد او ام واخوات فعودوا الى مطروح ولن يتخــذ

يناير ١٩٥٩ مجلة جمعية الشبان المسلمين .

الانجليز معكم اى اجراء لأنه لا مسئولية عليكم وانا المسئول ، وانكم لاتعلمون من نيتى شيئا ، وحسبتم انها مناورة شدة سريعة حسب المعتاد فى كل ليلة فما راعنى يا سيدى القارىء الا صوت هؤلاء الرجال فى نفس واحد وكأنهم كانوا على اتفاق . لا يمكن نرجع ولا نرجع ابدا او لسنا رجالا او لسنا مسلمين . الرب واحد والعمر واحد والوطن واحد ، نعيش معك ونموت معك وليست ارواحنا اغلى من روحك ، فلا تطلب منا ان نعود واهلنا فى وداعة خالفهم وهو رازقهم عند ذلك لم يسعنى الا ان اصافحهم مصافحة هى البيعة على المنشط والمكره فى سبيل الله والوطن (ولقد صدقوا عاهدوا الله عليه) وطالت سنين الجهاد والاغتراب ومر مذاق الحياة وعز الصبر على الحرمان بكل ما فى الحرمان من ويلات بؤس وشقاء وجوع وعراء وجهاد وابتلاء ولكن الرجال صبروا وصابروا . ولكن المؤمنين اخلصوا النية واخلصوا الجهاد . فما سمعت فى مدى السنين من احد منهم شكوى ولا ألما ، ولا توجعا ولا ندما ، هو الايمان فما اقواه حصنا ومعقلا لا ينفذ منه الى النفوس يأس ولا ضعف ولا حسرة ولا خور اللهم لا غالب لنا من الناس ان كنا مؤمنين ، فكل من يحاول ان يهدم قلعة هذا الايمان فى نفوس الشباب فهو خائن لبلاده عدو لأمته كافر بنعمة ربه . واليوم الذى يضعف فيه ايمان امة فقل على عزتها وكرامتها ورجولتها العفاء وقل على وجودها السلام .

حيلة حربية

واول ما فكرت فيه بعد ذلك هو ان الانجليز اذا اصبح الصباح سيعرفون كل شيء ولا بد من ان يجردوا قوة سريعة تقتضى اثرنا وتتعقبنا ، علها تستطيع اللحاق بنا وتجعلنا مثلا لمن تحدثه نفسه بخيانة بريطانيا العظمى والخروج عليها والعبث بفطنة رجالها . فاذن يجب قبل كل شيء ان أقيم وفى سرعة كمينا يعوق تقدم الانجليز اذا حاولوا تعقبنا ، ومتى فاجأهم هذا الكمين فانهم سيصرفون النظر عن التقدم ويعتقدون ان هذا الكمين هو جزء من قوة الكشف التعرضى لمقدمة الجيش السنوسى ، فيعودوا ادراجهم ليستعدوا لمقابلة هجوم السنوسيين بهجوم يقومون به ، وقد سبق ان وصلتهم الأخبار بأن جعفر وصل بجيشه الى سيدى برانى وان السنوسيين فى طريقهم الى مطروح . ولو علموا حقيقة ما كان عليه جعفر حينذاك وما

علمناه فى ليلتنا عن حاله لتقدموا ولأخذوه اسيرا وقتيلا وانتهى امر الحركة فى يوم واحد ولكن الله سلم .

ان حرص الانجليز الشديد فى تحركاتهم والمبالغة فى الاستعداد واستكمال كل صغيرة وكبيرة كعادتهم فوت عليهم تحقيق غرض كان ما ارخص الوصول اليه لو اقدموا ولكنهم لن يفعلوا وانا اعرف فيهم كل ذلك ولهذا كنت واثقا انهم لن يواصلوا مطاردتنا اذا وقعوا فى الكمين ، وهذا ما حصل وما علمناه فيما بعد من انهم عندما اكتشفوا خروجى جن جنونهم . وكان ، اشدهم هياجا وغضبا وجنونا الأميرالاى اسنو واقترح قيام قوة من الفرسان لتعقبى ، ومن شدة حقده ومرارة حنقه ، رافق بنفسه هذه القوة ، فاذا بالكمين يفاجئهم ويوقع بهم ، وكانت خسائرهم كبيرة وكان الأميرالاى اسنو احد القتلى فى هذه المعركة ، وارتدوا خائبين ووقع ما قدرته .

بينى وبين جعفر

ولكن الأمر الذى اقلق بالى وبلبل خاطرى وملا قلبى المـا وحزنا هو ما سمعته فى ليلتى بدوار العاصى من بعض العرب القادمين من سيدى برانى من ان القوة التى جاءت مع السيد جعفر من السلوم كانت خليطا لا يمت الى قبيلة بذاتها من قبائل الحرابى ببرقة ، ولا هى من الكتائب النظامية التى جهزها الاتراك وكانت تحت قيادتهم وهذا الهجيج المسلح الذى جاء مع جعفر لا يعصمهم عاصم من ضبط وربط ولا يردهم عن الشر زاجر . وسمعت فى هذه الليلة عن اعمال هؤلاء المفسدين ما اقلقنى كل الاقلاق ، فقد جردوا قوة الهجانة التى فى قسم برانى من سلاحهم ، واخذوا هجنهم ومتاعهم ، كما انتشروا فى نجوع العرب ينهبون ويسلبون . فاظلمت الدنيا فى وجهى ، وقررت القيام فى الحال الى سيدى برانى بعد ان نظمت قوة الكمين فى وادى ماجد ، وقد ازدحمت دار آل العاصى من الذين هبوا للجهاد بمجرد ان سمعوا الدعوة . وكنت مسرعا الى الغرب لالتقى بالسيد جعفر لنجعل حدا لهذه الفوضى التى سوف تسبب حربا اهلية ، وما اسعد الانجليز لو وقع هذا ، فقمت مسرعا ومعى الهجانة وبعض العمد والشيوخ

ومشايخ الزوايا السنوسية وزعماء القبائل ، قاصدا سيدى برانى لمقابلة جعفر حتى اشرفنا على سيدى برانى فرأينا شراذم من رجال جعفر هنا وهناك فلما رآونا رقدوا على الأرض متحفزين للمقاومة ظنا منهم انها قوة انجليزية جاءت لمهاجمتهم فتقدم من كان معى من مشايخ العرب على خيلهم ولوحوا لهم بأحرمتهم فاطمأنوا وجاءوا لمقابلتنا ولما عرفونا كادوا يطيرون من شدة الفرح . وسألتهم عن جعفر باشا فقالوا انه فى القشلاق دائما ولا يخرج منه لأنه منتظر قدوم الطوابير « الكتائب » من السلوم فواصلت السير ورأيت من واجبى ان أتصرف مع جعفر فى حزم وشدة لأنى عرفته لا يهمه الا أن يرضى هؤلاء الذين يقودهم ليكسب حبهم ولو فعلوا ما فعلوا . وبناء على هذه النية اوقفت الهجانة على بعد نحو كيلو متر من القشلاق خلف هضبة، وزودتهم بالتعليمات اللازمة . واخذت معى المشايخ والزعماء ، ومشينا الى لقاء جعفر فى القشلاق ، وما أسرع ما طير رجاله خبر وصولنا واذا به يقابلنا على باب الثكنات وهو فى وسط جمع من ضباطه وجنوده ، وكأنه فى سوق ، فلما رآنى اقتحم سوقه واحتضننى فى لهفة وشوق وترحيب، ولكن هذا اللقاء الحار لم يمح ألم نفسى ولا المرارة التى ينطوى عليها قلبى بسبب ما اصاب الهجانة وعرب اولاد على من اهانة واعتداء على ايدى رجاله العابثين ، فلم اترك له وقتا ليفرغ جعبة التحيات بل اخذناه من بده بعيدا عن هذا الزحام وفاجأته قائلا ... قل لى يا باشا . انت قادم من السلوم لتعلن حربا على المصريين أم على الانجليز ؟ فبهت بهذا السؤال وتغير وجهه ثم قال : « اعوذ بالله كيف هذا ؟ انا جئت لأحارب المصريين ما هذا الكلام يا صالح بك ؟ قلت : « ان كنت ما جئت لهذا فكيف تفسر هذه الاعتداءات الفاجرة والأعمال الخسيسة التى قامت بها القوة التى تحت قيادتكم . اعتداءات لا يقدم عليها الا من تجردوا من كل معنى للدين والرجولة والمروءة والأخلاق ، اعتداءات لا يقدم العدو عليها بل يتورع من اتيانها . ولما سمع ذلك قال لى فى بساطة ماذا حصل ؟ انا لا افهم سبب هذا الزعل . قلت ان كنت حقيقة لا تعلم سبب ذلك فان المصيبة اعظم .

يا باشا الا تعلم ان رجالك جردوا قوة الهجانة من سلاحهم وجمالهم ومتاعهم واستخدموهم مراسلات لضباطك ؟ يا باشا الا تعلم ان رجالك سارحون بلا ضابط ولا رابط بين نجوع اولاد على ينهبون ويسلبون ويعتدون ؟ ألم تسمع كل هذا ؟ والعجب ان جعفر عندما سمع ذلك اخذ يقسم بأغلظ الايمان انه لا يعرف شيئا مما اقوله ولا سمع به . واما انا فلم

أعجب لأنه معروف عنه انا احرج لا يبالى أن يدير ظهره الى الصدق ، والانجليز يعرفون عنه ذلك ولهم قصص يرويها عنه القائمقام روبل . فقلت له يا باشا لا لزوم لضياع الوقت فى الكلام غير المجدى . نحن خرجنا مما كنا فيه بعد أن هايت هذه الدنيا وما فيها فى أعيننا فبعنا أنفسنا لله وفى سبيله وسبيل وطننا ، فلا تظن اننا نرضى الدنية من أحد . أو نسكت عليها وهذه اهانة كبرى لحقت بسلاح الهجانة وهو من اكرم اسلحة مصر على مصر ، اهانة من واجب هذا السلاح ن يغسلها بالدم ، وانظر هل ترى تلك الهضبة؟ فنظر بالنظارة المعظمة التى يعلقها دائما فى عنقه . قلت له ، خالف هذه الهضبة اخوان هؤلاء الهجانة الذين لحقت بهم الاهانة واقسموا صادقين انهم لن يبقى منهم رجل حى الا اذا راوا اخوانهم كما كانوا فى هيئتهم التى كانوا عليها ، وان يوقع عقاب شديد على الذين اعتدوا عليهم . وبينى وبينك ساعة واحدة فانظر ماذا ترى واقسم انى ما انتهيت من كلامى حتى رايت الرجل الذى كان قبل برهة يعيش فى فوضى لا تمت الى الجندية من قريب او بعيد ، واذا به تنقصه روح الجندى الحازم الباسل ، وصرخ فهرول اليه كثير من ضباطه وجنوده ، وطلب كبار ضباطه فحضروا مسرعين واذا به يقسم لهم وهو فى حالة انفعال شديد . يقسم بشرفه العسكرى انه اذا مضت ساعة ولم يجمعوا كل ما نهب وسلب من الهجانة فى هذا المكان ليعد من كل من مد يده الى شيء من سلاحهم او متاعهم او هجنهم ، ولن يفلت منهم احد ، ثم قال : هل ريدون يا (أديسز) قالها بالتركى ومعناها « يا قليل الأدب » ان تكونوا سببا لاعدامى انا بتهمة الخيانة العظمى ؟ واذا بهم ينطلقون راكضين يمينا وشمالا ، وما مرت ساعة ونصف ساعة حتى كانت الهجن والسلاح والمتاع وكل ما اخذ من جنود الهجانة فى صعيد واحد ، وجمعت الهجانة واخذ كل منهم هجنه ، وسلاحه ومتاعه ، ثم اصطفوا وسلمت عليهم وسلم عليهم جعفر واعتذر لهم وطيب خاطرهم واكرمهم ، وكان معهم من الضباط المرحوم الملازم أول أمين ذهنى (القائمقام) أسبغ الله عليه رحمته الواسعة والملازم ثانى ابراهيم عوض وسيأتى ذكر بطولته واخلاقه فى حينها وقد استشهد فى احدى المعارك . والصول عبدالله سعيد .

على ابواب كارثة

وانتظمت الوحدة وانضمت الى قوة مطروح ، وما أن انتهى جعفر من واجبه هذا حتى صافحنى من جديد واكثر من الاعتذار . ثم أخذ بيدى وبدأ يقول انت شغلتنى عما هو أهم من أمر الهجانة والذى جعل قدومك فى هذا

اليوم نعمة ساقها الله الينا ، وفرجا من المحنة التى أعيش فيها ، تعال معى الى المكتب لأن الأمر فى غاية الأهمية والخطورة . فذهبنا الى المكتب ونبه بألا يدخل أحد علينا وبدأ حديثه : هل تظن انى موجود هنا بعقلى وتفكيرى لا والله أبدا لا عقل ولا تفكير ولا تدبير (فقلت فى نفسى لا حول ولا قوة الا بالله أهذا رئيس أركان حـــرب الجيش) بل ان عقلى وتفكيرى فى السلوم والحالة التى خلقتها هناك ، فأنا هنا وعقلى هناك فى كل لحظة انتظر أن يصلنى خبر كارثة كبرى تقع فى السلوم ، فلم أسأ أن أسأله أو أقاطعه وتركته يسترسل فى كلامه فقال : « هل تعلم انى قمت من السلوم والحالة بيننا وبين سيدى أحمد كأسوأ ما تكون ، ولا أستبعد أن يأمر السيد بالقبض على نورى ومن معه من الضباط العثمانيين ، فاذا حاول ذلك فثق أن نورى لن يسلم نفســـه ولا من معه ، وهو عصبى فلن يتردد ولا من معه من الضـــباط . والجنود الأتراك فى أن يقتلوا من يلاقونه فى طريقهم وكلهم مسلحون ويحملون علاوة على سلاحهم وذخيرتهم قنابل يدوية ، والحالة كما صورتها تنذر بخطر شديد وطلقة واحدة من هنا أو هناك تفجر الكارثة.

ولهذا يا صديقى صالح أرى من الضرورى وفوق الضرورى وقد ســـاقك الله الينا أن تقوم حالا لتنقذ الموقف ، عندئذ سألته ، وكيف سمحت يا باشا لنفسك أن تنزل من السلوم وتترك الحالة كما وصفتها وهى تنذر بالشر والخطر الذى تؤكده ؟ قال : « كان لا بد من النزول بعد أن نشاورت مع نورى لكى نؤكد قطع العلاقة مع الانجليز ، ونؤيد حركتنا التى بذلنا فى سبيل الوصول اليها كثيرا من التعب » فقلت له وكثيرا من المقالب والحيلة قال صدقت وكثيرا من الحيل ، لأنه لم يكن من ذلك بد ، وحركتنا هذه لم تتم أيضا الا بحيلة واسعة سوف تعلم عنها عندما تصل الى السلوم . وهذه هى التى أغضبت السيد أحمد لأنه فوجىء بانسحاب الانجليز من السلوم دون أن يعلم سبب ذلك . فلما علم غضب غضبا شديدا وقال أنتم « عملتوها » طيب قوموا وحدكم بها . أما أنا وكل من يتبعنى فلن نشترك معكم ، وستعلمون نتيجة فعلتكم وفشلكم المحقق ، وبناء عليه تداولت مع نورى ، واتفقنا على أن أقوم بأى قوة تكون معى على أن تلحقنى الكتائب النظامية بالترتيب الذى يراه نورى ، ونجعل السيد أمام الأمر الواقع وقبل نورى أن يبقى وليكن بينه وبين السيد ما يكون ، ثم قال ان تأخيرك دقيقة يا أخى صالح ربما تكون سببا فى الكارثة فعجل بالله عجل والله معك . فقلت له سأعجل بشرط واحد وتعجيل هذا الشرط فى يدك فان لم يتم فتأكد انى لن أعجل ولن أبرح سيدى برانى أبدا وليكن ما يكون . فقال لى

نهفة بالله ما هو هذا الشرط وانا مستعد لتنفيذه ان كان ذلك فى استطاعتى، فقلت له هو فى استطاعتك اذا حزمت أمرك وهو « لا أدرى ان كنت تعلم أو لا تعلم أن كثيرا من المحافظية وكلمة محافظى معناها جندى » وتطلق على كل محارب فى (الجيش السنوسى) منتشرون ليعيثوا فى هذه المنطقة فسادا واعتـــداء على أولاد على والمرابطين وكانما جئت بهم لا ليحاربوا الانجليز بل ليحاربوا عرب مصر يعنى المصريين ومعنى هذا ان تقوم حرب أهلية والمعنى الثانى انك بهذا تقدم أكبر معاونة لانتصار الانجليز بدمائنا ودمائكم فأى خيانة أكبر من هذه الخيانة . فأنا لن أبرح سيدى برانى حتى اطمئن على انك ستضع حدا فى الحال لهذه الفوضى وتضرب بيد من حديد بل تقدم المثل بأن تعدم المحرضين على هـــذه الاعتداءات والا فان وطنى يأمرنى بأن أبقى هنا لادافع عن أهله وليخرب السلوم فان ذلك يأتى فى المرتبة الثانية بالنسبة اواجبى . فلما سمع ذلك اظهر دهشة وكأنه لا يعلم شيئا عما هو حاصـــل ، وخرج من المكتب مسرعا ونادى على أركان حربه وجمع ضباطا كثيرين ثم نادانى ووضع أمامه مصحفا وحلف عليه انه لن يتردد فى أن يعدم كل من تسول له نفسه أن يعتدى بأى نوع من الاعتداء على أحد من عرب مصر وانه لن ينام ليلته هذه حتى يمر بنفســـه فى كل ناحية ليطمئن على الحالة ، وهاهم الضباط يسمعون قسمى هـــذا . ولست مسلما اذا انا لم أحافظ عليه — وعند ذلك طلبت منـــه أن اتكلم الضـــباط فتكلمت معهم كلاما أظنه ترك الأثر الذى أردته فى نفوسهم ، وتسابقوا الى كتاب الله ، يقسمون عليه نهم سيحافظون على الأمن والسلام والنظام بدمائهم، وانهم لن يترددوا فى قتل اى معتد فى الحال بدون محاكمة، وأن عـــرب مصر ما هم الا اخـــوانهم وبنو عمومتهم ، وانهم متكاون على موازرتهم ومعاونتهم فى حرب الانكليز ، وانهم بدون هذه المعاونة الأخوية فى سبيل الله فلن تفلح حركتهم ولن ينتصروا على العدو .

دموع طيعة

ولمـــا انتهى الاجتماع ، الى هذه النتيجة عاد جعفر يأخذ بيدى الى المكتب ويضرع الى وقد سالت دموعه ، والعجيب ان جعفر هذا لا شك فى شجاعته وبطولته واقدامه ، ولكنه يملك دموعه بشكل عجيب ، ويستطيع أن يقول لها سيلى فتسيل .

بعد أن اطمأننت بعض الاطمئنان وخلفت ورائى من يكتب لى كل يوم مع مخصوص بالحالة — قمت ومعى الهجانة وكثير من عمد ومشايخ أولاد على وزعمائها ومشايخ الزوايا ميمما السلوم بأقصى سرعة للهجن ، ولم أقف حتى وصلت بقبق لأعطى الجمال راحتها ، والجنود طعـــامهم — وما مضت على نزولنا ساعة حتى وصلت الكتائب النظامية التى قال عنها جعفر فى حديثه (يرنجى نومونه) بقيادة اليوزباشى التركى أمين (وايكنجى نومونه) بقيادة اليوزباشى التركى غالب « وكل منهما منح رتبة البكباشى الوقتية فى الجيش السنوسى » وبعد التحية والســلام والسرور المتبــادل والغبطة التى غمرتهم وغمرتنا بهذا اللقاء . أسرعت فى سؤالهم كيف الحالة فى السلوم ؟ . فقالوا فى نفس واحد بطالة خالص خالص ، والله ربنا جابك يا صالح (بك) وان شأ الله تصل باكر وتصلح بين السيد ونورى ، والا كلنا رايحين فى داهية لأن السيد مصمم على الا ينزل من السلوم ، وسيتوجه الى الغرب ، وعلى ذلك ستفقد الحركة روحها وسوف يتشتت العسكر ليلحقوا بالسيد حيث يكون . فسألتهم مادمتم تنتظرون هذا المصير فلماذا جئتم من السلوم ؟ قالوا قدرنا ان السيد ربما بعد أن يرى أن الحــركة صارت جدية قد يغير فكره ، واقنعنا العساكر بأننا سننتظر حضور السيد فى سيدى برانى ولا نتحرك الا اذا حضر . واسمع يا سيدى القارىء لهذه الغارة الجنونية التى بذل نورى وجعفر فى سبيلها كل ما وسعهم من حيل وتضليل ، واستعذبوا هذه الالاعيب وسخروا فى سبيلها كل ما استطاعوا ولم يقيموا وزنا حتى لغضب السيد الامام السنوسى وهو روح الحــركة وفقار ظهر وعماد أمرها ، ثم هل تصدقون بعد هذا كله ان هذه الكتائب التى وصلت ليس لديها ولا لدى ضباطها (ولا قادتها امين وغالب) نظام اعاشه وتموين فاضطررنا أن نعطيهم مما عندنا طعام ليلتهم — يكفى هذا دليل على العبث وأى عبث . . انها مهزلة قذرة مرذولة تمثل حركة عسكرية تريد أن تحقق هدفا استراتيجيا عظيما . يتوقف على نجاحه هزيمة الانجليز وخروجهم من مصر ، فيا لسخرية القدر .

عندما ادركت لماذا انفرط نظام الجنود فى سيدى برانى . انفرط بلا شك طلبا للقوت وحسبنا الله ونعم الوكيل — والســيد الامام مقــدر كل هذا ولذا كان يرفض الحركة وقد قال لى فى حديثه معى عند زيارته الأولى للسلوم ان نورى وجعفر لم يعدا أى عدة ولم يقوموا بأى استعداد للحركة التى يسبحون بها فى الليل والنهار ، وأنا أعلم انه لاسلاح ولا ذخيرة تذكر

ولا مؤونة ولا شيء من اللوازم الأخرى وان التموين اليومى انما هو من سوق السلوم ، والفضل فى وجوده للانجليز . فاذا فقدناه فقدنا معه قوتنا اليومى فأى معنى لهذه الحركة التى لا يخجلون من ذكرها والرغبة فيها والاصرار عليها ؟ وقد صدق السيد الامام وافتضح أمر العابثين من أول يوم للحركة .

ولما استرحنا قليلا قمنا فى الليل الى السلوم فوصلنا فى الصباح الباكر الى ميناء السلوم ، وبمجرد وصولنا بعثت خبرا للسيد الامام بوصولنا ، واننا سنصعد الى معسكره ، بعد أن يصلى الضحى ، وصعدنا فى الميعاد وقد تسامع المعسكر بقدومنا ، فكان استقبال وأى استقبال ولقاء وكانت فرحة السيد الامام أحمد السنوسى رضى الله عنه وأرضاه فرحة اثلجت صدورنا ، ولا أظن أحدا شهد هذا اللقاء ، يمكن أن ينسى ذلك أبدا . واما نورى باشا فكان كرجل حكم عليه بالاعدام وينتظر التنفيذ بين ساعة وأخرى ، ثم يسمع أن صدور العفو عنه باب قريبا .. ماذا تكون حاله ؟ ذاك نورى عندما قابلته ولا مبالغة فى هذا الاستقبال من هنا ومن هناك ولا يزال الكثيرون ممن شهدوه أحياء يرزقون . والواقع ان التوتر الذى كان يعيش فيه معسكر مساعد والذى ينذر بالانفجار فى أى ساعة من ساعات الليل والنهار ، وشعور كل من فيه بالخطر يحيط بهم من كل ناحية ، وغضب سيادة السيد الامام على العبث الذى سوف يسوق الى كوارث تحيق بجيشه ويذهب ضحيتها رجال أبطال ، لا ليحققوا غاية ولا ليصلوا الى هدف ولكن ليقال عن نورى وجعفر انهما قاما بحركة وهما يعلمان انها حركة مذبوحة لانهما لم يعدا لها اى عدة ، حركة اقل ما توصف به انها لعب فى لعب والا فقل لى بربك أيها القارىء الكريم أى جيش هذا الذى يساق الى المعركة بل ويساق الى ميدان فقد يطول أمد القتال فيه وهو لا يملك تموين يومه ؟

وما استرحنا قليلا حتى طلبنى سيادة السيد الامام فى جلسة خاصة، وبعد الترحيب تكلم والأسى يبدو فى كل حركة ونفس وهو يتكلم قال : ((**أرأيت كيف لعب بى هؤلاء ، ثم أرأيت الى أى مصير يسوقنا وماذا تكون نتيجة هذا الجنون وما أوصلونا اليه ؟**)) . فسألته هل حصل ما حصل دون علمه وبغير مشورته ؟ قال : **نعم لم أعلم بشيء أبدا حتى قيل لى ان الطوافة عبد المنعم اقلعت بجميع الضباط الانجليز والقوة المصرية التى كانت فى قشلاق السلوم بل اقلعت بغتة لانها تركت خيامها والكثير من عتادها فقلت وكيف ذلك ؟ فقال عندما حققنا علمنا ان جعفر لعب آخر لعبة عنده**

وهو أنه كان يعرف **جواسيس الانجليز** الذين كانوا يرتادون عسكرنا المفتوح كماتعلم لكل غاد ورائح ، فجاء باثنين ممن يثق الانجليز بأخبارهم واغراهما بالمال واعطى كل منهما مالا كثيرا وقال لهما : ((**لا أريد منكما الا أن تنقلا الى الانجليز ان الترك والسيد اتفقوا نهائيا على الحركة باكر ، وان جميع القوة الآن فى هذا المعسكر او قريبة منه ،** حتى طابور ((بير واعر)) وهو أكبر الكتائب عددا واحسنها تدريبا بقيادة **يوزباشى ((صاغ))** نديم فى طريقها وسيصل هذه الليلة الى هنا لا أريد منكم أكثر من ذلك ولكما منا بعد نجاح تبليغكما مكافأة أكبر مما اخذتما ، ففرح الجاسوسان وما كان منهما الا أن هرولا وكانت الشمس قد قاربت الغروب وابلغا الامبرالاى اسنو بذلك ، ولم تقف المؤامرة عندهذا الحد بل أرادوا أن يؤكدوا للانجليز ما نقله اليهم جواسيسهم فقاموا فى ليلتهم بمناورة للمدفعية بقرب قشلاق السلوم وفوق الهضبة المشرفة على الميناء ، ولم يكتفوا بذلك بل ارسلوا جماعة كبيرة من طابور برنجى نمونة فنزلوا حيث كانت بالمعسكر القوة الصغيرة من الهجانة بقرب الميناء للمحافظة على مخبم الضباط الانجليز . وكانت تحت قيادة المرحوم الملازم أول ــ ((الصاغ محمود لبيب)) أجزل الله ثوابه على جهاده . وأقنعوه بأن يصعد معهم ومع رجاله وجماله الى معسكر مساعد ، لان الحركة ستبدأ فى الصباح الباكر ولا يليق بمسلم أن يبقى مع هؤلاء الانجليز فصعد معهم ، وبات الانجليز بعد خبر الجواسيس فى وجل لا تغمض لهم عين من هجوم السنوسيين عليهم صباح غد واكدت تلك المناورة التى رتبها جعفر فوق هضبة السلوم الخبر ، فلما أصبحوا طلب اسنو الملازم محمود لبيب فلم يجده ، ولا الهجانة ، فكان هذا آخر انذار بأن الهجوم عليهم واقع لا محالة بين دقيقة وأخرى ، ففى الحال أمر اسنو بالرحيل ، وأمر الجنود المصريين الذين بالقشلاق بالنزول على عجل، فنزلوا وتخلف بعضهم لانه كانخارج القشلاق كما تخلف ضابط أيضا ولما أرادوا أن يلحقوا باخوانهم وجدوا الطوافة عبد المنعم قد اقلعت وترك الانجليز فى معسكرهم كل متاعهم ونجوا كما قالوا من الاسر أو القتل .

الموقف ينكشف

هذا ما رواه السيد الامام بعد أن تجمعت لديه المعلومات التى أعجلت الانجليز وحملتهم على مغادرة السلوم بهذه السرعة دون الرجوع اليهم ((انتهت الرواية)) ثم واصل السيد الامام حديثه فقال : ((أرأيت هذه

المهزلة التى كانت خاتمة المهازل التى قام بها هؤلاء الضـــــالين المضلين وحسبى الله ونعم الوكيل فيهم » .

وانظر أى بلاء جرونا اليه دون أن يحققوا لدولتهم غاية أو يتقوا الله فى أبناء هذا الوطن الذين اصبحوا بين عدوين من خلفهم عدو هو الطليان ومن أمامهم عدو هو الانجليز ، ولكنى عزمت الا اطاوعهم ولا انقاد الى عبثهم وسوف أرسل الى الذين خدعوهم من المجاهدين وساقوهم معهم الى الحدود المصرية الى العودة والا فهم عصاة ، ولن يريحوا وسيرى نورى وجعفر بعد ذلك ماذا يكون مصيرهم ؟

ولمـا انتهى السيد من ذلك قال لى : وانت ما الذى جاء بك فى هذه الظروف ولو ان مجيئك خفف عنى آلاما وأعباء ثقيلة كنت أشعر بها واظنك رأيت فرحتى بقدومك . وقلت له : اسمع منى يا سيدى . أظن سيادتك تعرف تماما انى انا الوحيد من المصريين الذين يعرفون حقيقة حالكم ، وما أنتم عليه ؛ فقال نعم نعم لا شك فى ذلك . ثم قلت وأعلم حالة الانجليز وما هم عليه ودرجة استعدادهم لمحاربتكم بعد ان بذلوا وما بذلوا ليتجنبوا حربكم ، قال نعم صبروا كثيرا وتحملوا كثير من لعب نورى وجعفر ، ثم قلت لسيادته : ان من يعرف كل هذا لا يخاطر هذه المخاطرة ويأتى اليكم الا اذا كان هناك ضرورة تدعو اليها وتهون معها كل مخاطرة ، فهز رأسه ثم قلت له : دعنى يا سيدى أتكلم عن الوضع الذى أصبحتم فيه أنتم شخصيا ، فأنصت ، فقلت لا أزيدك علما يا سيدى اذا قلت ان العالم الاسلامى كله ينظر اليكم ، اليوم نظرة اجلال واكبار بعد هذه المواقف الخالدة والجهاد المرير ضد الطليان ، وما أظهرته ليبيا من بطولة خارقة وايمان عريق أذهل الأعداء وأثلج صدور المؤمنين وأصبح اسمكم على كل لسان وذكركم فى العالم حديث الناس أجمعين ــ وأظنكم تعلمون علم اليقين ان مصر فى مقــدمة المحبين والمقدرين والمعجبين بكم وان على أيديكم سيكون نصر المسلمين ، وكما لا يخفى عليكم ان مصر ســـاهمت بالنصيب الوافر فى نجـــــاح الحرب فى برقة وقدمت كل ما استطاعت فى هــذا السبيل ، قال : ومن ينكر هذا ؟ والله لا ينكر ذلك الا كافر وهل **كنا نستطيع شيئا لولا نجــدة مصر وموقف مصر وعون مصر ؟** والله لولاها ما كنا شيئا ولا اســـتطعنا شيئا ــ قلت : عظيم مصر هذه تنتظر منكم أو هكذا جعلتها رعاية الدولة العثمانية أن تنتظر منكم المساهمة الجدية فى انهــاء الاحتلال الذى أصبح حماية وتخليصها من هذا البلاء ، ومصر على بكرة أبيها تنتظر **الفرج من الشرق** بقدم جيش على رأسه الخديو ، وتنتظر الفرج من الغرب بقدوم جيش أنتم على رأسه ويقوى هذا الأمل ويضاعفه تلك البطولة التى تجلت

فى كفاح عرب برقة ضد الطليان ، والذى بعث فى المصريين نارا تنتظر موقدا وحقدا مرا ضد الانجليز . ينتظر مخرجا لتساهم مع جيش الشرق والغرب فى ثورة داخلية تربك الانجليز وتشل حركتهم وهى تعد الأيام مترقبة هذا اليوم الذى ينفجر فيه مراجلها وتثار فيه لعزتها وكرامتها وحريتها من احتلال طال أمده وثقل حمله — وقلت : هل ما قلته يا سيدى واضح ، قال : نعم واضح وأنا منصت لكل كلمة تقولها ، قلت : مصر هذه يا سيدى التى يحدوها الأمل ويحفزها الرجاء لا تعرف قليلا ولا كثيرا مما انتم فيه من سوء حال وعبث العابثين ولاتعرف الا أن الغواصات الألمانية لا ينقطع مددها لجيشكم بالسلاح والعتاد والمؤن ليوم الهجوم ، وان خليفة المسلمين ودولته العلية لا تغفل ليلها ولا نهارها عن الحث لاستكمال هذا الاستمداد وارسال الضباط والجنود المدربين على استعمال الأسلحة الثقيلة هذه هى الدعاية أو ما ينسجه الخيال فى عقول المصريين والمتحمسين ليوم القتال .
فاذا جئت أنت اليوم **يا سيدى وأوقفت موقف المعارض لهذا الهجوم والمانع له والمتحدى** للشارعين فيه والذين فى استطاعتهم أو فى استطاعة دولتهم أن يملأوا الدنيا دعاية كلها كذب ، والدولة نفسها ربما كانت مخدوعة فى هذه الدعاية بسبب هؤلاء الضالين المضلين من رجالها الذين أوفدتهم اليكم اذ قالوا للعالم الاسلامى عامة ولمصر خاصة انظروا كيف وقف السـيد السنوسى معارضا **الهجوم على الانجليز** بعد ان أتممنا استعدادنا وهيأنا أنفسنا واتكلنا على السيد السنوسى فى العمل على انجاح الهجوم الكبير للجيش القـادم من الشرق فأفسـدة علينـا خطتنا التى تعبنـا فيها وانفقنا الشهور الطويلة فى تجهيزها ليبرئوا انفسهم بهذه الدعاية الخبيثة وليظهرونكم يا سيدى أمام العالمين **بموالاتكم للانجليز** والسعى لفشل الهجوم وخذلان مصر ، والله يعلم أنهم هم المجـرمون المضللون الكاذبون على الله والناس ولكن ما الحيلة بعد ذلك ؟

هذا ما أردت أن أوضحه لكم لتروا رأيكم فيه والله قادر على أن يلبسهم ثوب الخزى الذى نسجته أيديهم وان يطهركم تطهيرا وينصركم عليهم نصرا عزيزا ان شاء الله . ويشهد العالم وتشهد **مصر أنكم لم تقصروا فى سبيلها** وأنتم رغم الحرمان الشامل والعجز القاتل بذلتم **ما فوق الطاقة وحاربتم بالايمان الصادق واليقين الثابت وسالت دماء عرب برقة طاهرة زكية على أرض مصر ، وفاء لحقها واعترافا بفضلها ، ومساهمة فى خلاصها** — هـذا ما أراه وأوضحته صـادقا مخلصا والأمر اليكم فانظروا ماذا ترون .
فصمت السيد الامام مطرقا وطال صمته ثم رفع رأسه وقال « اللهم لا

حول ولاقوة الا بك والأمر اليك وأنت تعلم ما نحن فيه ، والله يا ولدى اننا اذا حاربنا قدمنا أبناءنا ضحية لالاعيب نورى وجعفر دون فائدة واما امتنعنا عن الحرب لحقنا عار ما ينشرونه كذبا وبهتانا وحملونا أمام العالم الاسلامى ومصر والمصريين وزر ما صنعته أيديهم الخبيثة ، هما امران أحلاهما مر « والى الله المشتكى فقلت : يا سيدى الامام لن يخذلك الله أبدا ، ولن تغلب والله ناصرك ، فتوكل على الله واقدم ، فقال : ان شاء الله .. اتركنى وعد الى بعد ساعة لأقول لك قرارى النهائى ولن يخرج ان شاء الله عن نصيحتك فقلت له : أرجو ان تسمحوا لى بأن أقضى هذه الساعة مع نورى أتكلم معه فيها وابين له ما وصلنا اليه . فقال حسن . تكلم معه وبين له فضائحهم . فخرجت من عند الامام على أن أعود اليه بعد ساعة .

مع نورى

وما أن خرجت من حضرة السيد حتى قابلنى من كان ينتظر خروجى من قبل نورى وقال : الباشا ينتظرك فى خيمته فأرجو أن تذهب اليه لأنه يريد مقابلتك ضرورى . فقصدت خيمة نورى ..

استقبلنى فى لهفة وشوق . وجلسنا ثم قال لى : « لقد طالت مقابلتك لسيدى احمد ، ان شاء الله خير ، « فقلت له ماذا تقصد من الخير ؟ قال : أقصد ان يكون قد اقتنع بالحركة . فقلت له : **وهل انا قادم لأقنعه** بذلك وهو أعلم منى ألف مرة بكل ما له علاقة بهذه الحركة وفائدتها أو عدم فائدتها ؟. قلت له دعنى يا باشا من اقناع السيد بالحركة وعدم الحركة **انا اريد ان اسالك بشرفك العسكرى . هل انت مقتنع بأن هذه الحركة وقد شرعتم فيها فعلا ستحقق الهدف الذى ترجوه منكم استامبول ؟..** وبشرفك العسكرى مرة ثانية هل تعتقد ان جيشا لا **يملك مئونة يومه** يستطيع ان يحقق شيئا .؟ أم انها مجرد حركة مدبوحة لتقولوا لاستامبول انكم تحركتم . ولكن بعد ذلك ما يكون ؟ فسكت وظهر الألم على وجهه وحركات يديه .. وعدت اقول له : اسمع يا باشا .. ان ما أقدمتم عليه لا يرضاه الله ولا ترضاه استامبول ولا يرضاه الضمير العسكرى ولا يخلد الا أسوأ الذكريات ، ولا يأتى الا بهزيمة محققة وفضيحة للدولة العثمانية وكارثة تنزل بهؤلاء المجاهدين وبلادهم التى تقابل عدوا « هو دولة من الست الدول الكبرى » هى ايطاليا . وبلادهم احوج ما تكون الى كل قطرة من دمائهم فى

سبيلها سوف تسيل هذه الدماء على أرض مصر دون أن تحقق شيئا يذكر ، وأنا قادم ومعى من معى من **جنود مصر وزعمائها وزعماء قبائلها** ، وأنا أعلم **انى قادم لاشترك** فى الموت مع هؤلاء **الذين تسوقونهم** الى الذبح ، ومن خلفى **آلاف من أولاد على والمرابطين ، وكلهم مستعد لأن يموت أيضا مع هؤلاء وهم** لا يملكون شيئا من السلاح يذكر ، ظنا منهم انهم سيجدون عندكم الكفاية منه . فهل يليق هذا باسم الدولة العلية ؟ فقال يا صالح بك هذا جهاد فى سبيل الله بأمر **الخليفة والدولة العلية نفسها يموت كل يوم من ابنائها الألوف** فى هــــذا السبيل ، **فماذا لو مات المسلمون فى حربهم مع أعداء الخلافة ؟** قلت . حسنا يموتون ويجب أن يموتوا على شرط أن يكون لهم فى موتهم مايعود بنفع على الخلافة ، وبشرط أن تستكمل الخلافة اعدادهم واستعدادهم .. ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**)) فاية قوة اعددتموها أنتم باسم الخلافة والخليفة ؟. وهل أبناؤكم فى تركيا يســـاقون للموت فى الميادين بغير تموين ولا تسليح ولا خدمات خلفية من أى نوع ؟ هل فى العالم الذى نعيش فيه اليوم يتقدم جيش الى الميدان على الصورة التى تدفعون بها هؤلاء المجاهدين الى القتـــــال ، والانجليز وأنتم تعلمون من هم وما استعدادهم ؟ لا ياباشا ؟ اسمح لى أن أقول لك هذا كلام أبعد ما يكون عن تقدير المسئولية ، أو تقدير الموقف وما سوف يترتب عليه من حركة فاشلة وهذه تجريدة لم يتوفر لها أى نوع مما يجب من التجهيز . ثم سكت ، فقال نورى ((فى الحقيقة ان وزارة الحربية ، بل الحكومة كلها فى استامبول مشغولة ومضطربة بالنسبة لهجوم الانجليز على الدردنيل وان كل مجهود الباشا ، ((يقصد اخاه أنور باشا)) متجه الى حمـــاية الدردنيل وحماية **استامبول** من أن يستولى عليها العدو لأن فى استيلائه عليها لا يبقى لتركيا الا التسليم هذه هى المشغولية التى لا تدع لهم تفكيرا فى ميـــدان آخر . فقلت له : وما ذنب السنوسى فى هذا ؟ فقال : أنا لا أقول ان عليه ذنبا . قلت : ((**اذن لماذا كنتم توجهون اليه اللوم . فى الماضى ؟ والآن وبعد أن شرعتم فى الحركة لازلتم تريدون تحميله مسئولية تأخير الحركة وعدم موافقته على الاشتراك فيها** ، وأنت لا تستطيع أن تنكر الآن ان له كل الصواب اذا رفض ان يتقدم لمحاربة عدو يعلم قوته وهو مجرد من كثير ؟ فقـــال لى يا صالح ((بك)) انت خدمت الحرب فى برقة خدمات عظيمة ((والباشا)) ((أنور باشا)) يذكرها لك فى كل مناسبة ويقول : لولا مجهودك ومجهود اخوانك الضباط المصريين لمـــا اســــتطاع أن يقف أمام الطليان ويحاربهم وينتصر عليهم .

والآن انا ارجوك والموقف كما ترى فى غاية الصعوبة .. واصرار السيد على عدم الحركة يعرضنا لمصيبة عظمى ويعرض القوات التى انحدرت الى الحدود المصرية الى أشد البلاء ، فارجوك « وقام ومسك يدى » أن تعمل كل ما يمكنك لتقنع السيد بأن يشترك معنا ونحن واثقون اننا ببركته سوف « نوفق » والحقيقة أنا الآن بين نارين : استامبول وقد كتبت لها كثيرا لأجل الاستعداد ولم تساعد كما يجب وتطلب منا ان نعمل شيئا نشغل به الانجليز قبل أن يدخل جمال مصر من الشرق. وعلمنا ان استامبول **صرفت النظر عن الخديو** ، وان نسبق جمـــالا اذا أمكن فى التسلل الى مصر « وعلمت فيما بعد المنافسة الشديدة التى كانت بين أنور باشا وجمال على **دخول مصر وهذه حكاية اخرى** ربما يأتى يومها كما تأتى حكاية **ابعـــاد الخديو عباس** عن قيادة جيش « الشرق » والنار الثانية هى غضب السيد وامتناعه عن الحركة ولا نعرف ماذا يكون مصيرنا . فأنا أمامك أقول انى حملت نفسى مالا طاقة لى به فكان الواجب على أن أعود فى **غواصـــة الى استامبول واقول للباشا انا لا استطيع ان اتحمل مسئولية حركة بغير** استعداد لها ، وان **السيد السنوسى له كل الحق فى أن يمتنع عن الحركة ،** ولكنى لم أفعل **وهذه غلطتى وغلطة كبرى سببت لى كل ما انا فيه ، والآن** ليس أمامى **غيرك ولا احد يصلح بينى وبين السيد سواك ، وانا مستعد أن اتقدم للسيد بكل أنواع الاعتذار واطلب عفره وصفحه** ، فاعمل معروف ــ وكررها فى حديثه مرة ومرات ــ اصلح بيننا لنعرف مصيرنا . فقلت له : سأعود اليه وحاول ، والله ولى التوفيق .

الامام يشترط

وخرجت من عنده وكان مضى أكثر من ساعة وبعث سيادة السيد الامام يدعونى اليه ، فدخلت وذكرت لسيادته كل ما دار بينى وبين نورى ، وقلت فى النهاية : والأمر اليك ولاأقول أكثر مما قلت ، غير اننا وصلنا الى حالة يجب أن نجعل لها حدا ، وكل ساعة تمر تجلب علينا الويلات .

وكان قد بلغ السيد فى الليلة الماضية ان قوة من **ســوارى الانجليز ارسلت لتتعقبنى** ومنها **الاميرالاى اسنو وفوجئت** بالكمين الذى اقمناه فى وادى ماجد واصطدموا به وكانت **خسائرهم كبيرة ، وقتل فى هذه المعركة** الاميرالاى اسنو وكانت خسائر المجاهدين قليلة .

عند ذلك قال لى سيادة السيد الامام « أنا سأقبل وساطتك فى الحركة ولكن بشرط أن يكتب نورى اقرارا بانى كنت على حق عنـــدما تشبثت بتأخير الحركة للعجز الشائن فى استعدادنا وها هم الآن قد تحركوا بغير اذنى وبدون أن يكملوا استعدادهم . وبعد ان يكتب هذا ويقدمه لى سأوافق على الحركة واشترك فيها مع علمى بفشلها ، والله المستعان وهو ولى التوفيق ، وبدون هذا الشرط لن أتحرك ، فاستأذنت من السيد وذهبت الى نورى وقلت له بالشرط الذى يطلبه السيد لكى يوافق على الحـركة ويشترك فيها فوافق وكتب ما أراده السيد وأخذته مع اقراره وتوجهنا الى السيد الامام ، وقبل رأسه ويديه وركبتيه ، واعتذر بكل كلمة عربية يعرفها ، وما كان من السيد الا أن قال : عفا الله عما سلف ، ونسأل الله أن يتقبل جهادنا ، وأن يكون فى سبيله وفى مرضاته . وغدا أن شاء الله نتوكل على الله ونبدأ حركتنا ــ ولا تسل يا سيدى القارىء عن سرورى بهذه النتيجة . وما سمعها المعسكر حتى دوت زغاريد النساء وفرحة المجاهدين التى لا توصف لأن التوتر الذى كانوا فيه كان على أشده . وأقض المضاجع وشرد النوم وصير الحياة جحيما فى المعسكر واشتغل بعد ذلك كل انسان بتجهيز نفسه وفى الصباح الباكر وبعد الصلاة جماعة ، والدعاء والتوسل، يممنا شطر الحدود المصرية لتلقى العدو « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وباسم الله والله أكبر فقد بدأت الحرب فى سبيل الله ومصر .

لا شك ان السادة القراء سيتساءلون كيف استطاع الجيش السنوسى أن يحارب بغير تموين ؟ نعم . وجد الجيش تموينه ولكن كيف وأين وجده ؟ جرت عادة العرب فى صحراء مصر الغربية أن يختزنوا جزءا من محصول عامهم من الشعير ليكون تقاويا للعام المقبل ولحسن الحظ كانت الســنة خصبة والمطر غزير والشعير المخزون منه وافر وقررنا قبل حركة القسم الكلى من الجيش السنوسى الباسل من السلوم الى حدود مصر ــ أقول الجيش الباسل بحق . الجيش الذى كان صورة صادقة ناطقة لما قرأنا عن المجاهدين فى المصدر الأول من الاسلام الذين جاهدوا لحماية العقيدة من اعدائها وفتحوا ما فتحوا . الجيش الذى وصف رجاله حينــذاك بأنهم يرغبون فى الموت رغبة أعدائهم فى الحياة هم هؤلاء المجاهدين من قبائل برقة. والذين يتكون منهم الجيش السنوسى والذين امتحنوا الصبر ولم يمتحنهم وآمن بهم الايمان بعد أن آمنوا به فرضى الله عن شهدائهم واجزال الثواب للاحياء منهم .

رأينا أن يسبق حركة الجيش خطاب يقوم به مخصوص على عجل يكتبه نورى باشا الى جعفر باشا يطلب فيه أن يتفق مع عرب أولاد علي والمرابطين لكى يقدموا ما يلزم لتموين الجيش بطريقة منظمة بحيث يبقى لديهم ما يلزمهم من التقاوى وان تعطى لهم ايصالات بقيمة ما يؤخذ منهم للمحاسبة عليه فى المستقبل وفعلا تم تنظيم التموين على هذه الصورة واو أنه لم يبق التموين على شيء من التقاوى ولكن العرب الكرام رفضوا فى اباء أن يأخذوا ايصالات بما يقدمونه من الشعير أو الماشية وقالوا هذا حق الله نقدمه لأبناء عمومتنا المجاهدين الذين جاءوا لنصرتنا فهم ضيوفنا ما داموا فى أرض مصر وسنحارب معا ونقتسم اللقمةالواحدة معا والله لا نأخذ ايصالا على ما نقدمه فى سبيل الله والوطن . ومن باع نفسه فى سبيلهما لا يبخل بعرض الدنيا الفانية . هؤلاء الأمجاد هم عمد ومشايخ وشيوخ زوايا زعماء القبائل وعقلائها قبض الانكليز على كثير منهم بعد معركة العقاقير وحاكموهم وحكم عليهم بالاشغال الشاقة لاشتراكهم فى الحرب وزجوا فى ايمانى طرة وأبو زعبل مكبلين بالأغلال ولم يرحموا حتى الشيوخ منهم ولكنهم صبروا صبر الكرام على الأذى والأشغال الشاقة ولم يخرجهم من العذاب الا صدور العفو الشامل فى سنة ١٩٢٣ . هؤلاء هم الجنود المجهولون الذين لا تعرف مصر عنهم شيئا والذين جاهدوا فى الله والوطن حق الجهاد ونزل بهم ما نزل فلم يضجوا مما أصابهم كما لم يباهو ولم يفاخروا ولم يقولوا قدمنا وبذلنا وضحينا وخسرنا بل سكتوا سكوت المؤمنين راضين مطمئنين لرضاء الله عنهم واحتسبوا كل ما فعلوا عند رب العالمين وهكذا يكون الجهاد فى الله والله فى الوطن وللوطن ونعم أجرالصابرين. هذا ما انتهى اليه نظام التموين فى المنطقة الساحلية .

ولكن بعد أن استمرت الحرب مع الانجليز فى المنطقة الشمالية مدة رئى بعد عقد مجلس حرب وجوب قيام قوة الى الجنوب من اربعة آلاف مقاتل لتشغل الواحات وعينت قائدا عليها ــ وبعد أن وصلنا الى واحة سيوة زحفنا وشغلنا الواحات البحرية والفرافرة والداخلة . أما الواحاتالخارجة والداخلة فان الانجليز بمجرد أن علموا بتقدمنا الى الواحات أسرعوا واحتلوا الخارجة ولم نجد صعوبة فى تأمين تموين القوة التى شغلت الواحات لوجود البلح بكثرة فى سيوية والبحرية وأما الداخلة فقد قدمت البلح وغيره مما تزرعه واظهر سكان الواحات من علو الهمة وسخاء النفوس شيئا كبيرا . أما واحة سيوة فقد قدمت مع التموين كتيبة من أبنائها كانوا رجالا ونعم الرجال فى الوقت العصيب وشدة البأس . أجزل الله ثواب الجميع فى الدارين .

الفصل الثامن
كيفية انضمام قوة مطروح
للجيش التركى الليبى

بقلم العميد محمود عبد الواحد على

فى شهر يونيو سـنة ١٩١٥ أمر الأميرالاى استويك بدعوة ضـباط من برانى وبقبق والسلوم للحضور لمطروح لمقـابلته • فحادثهم اليوزباشى/محمد صالح افندى وطلب حضورهم فلبوا الأمر وحضروا •

وكان من حضر من السلوم الملازم أول/محمود لبيب والملازم/محمـد حمدى ومن برانى الملازم اول/ذهنى وابراهيم على عوض والملازم أول/أبوزيد مقلد ومن الضبعة اليوزباشى/أحمد أبو شادى ، ومن مطروح اليوزباشى/محمد صالح حرب والملازم أول/عبد الحليم حمدى والملازم ثانى/محمود عبد الواحد •

وكان اجتماعنا مع استويك للتنبيه علينا بما يجب عمله حالة اعلان الحرب على تركيا • وقال يجب على كل ضابط اتباع الأوامر بدقة والحصول على أكبر معلومات من العربان على تحركات الجيش الليبى كما يجب على ضباط السلوم خصوصا الانتبـاه كثيرا لتحركات الأتراك والسنوسيين بالسلوم •

وبعـد الانتهـاء من سماع تعليمات الأميرالاى استويك ذهبنـا لمنزل اليوزباشى محمد افندى صالح للغذاء • وبعد تناول الغـذاء انتقلنـا الى الحديقة الموجودة بحرى القسم وجلسنا على الرمل النظيف الموجود بها — وهناك قال اليوزباشى/محمد صالح أفندى — اخوانى الضباط لقد سمعتم ما قاله الأميرالاى استو بى وسأبوح لكم بسرى وارجو أن تحافظوا عليه ولا تبيحوا به لأى مخلوق وانتم تعلمون ما الاقيه من العطف والرعاية من الرؤساء الانجليز (لقد عزمت بمشيئة الله على الانضمام للجيش التركى حينما تحين الفرصة لى فمن كان منكم على استعداد للانضمام للجيش التركى فليبادر حينما تحين له الفرصة من قسمه بدون انتظار الآخرين • فقلنا جميعا نحن على اتم استعداد فى الوقت اللازم ، ثم حلفنا جميعا على المصحف بالا نبوح بهذا السر ابدا وان ننضم للجيش الليبى التركى عندما تعلن تركيا الحرب على الانجليز — وسافر كل منهم لمقر عمله •

أعلنت تركيا الحرب على انجلترا والانضمام لالمانيا وبدأت تحرشـات الجيش التركى بالسلوم على قوات يفيق وبرانى وقتلت عسـكريا مصريا وبعض الهجن .

وفى يوم ١٩١٥/١١/١٢ انضم الملازم أول/محمـــود لبيب وفى يوم ١٠١٥/١١/١٣ انضـــم الملازم ثانى/ابراهيم على عوض للجيش التركى بالسلوم .

وفى يوم ١٩١٥/١١/١٤ تقابل اليوزباشى محمد أفندى صالح حرب مع الاميرالاى استوبك مدير ادارة السواحل الغربية وضابط المخابرات الصاغ تويدى وقال لهم ماذا أنتم فاعلون بعد هجوم الترك على قسم برانى هل ننتظر فى بيوتنا حتى يهجموا على قسم مطروح فسأله تويدى وما الذى تراه فطلب منهم السماح له بأن يقوم بقوته الموجودة بمطروح للاستكشاف حول مطروح قبل أن نفاجأ بالجيش التركى وهو هاجم على مطروح ونحن فى عقر دارنا فوافق الانجليز على ذلك .

وفى الساعة الثالثة مساء طلبنى القومندان اليوزباشى محمـد صالح حرب أفندى الحضور لمنزله فذهبت ووجدته والملازم أول/عبد الحميـد حمدى بالمنزل وأمرنى بالقيام فورا واستصحاب الكاتب محمد افندى على كاتب مركز مطروح وعمل جرد للخزينـة وعمل محضر لها ووضع الدفتر داخل المخزنة والتحايل على الكاتب لأخذ المفتاح منه .

وعليه قد نفذت الأمر واستصحبت الكاتب للمركز وجردنا الخزينـة ووجدنا بها ٢٠٠٠ (ألفين جنيه) ذهبا ، ٢٣٥٠ جنيه فضه ونيكل وبعد أن انتهينا من الجرد ووضعنا الدفتر بالخزينة قفلنا الخزنة واخذت المفتاح من الكاتب فسألنى الكاتب عن سبب أخذ المفتاح فقلت له انه منظورهجوم الترك ليلا على مطروح والأوامر أنه من الليلة سيبيت جميع الموظفين الملكيين بالطابية البحرية حفظا على حياتهم وأخذ المفتاح هو بأمر حضرة القومندان اذ ربما يطلب سعادة استوبك نقودا من الخزينة فشكرنى وانصرف لمنزله .

ثم طلبت كاتب العهدة والمخازن السيد أفندى فهمى وأخذت منـه مفاتيح المخازن وأمرته أيضا بالمبيت بالطابية البحرية حيث منظور الهجوم على القسم ليلا .

وفى الساعة السادسة مساء أمر القومندان محمد أفندى صالح حرب يعمل شدة للقوة وعلى أخذ جميع الجبخانة من المخزن ونقلها للاسطبل . فنفذت ذلك فى الحال حال الاستعداد القصوى للسفر كان الجـو باردا وممطرا والظلام شديد فطلبت من الضابط الانجليزى الصاغ تويدى بأن يأمر بارسال سيارتين لتسلط فورها على القوة متى تتم الشدة . وبعد الشدة أرسلت اثنين من عساكر الهجانة لاحضار عفش الكاتب عثمان حسن الدرعى الذى طلب أن يرافقنا فنفذوا الأمر واحضروا عفش الكاتب وحضر معهم الكاتب .

وفى الساعة الثامنة مساء صدر لنا الأمر بالرحيل والانتظار شرق القسم فى تين عطيوه فرحلنا وانتظرنا بالتين . وفى الساعة الثامنة والنصف حضر القومندان محمد صالح الذى تأخر بمنزله لاستقبال الضـباط الانجليز الذين وصلوا من السلوم وبرانى لتناول العشـاء معه – ثم أمر بأن نبق فى مكاننا ، وانتظاره حتى يعود ثم ذهب على حصانه بمفرده وبعد قليل عاد ومعه الشيخ فرح ابو زهاويج عمدة مطروح على حصان آخر .

وفى الساعة ٨٫٤٥ مساء تحركنا على بركة الله وبدانا المسير متجهين للشرق وبعد مسيرة ساعة غيرنا اتجاهنا للجهة القبلية وبعد نصف ساعة اتجهنا للغرب وسرنا لغاية الساعة الثانية عشر ليلا ثم أمرنا بالمبيت .

استيقظنا عند الفجر استعدادا للرحيل وبعد صلاة الفجر شـددنا الهجين وبعد انتهائنا من الشدة أعطيت التمام للقومندان . فحضر ووقف امام القوة وقال بسم الله الرحمن الرحيم ربنا عليك توكلنا واليك أنبنـا واليك المصير .

وقال أيها الاخوان لقد عزمت الآن على الانضمام للقوة التركية بالسلوم وترك الديار المصرية ومحاربة الانجليز ونحن الآن على مقربة من مطروح وانا أعرف ان منكم من عنده أعما لاتحتم عليه الوجود لمباشرتها ومنكم من له الأهل والولد وليس لهم معينا غيره فمن أراد منكم العودة لمطروح فليس عليه من بأس ولا يريد منه الا سلاحه وليتفضل بالعودة فى أمان من الله ، فقالوا جميعا نحن معك وأرواحنا فداء للوطن فسألهم مرة أخرى واحدا واحدا فكان جواب كل منهم نحن فداء الوطن . وبعدها وقف أمام القوة ونادى بأعلا صوته الله أكبر . الله أكبر . الله أكبر . والحمد لله سيروا على بركة الله .

ثم توجهنا غربا وكنا كلما مررنا على نجع من نجوع العرب تسارعوا لمقابلتنا وكان العمدة فرح أبو زهاويح يعرفهم ففرحنا بهم وكانوا يرحلون خلفنا وينضموا الينا .

ثم تقابلنا بالطريق مع الشيخ حميده العاصى والشيخ عبد الكريم العاصى عمدة السلوم ولما علموا بفرضنا عادوا وانضموا الينا ووقفنا فى النجيلة .

واستمرينا فى ثانى يوم حتى وصلنا قسم برانى فوجدنا بها قوة تركية وبعض الضباط الترك تحت رئاسة اللواء جعفر باشا العسكرى وقابلنا من الضباط المصريين اليوزباشى أبو زيد مقلد والملازم أول أمين ذهنى وكاتب القسم احمد كامل حنفى وناظر المدرسة الشيخ عبد الله اسماعيل وعمدة برانى الشيخ سعيد الحطيان وبعض مشايخ القبائل وبتنا ببرانى . ثم قمنا فى الصباح واتجهنا للغرب حتى وصلنا لنقطة بقبق ومكثنا بها يوما لشدة المطر — ثم قمنا من بقبق فوصلنا السلوم قبل الغروب بقليل ووجدنا الضابط محمود لبيب والضابط ابراهيم على عوض ووجدنا فى انتظارنا ضابط من معية السيد احمد الشريف ومعه خطابا يطلب فيه السيد أحمد الشريف المبيت بالسلوم والطلوع لمساعد باكر صباحا .

وفى الساعة الثامنة صباحا صعدنا الجبل فوجدنا فى استقبالنا القائد التركى نورى باشا وبرافقته الدكتور السيد الدسوقى والضباط المصرى محمد حمدى ورحبوا بنا وامرونا بالانتظار لغاية الساعة ٩٫٣٠ صباحا . تحركنا وسار أمامنا القائد التركى وبجواره اليوزباشى محمد صالح حرب ولما اقتربنا من المعسكر وجدنا ان الجيش فى حالة استعداد لمقابلتنا والموسيقى تصدح بالسلام السلطانى واستمرينا سائرين حتى وصلنا أمام خيمة السيد أحمد الشريف السنوسى الذى خرج مسرورا واستقبلنا وسلم بيده على كل أفراد القوة من ضباط وصف وعسكر وحمد الله لسلامتنا وأمر بأن تنزل القوات المصرية وتعسكر بجواره وكان وصولنا يوم ١٩١٥/١٢/٣ .

وفى الساعة الثالثة مساء أحضروا لنا الطعام وكان مكونا من الأرز واللحمة فقط ، وفى حالة تناولنا الأكل قال الملازم ابراهيم عوض الأكل هنا قسمة ونصيب وقال يجب أن تأكلوا جيدا ربما لا تجدون باكر

ما تألون . فضحكنا على قوله وحسبناها نكتة منه ، ولكن ما قاله كان هو عين الحقيقة وهو الواقع وكنا بخير يوما ما نأكل وأياما بدون أكل الا النذر اليسير . وكانت والله الحمد النية صادقة والنفس راضية ولم نندم يوما من الأيام على ما فعلنا أو مما كنا نلاقيه من الشـدة والجوع والعطش ثم العراء .

سفر السيد أحمد الشريف لتركيا بالغواصة واختياره اللواء محمد صالح حرب لمرافقته (١)

لما مات السلطان محمد رشاد وخلفه السلطان وحيد الدين سلطانا لتركيا .كانت العبارة المألوفة أن يقوم رئيس الطريقة الظافرية بتقليـده ، السيف والنيشان فى جامع السلطان أيوب .

ولما كان فى هذا الوقت شيخ الطريقة الظافرية غير موجود باستانبول بل كان موجودا بمصر . فاستقر الرأى علـى اسـتدعاء شيخ الطريقة السنوسية للقيام بذلك .

واستدعى السيد أحمد الشريف الى تركيا لتقليد السلطان وحيد الدين السيف والنيشان فسافر بالغواصة ووقع اختياره للواء محمد صالح حرب لشجاعته ووطنيته للسفر معه فسافروا بالغواصة وعند وصولهم لميناء بولا بيوغوسلافية أعلن انتهاء الحرب العالمية الأولى . وقد تمكنوا من السفر لاستانبول وقام السيد أحمد الشريف بالمهمة ولما احتل الجيش الانجليزى استانبول هربوا الى أنقرة وهناك التحق اللواء محمد صالح حرب بمدرسة اركان حرب التركية ثم شارك زعيم تركيا الراحل كمال ضـد اليونان ودحرهم ورقى الى رتبة القائمقام فى هذه المعركة بالجيش التركى وبقى بتركيا الى أن أمر صاحب الدولة سعد باشا له بالعودة لمصر . وانتخب مرتين بمجلس النواب ثم عين وكيلا لمصلحة السجون برتبة الامبرالاى ثم مديرا لمصلحة السواحل والمصايد ثم وزيرا للحربية فى وزارة على ماهر ثم رئيسا لجمعيات الشبان المسلمين الى آخر أيام حياته .

وصول السيد عبد الستار الباسل لسيوه

فى حالة احتلالنا للواحات الداخلة والبحرية والفرافرة وصل لسيوه مبعوثا من الانجليز عبد الستار بك الباسل ومعه خطاب من الانجليز لا نعلم محتوياته وطلبوا من وكيل السيد احمد المدعو الشيخ محمد الزوى مقابلتهم

(١) مذكرات العميد محمود عبد الواحد على (قدمها لى مشكورا بخط يده) .

مع السيد أحمد الشريف فابقاهم بسيوة وأرسل الخطاب للسيد احمد بالواحات الداخلة فكان رد السيد أحمد ارسال عبد الستار بك ومن معه لجغبوب على أن يبقوا بها تحت الحراسة لحين عودة السيد احمد لسيوه . ولما وصلنا سيوة بعد اخلاء الواحات ارسل سيادته من أحضرهم من الجغبوب وتقابل معهم . ويظهر انه لم تعجبه مقابلتهم فأراد أن يعيدهم الى الجغبوب وكان الوفد مقيما بمعسكر المصريين فى ضيافتنا .

ولما سمعنا بهذا الخبر اجتمع جميع الضباط المصريون وذهبنا وقابلنا اللواء محمد صالح حرب وطلبنا من أن يستأذن لنا من السيد احمد بمقابلته لنرجوه للسماح لعبد الستار بك ومن معه بالرحيل الى القطر المصرى حيث ليس هناك داع لترحيلهم الى الجغبوب والجيش على أهبة الاستعداد للرحيل لليبيا وترك الحدود المصرية .

فأبلغنا صالح باشا بانه سيذهب ويقابل السيد احمد ويرجوه فى ذلك

ولما عاد بعد المقابلة أبلغنا بانه شرح للسيد احمد مطلبنا ووافق على سفرهم لمصر فابلغناهم ذلك ففرحوا شدة الفرح وعزموا على السفر ثانى يوم .

ولما كان سيادة اللواء يخشى عليهم أن يحصل لهم اى أذى أو تعدى عليهم بالطريق فقد أمرنى أن أقوم ومعى دليل وثلاثة عسكر بمرافقتهم لغاية جاره أم الصغير وبعدها بمرحلتين وقد تطلت الأمر ورافقتهم وسهرت على راحتهم حتى ابتعدوا من واحة جاره ــ أم الصغير بيومين ثم فى صباح اليوم الثالث ودعتهم وعدت بمن معى من العسكر والدليل لجاره أم الصغير ثم لسيوه والحمد لله .

مقتل الدكتور دسوقي والضابط عبد القادر طراف ظلما وعدوانا

كانت القيادة العامة للجيوش الليبية والطرابليسية تحت رياسة نورى باشا شقيق انور باشا وزير دفاع تركيا وكان حاكم مسراطة الزعيم رمضان باشا الشنيوى وما جاورها وكن له السلطة المكلفة على البلاد الواقعة غرب مسراطة وشرقا لغاية مدينة سرت .

وفى الحقيقة كانت له مواقع حربية كبيرة مع الطليان وكلها كانت نصرا له ولكنه كان على خلاف مع السادة السنوسيين لغرض فى نفسه وكان يطمع أن يكون حاكما عاما على البلاد الليبية والطرابلسية بعد رحيل الأتراك وكان يخشى أن يمتد نفوذ السنوسيين على البلاد الواقعة تحت أمرته خصوصا وان بعض هذه البلاد كان يخضع للنفوذ السنوسي من سنين كثيرة وبها

زوايا انشأها السيد المرحوم محمد على السنوسى وكان من رأى رمضان الشيوى عدم اقتراب السيد أحمد الشريف من سرت حتى لا يصير احتكاكا بينهما ولم يوافق نورى باشا على رأيه — وأشار بأن يجمع بين السيد احمد الشريف وبين رمضان الشتيوى ويزيل ما بينهما ويصفى نفوسهما خصوصا وان السيد أحمد الشريف لا يريد ملكا فوافق رمضان الشتيوى على ذلك ولكنه توخى فى نفسه الغدر والخيانة فى هذا الوقت كانت الجيوش الليبية التى كانت محتلة الواحات الداخلة والخارجة والفرافرة وسيوه تحت قيادة اللواء محمد صالح باشا حرب وتحت رئاسة السيد احمد الشريف وقد صدر الأمر اليها بالانسحاب خارج الحدود المصرية وبالفعل انسحبت الجيوش وبعد وصوله سيوة — توجه غربا الى أن وصل الى بلدة هون بولاية فزان وواقعة قبلى بلدة سرت على البحر الأبيض المتوسط وسبق أن قلنا ان رمضان الشتيوى وافق على نزول السيد احمد الشريف الى منطقة بير سلطان على البحر شرق سرت وعليه أرسل نورى باشا حملة وارسلها للسيد احمد الشريف تحت رئاسة الدكتور السيد الدسوقى ومعه خطابا للسيد احمد الشريف يطلب فيه النزول من هون الى بير سلطان حتى يتمكن نورى باشا من اعاشة الجيش وتموينه بالذخيرة وما يلزم وقد وافق السيد احمد الشريف بالانتقال لبير سلطان وعاد الدكتور دسوقى لمسراطه مستصحبا معه البكباشى احمد محمد منصور والصاغ عبد القادر طراف وقام الجيش من هون الى بير سلطان — وبوصولنا أمرنى السيد احمد الشريف بأن قوم وأتوجه لبلدة سرت وابلغ القيادة العامة بوصول السيد احمد ومن معه لبير سلطان وفعلا قمت وأبلغت القيادة العامة وأبلغتها أمر السيد احمد الشريف . وابلغونى ان الدكتور دسوقى ومن معه وصلا لمسراطة وانه يجهز جميع ما يلزم بأسرع ما يمكن ويرسلها للسيد احمد . وان نورى باشا عازم على زيارة السيد احمد فى معسكره وعدت وأبلغت السيد احمد بما كان .

وعليه جهز نورى باشا حملة كبيرة من عدة وعتاد وملابس ونقود وأرسلها تحت رياسة الدكتور المرحوم السيد الدسوقى وبرفقته بعض العساكر المصريين وبعضهم من عرب مسراطة الذين يدينون بالطاعة العمياء لرمضان الشتيوى وقامت الحملة متوجه لجهة بير سلطان وبعد ان سارت يومين وحال مرورهم على وادى زمزم انقض عليهم عساكر مسراطة وغدروا بهم وقتلوهم جميعا وعادوا بالحملة الى مسراطة سرا وطبعا كان ذلك كله بايعاز وعلم رمضان الشتيوى .

وصل الخبر للسيد احمد الشريف فزعل وغضب جميع المصريين المرافقين للسيد احمد الشريف وأراد المصريون أن يقوموا بالهجوم على قوات السويحلى الموجودة بسرت على بعد يوم ونصف من بير سلطان ولكن السيد أحمد لم يوافق على الاشتباك مع قوات مسلمة ليس لها من الأمر شيء وارسل خطابا لنورى باشا يلومه على ما حصل فرد عليه نورى باشا بأن المعتدين قطاع طرق وجارى البحث عنهم وعند القبض عليهم سيعاقبون أشد العقاب وانه قام بنقل رفاة المرحوم السيد الدسوقى ومن معه من المصريين لمسراطة ودفنهم بها انه سيرسل حملة أخرى فى أقرب وقت تحت رياسة الصاغ عبد القادر طراف وانه مسئول عن سلامتها الى ان تصل اليه

وفعلا قامت الحملة برياسة عبد القادر طراف ومعه بعض العساكر المصريين وعساكر من مسراطة ولكن للاسف لما وصلوا لوادى زمزم حصل لهم ما حصل لحملة الدكتور دسوقى واعدموا عن آخرهم ظلما وعدوانا ونقل المعتدى عليهم ودفنوا بمسراطة مبكيا عليهم .

فما كان من نورى باشا الا أن جهز حملة ثالثة واكبر من الحملتين السابقتين وأمر عليها الضابط احمد محمد منصور وامده ببعض العساكر المصريين الذين كانوا بمعية نورى باشا وبعض العساكر الأتراك وكان عددهم خمسة عشر حارسا . وبعد أن سار الضابط احمد منصور يوما خالف الطريق الأول وتوعر فى الصحراء داخل الوديان والجبال واستمر ليلا ونهارا حتى وصل الى بلدة سرت وارسل من يبلغ بوصوله فصدر الأمر الى بأخذ قوة من المصريين والمغاربة ومقابلتهم والمحافظة عليهم وبالفعل قمت ومعى القوة من المعسكر ليلا حتى وصلت فى تالى يوم لسرت ورحبت بهم وعدت معهم لبير سلطان وبوصولنا للمعسكر قابلهم السيد احمد الشريف والقائد اللواء محمد صالح حرب وهنأهم بالوصول سالمين .

ولايحيق المكر السيء الا بأهله

الانتقام من رمضان الشتيوى

بعد انتهاء الحرب العمومية سنة ١٩١٨ سافرت القوات التركية وبعض المصريين الذين كانوا بمسراطة رأى رمضان الشتيوى ان الوقت قد حان للتخلص من خصومه ومنافسيه الذين كانوا ينافسونه واحدا بعد الآخر وبعد أن سافر منافسه الكبير السيد احمد الشريف للاستانة .

فعقد هدنة بينه وبين الشيخ احمد المريض زعيم ترهونة حتى يأمن شره الى أن يخلص من الشيخ عبد النبى أبو الخير زعيم ارفله .

وأخيرا جهز جيشا قوامه خمســـة آلاف مجاهد سرا من العرب والمنتمين اليه وعزم على مهاجمة أورفله أولا لأنها أقل قوة وبأسا من قوة ترهونة وصدر الهجوم عليها فى يوم العيد الأكبر لتى يكون الناس مشغولين باقامة شعائر الدين وقد سبق خبر عزمه وميعاد هجومه للشيخ عبد النبى أبو الخير شيخ قبائل أورفله فقام عبد النبى أبو الخير فى الحال بتجهيز قبائله سرا ووزعها حول بلاده وردم كل آبار المياه الموجودة فى الطريق الموصل الى أورفله والموجودة خارج البلد واستعد استعدادا كاملا .

وخرج رمضان السويحلى بجيشه واتجه من مسراطة لجهة سرت حتى لا يعرف أحد الجهة التى يريدها ويقصدها وبعد مسيرة يوم ونصف حول اتجاهه الى أورفله وعندما وصل بالقرب منها وجد جميع الآبار مردومة فعمل على اعادة حفرها حتى لا يموت جيشه عطشا ولمـا بدأ فى حفر الآبار فاجأته قوة أورفلة وهجمت على جيشه وأصلته نارا حاميـة وكان أول المقتولين رمضان الشتيوى ومعه ياوره الضابط المصرى ابراهيم على عوض والجاويش داود السودانى وكانا رحمهما الله من خيرة القوات المصرية .

ولمـا شاع قتل رمضان الشتيوى تشتت جيشـــه وهرب كل منهم للنجاة بنفسه وذهب رمضان السويحلى الشتيوى حيث يلقى ربه ليحاسبه على ما جنت يداه خصوصا مع مولانا السيد احمد الشريف السنوسى وقتل الدكتور السيد الدسوقى وعبد القادر طراف وما ربك بظلام للعبيد .

كيف عدنا سنة ١٩٢٤

على أثر تشكيل وزارة المرحوم صاحب الدولة سعد زغلول باشا على اثر الانتخابات البرلمانية التى تمت فى سنة ١٩٢٣ وانتهت بفوز الوفـد بأغلبية ساحقة أعلن دولة سعد باشا فى الصحف انه يسعده سماع شكاوى وتظلمات المواطنين وان ابوابه مفتوحة فى كل يوم من الساعة الرابعة مساء حتى الثامنة لسماع ما يقدم اليه فى هذا الشأن فتزاحم القاصدون اليه لبحث شكواهم حتى ازدحمت وزارة الداخليـة وما حولهـا من طرقات وشوارع حتى ميدان باب اللوق . لمـا قرأ شقيقى الأستاذ محمد عبد الراحد اعلان صاحب الدولة سعد زغلول أعلن بالجرائد انه يرغب فى الاجتماع مع أقارب وأهالى الضباط والعساكر الموجودين خارج القطر والذين خرجوا سنة ١٩١٥ مع اليوزباشى محمد صالح حرب وحدد موعدا للاجتماع بمكتب المرحوم الأستاذ محمد بك أبو شادى وبالفعل حضر للمكتب بعض أقارب

المذكورين وتوجهوا لمقابلة صاحب الدولة سعد باشا زغلول رئيس مجلس الوزراء ونظرا للازدحام الشديد والضغط على الأبواب لجأوا الى المرحوم على باشا الشمسى عضو الوفد وعضو البرلمان الذى سهل لهم الوصول الى مكتب الرئيس وهناك بادرهم دولته بالسؤال عن شكواهم فقالوا انهم أقارب الضباط والعساكر الذين خرجوا فى سنة ١٩١٥ مع اليوزباشى محمد صالح وانهم يريدون التصريح هم بالعودة قال دولته ارسلوا اليهم ليعودوا فورا فردوا عليه كيف ترسل لهم قبه أن يصدر عفو عنهم أو على الأقل تصريح رسمى للسماح لهم بالعودة من رئيس الحكومة لأنه محكوم عليهم بالاعدام فأجاب الرئيس انا رئيس الحكومة ولن يصب احدهم ضررا فى وجودى وأنا المسئول عنهم وبلاش كلام كثير اخرجوا وأرسلوا اليهم ونفذوا ما أقول ـ فخرجو من عنده وهم لا يصدقون ما سمعوه فسألوا فى ذلك سعادة على الشمسى باشا فقال ان كلام الرئيس جد ولا هزل فيه وأسرعوا بارسال تلغرافات اليهم ليعودوا وبالفعل ارسل شقيقى محمد عبد الواحد المحامى تلغرافا الى الشيخ حسن أبو عوض الاسكندرانى والتاجر بسيوة والذى كان واسطة الاتصال بينى وبين أهلى فى ارسال نقود أو غيرها مما كنت أطلبه منهم وفى أواخر شهر مايو وصلنى التغراف من مصر بالسماح لنا بالعودة لمصر مع العسكرى الهجانة المصرى على زين العابدين وكنت بجهة البريقة غرب بنى غازى بعد أن انتهت موقعة البريقة التى انهزم فيها الجيش الطليانى شر انهزام وبعد قراءة التلغراف قررت السفر لمصر وقمت من البريقة الى حالو وانضم الى اليوزباشى احمد أبو شادى والكاتب عثمان الدرعى وجميع الصف والعساكر الهجانة المصريين وبعض التجار المصريين الذين كانوا بالسلوم وانضموا الينا حال انضمامنا للجيش التركى السنوسى وهم على الجراية ومحمد اسكاتمى والشيخ مصطفى الغربانى وأخيه حسين الغربانى وكلهم من أهالى بنى غازى وبعد أن تجهزنا للسفر لواحة جالو توكلنا على الله ورحلنا متجهين لسيوة وبعد مسيرة عشرة أيام بالصحراء وصلنا بحمد الله لسيوة وتقابلنا مع مأمور المركز الصاغ على عبد الوهاب وبعد ان رحب بنا واكرمنا وابلغنا بان اسماؤنا مقيدة عنده بالقائمة السوداء وانه لم يصله أى خبر وتصريح يبيح لنا الوصول لمصر أو برفع اسماءنا من القائمة السوداء . وأمرنا بالابتعاد عن سيوة بجهة قصر سعيد الموجود قبلى سيوة حتى يراسل وزارة الداخلية وأخذ يراسل وزارة الداخلية للاستعلام عن جلية الأمر وعما يفعله نحونا وكثرت مكاتباته بدون أن يلق أى رد وكنا أرسلنا تلغرافات لأهلنا بوصولنا للحدود المصرية ومنعنا من دخولها ولما علم الأهل وشقيقى محمد عبد الواحد بالأمر ذهب للاقاة على الشمسى باشا

واطلعه على ما حصل فاستمهله يوما حتى يلتقى بالمرحوم صاحب الدولة سعد زغلول باشا ويبلغه بما كان ويتلقى منه الأوامر ثم رد عليهم بانه ابلغ سعد باشا بما كان فهاج سعد باشا وسأل عن المكاتبات الواردة من سيوة فى هذا الشأن فعلم انها كلها محتجزة فى مكتب وكيل الوزارة وكان معروفا بميوله للانجليز فعنفه بشدة وقال له انا رئيس الحكومة والوزير المسئول ولا بد ان يعرض على كل شيء فى وقته بدون تأخير وحتى يفوت على مثل ذلك الوكيل افراضه الدنيئة وحتى يسهل الامر لجميع الضباط والعساكر اصدر أمرا كتابيا الى جميع جهات الحدود والسواحل المصرية والموانى بان يسمح لكل قادم من هؤلاء الضباط والجنود بالدخول فورا بدون حجز وان يسهل لهم الوصـــول الى بلادهم والى أماكنهم التى يريدونها على نفقة الحكومة وتنفيذ أوامر وزارة الداخلية .

وبمجرد وصول الأمر ليسوة أبلغنا المأمور وصرح لنا بالدخول لسيوة والانتظار لعمل اللازم لترتيبات للسفر من سيوة .

وثالث يوم وصلت السيارات ونقلتنا من سيوة لمطروح وبتنا فيهـا وأكرم وفادتنا اخواننا الضباط واكرمونا غاية الاكرام وانزلونا بمنازلهم لغاية الصباح حيث نقلتنا السيارات الى بلدة الحمام وكانت فى ذلك الوقت آخر محطة سكة حديد مربوط ومنها ركبنا السكة الحديد كل الى بلده .

كشــف

بأسماء حضرات الضباط والعسكريين والملكيين ورتبهم يوم انضمامهم والجهات التى كانوا يعملون بها والجهات التى الحقوا بها بعد عودتهم .

يوزباشي — **محمـــد صالح حرب** — القســم الذى كان يعمــل به قبــل الانضمام — مرسى مطروح	عاد لمصر وانتخب مرتين مجلس النواب ثم عين وكيلا لمصلحة السجون ومديرا لمصلحة الســـواحل ثم وزيرا لوزارة الدفاع ثم رئيسا لجمعيات الشــبان المســـلمين — تاريخ الانضــــمام — ١٩١٥/١١/٢٥
م . أول — **عبد الحليم حمــدى** — القسم الذى كان يعمــــل به قبــل الانضمام — مرسى مطروح	استشـــــهد بالزاوية الغربية بطرابلس سنة ١٩١٧
م ثانى — **محمود عبــد الواحــد على** — القسم الذى كان يعمـــل به قبــل الانضمام — مرسى مطروح	عاد وأعيد للخـــــدمة مصلحة خفــر السواحل ورقى لغاية عميد — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٥
كاتب — **عثمان الدرعى** — القسم الذى كان يعمـــل به قبــل الانضــمام — مرسى مطروح	عاد وأعيد للخدمة لمصلحة الحــدود حتى أحيل للمعاش — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٥
م . أول — **محمــود لبيب** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضـــمام — السلوم	عاد وأعيد للخــــدمة بمصلحة خفــر السواحل واستعفى من الخدمة برتبة صـــــاغ — تاريخ الانضـــــمام — ١٩١٥/١١/٢٢
م ثانى — **ابراهيم على عوض** — القسم الذى كا نيعمل به قبل الانضمام — السلوم	استشهد فى ارفلة مع المرحوم رمضان الشتيوى يوم العيــد الأكبر ســــنة ١٣٤١
يوزباشي بحـــرى — **أبو زيد مقلد** — القســـم الذى كان يعمــل به قبــل الانضمام — رانى	عاد وأعيد للخدمة واستعفى منها — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٣

م . أول — **أمين ذهنى** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — برانى

عاد وعين بمصلحة السواحل ورقى فيها الى رتبة اميرالاى — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٣

م . أول — **محمد حمدى** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — برانى

عاد واعيد بمصلحة الحدود واحيل للمعاش — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٣

صول — **عبد الله سعيد** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — برانى

عاد وأعيد لخدمة السواحل — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٣

م . أول — **أحمد محمد منصور** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضماه — سيوه

عاد والحق بالحدود ثم السواحل ورقى بها حتى رتبة الاميرالاى — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٢

م . أول — **أحمد محمد سالم** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — سيوه

استشهد بين واحة الفرافرة والواحة البحرية (تائها فى الصحراء)

دكتور — **محمود محمد عبد الله** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — سيوه

عاد من ليبيا سنة ١٩١٩ وعيد الى الخدمة بوزارة الصحة — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٢

كاتب المحكمة الشرعية — **مصطفى البهى** — القسم الذى كان يعمل بل قبل الانضمام — سيوه

عاد واعيد للخدمة بوزارة العدل — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٢

كاتب مركز سيوه — **السيد أحمد حسن** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — سيوه

عاد وأعيد للخدمة بالسواحل ثم عين عمدة لبلدته — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٢

كاتب مركز سيوه — **بطرس ميخائيل** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — سيوه

عاد واعيد للخدمة بالسواحل ثم عين عمدة لبلدته — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٢

يوزباشى — **سيد أحمد أبو شادى** — القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام — الضبعة

عاد واحيل الى المعاش — تاريخ الانضمام — ١٩١٥/١١/٢٧

عبد الرحمن عزام ـ القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام ـ مصر

عاد وانتخب بمجلس النواب ثلاث مرات ثم وزيرا ثم أمينا للجامعة العربية

تاريخ الانضمام ـ ١٩١٦

الدكتور ـ **السيد دسوقى** ـ البلد الذى كان يعمل به قبل الانضمام ـ تركيا

استشهد بوادى زمزم اغتيالا ـ ١٩١٨

مأمور الواحات الداخلة ـ **ابراهيم زكى** ـ القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام ـ الواحات الداخلة

عاد لمصر ـ تاريخ العودة ١٩١٦

م • أول ـ **عبد القادر طراف** ـ القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام ـ معاون المركز ـ مرسى مطروح

استشهد فى وادى زمزم غدرا ـ ١٩١٨

دكتور ـ **ابراهيم زكى** ـ القسم الذى كان يعمل به قبل الانضمام ـ الواحات الداخلة

تاريخ الانضمام ١٩١٦

الباب السادس
صالح حرب مع مصطفى كمال
الفصل الأول
مع مصطفى كمال

لقد حارب مع مصطفى كمال حرب التحرير متمشيا مع مبدئه الذى يدافع فيه عن بلد من بلاد الاسلام كان محتلا بالحلفاء واليونان ، ولكن حين ظهر على مصطفى كمال حقيقة نواياه نحو الاسلام والمسلمين والخلافة والخلفاء .

وظهر مفهومه لنظام الدولة الجديد وموقفه من وحدة العالم الاسلامى التى عاش محمد صالح حرب طول عمره يدافع عنها حتى مات بادر حين اتيحت له الفرصة بالرجوع الى وطنه ليخدم العروبة والاسلام بخير ما يخدمها به أى قائد .

لقد صور عبد العزيز جاويش لقاءه مع مصطفى كمال فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٢ فى انقرة عن رأيه فى الخلافة اذ بادره بسؤاله : ما رأيك يا شيخ عبد العزيز فى أمر الخلافة وأثرها على سياسة الدولة ؟

فاعتذر الشيخ عبد العزيز بأن فى المجلس الوطنى الكبير من العلماء وذوى الرأى من يغنونه عن رأيه ولكن مصطفى كمال أصر علىمعرفة راى الشيخ ليسبر غوره ويعرف مجرى افكاره فرد الشيخ :

انه ليس فى الاسلام خلافة بلا قوة كما انه ليس فى الاسلام خلافه مستبده .

فسأله مصطفى كمال :

اذن بماذا تفسر ما فعله عبد الحميد وغيره من الخلفاء العثمانيين والام تعزوا ما أصابوا الدولة به من النكبات ؟

أليسوا هم الذين ساقونا الى تلك الحرب الطاحنة وضاعفوا مصابنا بما اصدروا من فتوى الجهاد وأمثالها ؟

فأجاب الشيخ جاويش :

ان الخلفاء الذين قاموا فى السنوات الدستورية لم تطلق أيديهم فى تدبير البلاد ولا كانوا مستبدين بأمرهم بل كانت تجرى الأمور فى المملكة لا يحيطون بها علما وكلنا نعلم كيف تقرر اعلان الجهاد على انه اذا كان هنالك لهؤلاء

الخلفاء فى زمن الدستور شيء من الامتيازات القانونية فما ذلك الا لكون الدستور جعلهم خلفاء على الأصول الرومانية لا وفق الشريعة الاسلامية .

فقال كيف ذلك ؟

فأجاب :

أن الاسلام أنكر الفرق الطائفية وامتياز الطبقات والأفراد بعضها عن بعض فى الأحكام بل أقام سائر العوالم البشرية فى مستوى من تكاليفه تتحاذى فيه الأقدام والرءوس ، فلا يمتاز فى أحكام دين الاسلام رجل عن امرأة ، ولا أمير عن سوقة ، بل كلهم خاضعون للقانون السماوى ، وبذلك سوى الاسلام بين الرعاة ، والرعايا فى سائر الأحكام والتكاليف فقضى بمجازاة من يعدون حدود الله تفرقة ولا تفاوت ، فليس فى دين الاسلام فوق الشرائع والأحكام أمير ولا خليفة الا سلطان ، ولكن « تركيا » التى قلدت أوروبا اقتبست من القوانين الرومانية قاعدة ان الخلفاء فوق القانون والشرائع فأصبح الخلفاء بهذا خلفاء رومانيين لا خلفاء اسلاميين ولو عقل رجال النهضة الدستورية لادركوا ذلك الفرق بيننا وبين شرائع قامت فى أقوام كانت تعبد الملوك والأباطرة وتعدهم مصدر الاشتراع والحكم ..

وبينا نحن كذلك دخل أحدهم فقال : يا باشا ان أعضاء المجلس قد اختلفوا أمن قيام يقرأ تلغراف الخليفة الذى أرسله بقبول بيعته أم من جلوس ؟ فسأله الباشا وكم القائلون بالقيام ؟ قال فوق الثمانية فما لبث مصطفى أن أقبل على وقد قطب غضبا يسألنى :

— أحكومة شعب هذه التى تريد قراءة تلغراف الخليفة من قيام ؟

فأجبته :

انه ليس فى الشريعة ما يوجب القيام ولا يمنعه ، انما يرجع فى أمثال هذه الحالة الى ما يجرى به العرف والعادة بين الناس .

وهنا أحس مصطفى باشا عين ما أحسست اننا لا نتفق أصلا ، فهم

عبد العزيز جاويش — اعلام العرب تاليف الاستاذ انور الجندى .

بالوقوف ايذانا بالانصراف ، فخرجت من عنده ، وقد فهم كنه رأيى وفكرى ولكنه لم يكتف بذلك فلقد أوعز الى فرقة فى المجلس أن تدعونى فحادثنى (جلال نورى) لأكون بمركزها فى ٢ يناير سنة ١٩٢٣ .

قال جاويش انه ذهب الى هناك حيث وجد الكثيرين ممن كان يعرفهم، وأخذوا يسألونه عن الخلافة ، وهل هى ضرورية للمسلمين واذا كانت واجبة فما فائدتها ؟ وما حكم فصل الخلافة عن السياسة شرعا ؟ (أى أن تكون خاصة بالشئون الروحانية فقط) وهل يجوز أن تكون فى طائفة من الناس كالمجلس الوطنى الكبير بدلا من شخص .

واحد يستبد بالأمة فيفسد شئون الدولة ويرهقها بالمغارم والمظالم وماذا أفادت الخلافة الترك منذ تولاها السلطان سليم ؟ الم تكن سببا فى تقديس الخليفة فى داخل المملكة وتأليب دول أوروبا على تركية حتى حرموها الراحة والطمأنينة ؟ ثم ماذا كانت عاقبة اعلان الجهاد خلال الحرب العامة ؟ وهل ظاهرنا المسلمون على أعدائنا ؟ وهكذا مضت الأسئلة تثير كل ما يتعلق بماضى تركيا العثمانية وقد دار الجدل أكثر من ساعتين وكشف جاويش عن رأيه فى التحول الذى أصاب الخلافة ، مما جعلها شبيهةبالوثنية اليونانية وعبادة الملوك ، وان الاسلام جاء بتحرير النفوس البشرية ، وتخليص القبائل والشعوب من السلطان الذى فرضه الملوك والأمراء وان الاسلام لم يخص الخليفة بعصمة من خطأ أو اثم ، ولم يمنحه الاستئثار بتفسير كتاب أو سنة ، ثم أوجب عليه اقامة العدل طبقا لما نصت عليه الشريعة وجعله مسئولا أمام عامة المسلمين وجعل لهم اذا عدل الخليفة عن الحق أن يخلعوه أو يقتلوه ، وليس الحاكم فى الاسلام نائبا عن الله .

وانتهى الى القول بأن العيب ليس فى الخلافة بل فى تطبيقها ، وليس فى الاسلام بل فى المسلمين . وقد كان مفهوم الترك واضحا فى أنهم يهدفون الى تأكيد طابع العلمانية وموالاة النظام الغربى الخالص والقضاء على الخلافة كجزء من الخطة التى رسموها للقضاء على أنظمة الحياة المرتبطة بالاسلام . ولم يكن فى هذا الجو الجديد ما يشجع جاويش على الاستمرار وكان من رأيه أن مصر أحق بجهوده العلمية والتربوية ، لذلك كان لا بد أن يعود الى مصر .

الفصل الثانى

انهاء الخلافة الاسلامية

انهى كمال اتاتورك الخلافة الاسـلامية وكان يجب أن تنتهى ولست احب دائما أن أضع أسباب نكبتنا على عاتق عدونا بل أحب أن اصف عيوبنا واحالها واود أن أقول دائما ان العدو يتربص بنا الدوائر حينما يجد ثغرة فينا فما معنى خلافة لا تقوم على الشورى والقرآن الكريم وانما تقوم على البطش والاستبداد .

ما معنى خلافة تقوم على الوراثة ولا تقوم على اجماع المسلمين ؟

ما معنى خلافة تقوم باختيار اكبر أبناء آل عثمان الجهلة الذى يضع الخليفة فى السجن ولى عهده بين الجوارى والخصـيان حتى يموت هو فبرثه أو يقتله حتى يتولى غيره ؟

لقد انتهت الخلافة فى نظرى بمفهومها الدينى الأول منـذ قتل امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولم تقم لها قائمة فمنذ اقر عثمان بن عفان رضى الله عنه محاباة بنى أمية وتعيين أمراء منهم حتى أصبحوا ملوكا فى دمشق مثل معاوية ابن أبى سفيان انتهت حقيقة الخلافة الاسلامية واصبحت ملكا وراثيا يتقرب من الدين أحيانا ويشتط فى البعد عنه أحيانا أخرى واستمرت كذلك حتى انتهت بالعثمانيين وهم أشر الخلفاء اجمعين فلقد أضاعوا الخلافة واضاعوا المسلمين .

ولقد اجاد أمير الشعراء احمد شوقى بك وصف الترف الذى كان يتمتع به الجوارى وقصر يلدز الذى كان يسكنه الطاغية السلطان عبد الحميد خان ولقد أجاد ولى الدين يكن فى الرد عليه بوصف سوء حال البلاد والجنود فى عهد عبد الحميد .



عبرة الدهـــــر

« قالها شوقى بك فى خلع عبد الحميد الثانى » سنة ١٩٠٩ م

سل « يلديزا » ذات القصور — هـــل جاءها نبأ البدور
لو تســـــتطيع اجابة — لبتـــك بالدمع الغـــزير
اخنى عليهــــــا ما أناخ — على الخورنق والســــدير
ودها الجزيرة بعـــد اســ — ماعيل والملك الكبـــير
ذهب الجميـــع فلا القصو — ر ترى ولا أهـــل القصور
فلك يدور ســـــعوده — ونحوســـــه بيـــد المدير
أيـــــن الأوانس فى ذرا — ها من ملائكة وحـــــور
المترعات من النعـــــيـ — م الراويات من الســـرور
العـــــاثرات من الـــدلا — ل الناهضـــات من الغـــرور
الآمرات على الـــــولا — ة النـــاهيا على « الصدور »
الناعمــــــات الطيبـــــا — ت العرف أمثـــال الزهور
الذاهــــــلات عن الـــزما — ن بنشـــوة العيش النضير
المشـــــــرفات وما انتقلـ — ن على الممالك والبحـــور
من كل « بلقيس » عـــلى — كرسى عـــــزتها الوثـــير
امضى نفـــوذا من « زبيـــد — دة » فى الامارة والأمـــير
بـــين الرفارف والمشـــــا — رف والزخارف والحـــرير
والروض فى حجـــم الدنا — والبحر فى حجم الغـــدير
والدر مؤتلق الســــــنا — والمســـك فياح العبـــير
فى مسكن فوق الســـــما — ك وفوق غارات المغـــير
بين المعـــــاقل والقنـــا — والخيـــل والجم الغفـــير
ســـــموه « يلديز » والأفو — ل نهاية « النجم » المنير

* * *

دارت عليهـــــن الـــدوا — ئر فى المخـــادع والخـــدور
امســـين فى رق القبـــو — ل وبتن فى أسر العشـــير
ما ينتهـــين من الصـــلا — ة ضراعة ومن النـــذور
يطـــلبن نصـــره ربهـــن — وربهـــ

* * *

صبغ السواد حبيرهن … وكان من يقق الحبور

انا ان عجزت فان فى … بردى أشعرنى (جرير)

خطب الامام على النظيـ … م يفسر شرحا والنثير

عظة الملوك وان تخشـ … ضع فى الفؤاد وفى الضمير

نستغفر المولى له … والله يعفو عن كثير

ونراه عند مصابه … أولى ببابك أو غرير

ونصونه ونجله … بين الشماتة والنكير

عبد الحميد حساب مثـ … لك فى بليد الملك الغفور

سدت الثلاثين الطوا … ل ولسن بالحكم القصير

تنهى وتأمر ما بدا … لك فى يد الملك الغفور

لا نستشير وفى الحمى … عدد الكواكب من مشير

كم سبحوا لك فى الروا … ح والهوك لدى البكور

* * *

ورأيتهم لك سجدا … كسجود موسى فى الحضور

خفضوا الرؤوس ووتروا … بالذل أقواس الظهور

ماذا دهاك من الأمو … ر وكنت داهية الأمور

ما كنت أن حدثت وجلت … بالجزوع ولا المشور

اين الروية والأناه … وحكمة الشيخ الخبير

ان القضاء اذا رمى … دل القواعد من ثبير

دخلوا السرير عليـ … ـك يحتكمون فى رب السرير

اعظم بهم من آسريـ … ن وبالخليفة من اسير

اسد هصور انشب … الاظفار فى اسد هصور

قالوا اعتزل فلـ … ـت اعتزت الحكم لله القدير

صبروا لدولتك السنـ … ين وما صبرت سوى شهور

* * *

أوذيت من دستورهم … وضنت للمتحكم العسير

وغضبت كالمنصور أو … هارون فى خالى العصور

ضنوا بضائع حقهم … وضننت بالدنيا الغرور

هلا احتفظت به احتفا … ظ مرحب فرح قرير

هو حلية الملك الرشيـ … ـد وعصمة المالك الغرير

وبه يبارك فى المما … لك والملوك على الدهور

قصيدة ولى الدين يكن ..

عبرة الدهر

((قالها مناقضة لقصيدة شوقى بك المتقدمة))

هاجتك خالية القصور … وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى … ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزير … لباعث الدمع الغزير
ولواهب المال الكثير … وناهب المال الكثير
حامى الثغور الباسمات … مضيع آهلة الثغور
ان كان اخلى « يلديزا » … مخلى الخورنق والسدير
او فاستسرت من سماها … انجم بعد الظهور
فالتاهلن من بعدها … آلاف أطلال ودور
بعض النجوم ثوابت … والبعض دائمة السير

* * *

ضاعت عقود الملك ما … بين الترائب والنحور
والشيخ بات فؤاده … فى اسر ولدان وحور
ما زال معتصر الخدود … هوى ومهتصر الخصور
واذا انقضت ليلاته … وصلت بليلات الشهور
أهدى الفتور لقلبه … ما باللواحظ من فتور
واستنفرته عن الرعا … يا كل آنسة نفور
تختال من حلل الصبابة … فى الدمقس وفى الحرير
والجند عارية مناكبها … مقصمة الظهور
خمص البطون من الطوى … دقت فعادت كالسيور
ان الزمان يغر ثم … يذيق عاقبة الغرور

* * *

(وعظتك واعظة القبر) … ورايت منقلب الدهور
ومشى الزمان اليك بالـ … احزان من بعد السرور
قد كنت ذا القصر الكبير … فصرت ذا البيت الصغير
وربيت فى مجد الأمير … ولم تمت موت الأمير
لما سلبت الحكم قلت : … الحكم لله القدير
هل كنت ترضى اولا … ما قلت فى الزمن الاخير
ورآك جندك ضارعا … لهم ضراعات الأسير
لقد استجرت بمعشر … ما كنت فيهم بالمجير

اتدرت لـــكن لم تشـــأ تصــــديق اقوال النــذير
راثرتهـــا شـــعواء تـــد لف تحت رايات المثـــير
ملمومة الأطـــراف تنـــ زو بالصـــدر الى الصادور
تم التـــكافؤ تحتهـــــا قسطا النظير على النظـير
اســـد هصور فى الوغى يســعى الى أســد هصور

* * *

يا مسـفب الأجنـاد قد أشبـعت سـاغبة النسور
هى غارة آكنهـــا دارت على رأس المغـير
من ذا استشرت لهـا ولم تك فى الزمان بمستشـير
لقــد اسـقطرت بشر يو مك كل شر مســتطير
وخترت يا « عبد الحميــد » وما استحييت من الختور
ان الخفـور سـجية فاذهب فما لك من خفـير
ان الثـلاثين التى مرت بنـا مر العصـور
وهبتك تجـربة الأمـو ر فعشت فى جهـل الأمور
ورددت عارية الخــلا فة بعـد ذلك للمعـير
من كان يدعوك الخبـير فلست عنـدى بالخبـير

* * *

لله اجســـاد ثـــوت بين الجنـادل والصخور
باتت على خشبـن الثرى من بعـد مضجعها الوثير
كانت زهـور شـبيبة لهفى على تلك الزهـور
نضرت سـنين ولم تذق من لذة العيش النضـير
سـقيت مياه دمائهـا والروض رقراق الغـدير
كم خلفهـا من صـبية يتمت ومن شـيخ كبـير
يترقبـون مآبهـا ان المآب الى النشـور
وممنعـات فى الخـدو ر تموت حزنا فى الصدور
ترجـو زيارة صـبها نبت الزيارة بالمـزور
لم يجـدها نصح القبيـل ولا تسـات بالعشير
أودى الردى بنصـيرها ففـدت تعيش بلا نصـير
فشـكلتها بلسـانها والحزن فى طى الضـمير
نوح الطـيور بهيجهـا فتنوح من نوح الطيـور
لا بالعشى تفيــق من بث ولا عنـد البكور

* * *

لو أن للأيام الـــــــ   سنة لصـاحت بالثبـــور
عجت رواحلهـــا وقـــد   ســئمت مواصلة الكــرور
فترى شـــعوبا فى أسى   وترى شـــعوبا فى حبـــور
أبدا تدار كمـــا يرا   د وامرها بيـــد المـــدير
من عاش يستحلى الشرو   ر يموت من تلك الشرور

* * *

لما اديل عن الســرير   بكاه عبـــاد الســـرير
نذروا النـذور لعـــوده   هيهات يرجع بالنـــذور
اســـفوا عليــــه وانمــا   اسـفوا على المالى الدرير
والبعض بات جـــريره   فسما يتيه على « جرير »
طلبــوا له عفو الغفـــو   ر وشذ عن عفو الغفـــور
قلص ظـــلالك راحــلا   ودع البرية فى الهجـــير

* * *

ويح الربـــوع الدائرا   ت الى م تبقى فى دثور
ماذا ؟ نرى أحـــدم العوا   صم ام نرى احدى القفور
الأفق منبر الصحيـــــ   فة والبرى خائف السطور
والملك بينهمـــا يطــل   على السباسب والبحور
كالشمس تبـــدو من وراء   السحب فى اليوم المطير
واذا انجـــلى وجههـــا   نزهو بنـــور فوق نور

* * *

الباب السابع
محمد صالح حرب فى البرلمان
الفصل الأول
خطبة فى البرلمان

عاد محمد صالح حرب الى مصر فى سنة ١٩٢٤ حين كان سعد زغلول رئيسا للوزارة المصرية الوزارة التى تنسم فيها المصريون نسيم الحرية فلقد شعرت يومها ان رؤوس المصريين جميعا قــد ارتفعت الى رؤوس أصدقاء الانجليز ورأس فؤاد الطاغية وفى عهده

وصل صالح حرب الى مصر بعد العفو عنه وقتل السردار وأتى أحمد زيور الى الحكم ليسلم الانجليز كل شيء بحجة انقاذ ما يمكن انقاذه وحين وكان سعد يختار دائما من سبق لهم الجهاد فى سبيل الوطن ، وهنا اظهر صالح حرب مقدرته الفائقة فى الدفاع عن أسوان وعن النوبة وجاهد حتى جعل التعليم مجانا فى قنا واسوان . وهو صاحب الفضل على من تعلم فى هاتين المديريتين بالمجان حتى وصل الى أى مركز أقول ذلك كى لا ننسى فضل ذوى الفضل كما هى العادة وابتدأ يصارع القوى الانجليزية فى وزارة الحربية وهو بها عليم أيام ان كان فى خفر السواحل وابتدأ يناقش وسعد زغلول رئيس مجلس النواب يفسح له المجال ليقول ما يريد أن يقول فسأل هل الجيش آلة صالحة للدفاع واذا لم يكن فيجب اصلاحه وابتدأ يسأل اللواء سيد على وكيل الحربية فى ذلك وكان قد حضر الجلسة نيـابة عن وزير الحربية (أحمد خشبة) الذى لم يكن رجل حرب وانما كان من رجال القضاء .

وابتدأ فى الأسئلة حتى أحرجه ولم يجد جوابا غير الاستناد الى كلام اللورد كتشنر ، ولقد كان أهم عضو فى لجنة الحربية وكان يقرأ كثيرا باللغة الانجليزية عن الجيوش العالمية فلما عرضت ميزانية الحربية ابدت اللجنة ملاحظاتها وقدمت عدة مقترحات خاصة باصلاح الجيش المصرى وترقيته

منها الغاء منصب السردار وكان شاغرا منذ قتل السيرلى استاك ومنهـا تحسين أسلحة الجيش ومهماته وترقية التعليم فى المدرسة الحربية واقترح بعض أعضاء اللجنة تعديل قانون مجلس الجيش بحيث لا يكون المفتش العام الانجليزى (اسفنكس باشا) عضوا فيه على غرار مجلس الجيش فى انجلترا وأبدى صالح حرب ملاحظاته الدقيقة على مصلحة الحدود وخفر السواحل رعن المناطق الواقعة تحت الحـكم العرفى سواء فى محافظتى الصحراء او الواحات .

وهنا وقعت أزمة الجيش التى كتبها بالتفصيل جبرتى مصر الحديثة المرحوم الاستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعى .

الاهرام الخميس ٥ اغسطس ١٩٢٦

جلسة الاربعاء ٤ اغسطس سنة ١٩٢٦

انشاء مصرف باسوان

السكرتير الموظف

اشار الى السؤال الموجه من حضرة محمد صالح حرب الى معالى وزير الأشغال عن انشاء مصرف بأسوان فتاجلت الاجابة عنه .

الاهرام ٧ اغسطس سنة ١٩٢٦

هل تنوى وزارة الأشغال انشاء مصرف يقى اسوان غائلة السيل حتى لا تتكرر كارثة ١٩٢٣ واذا كانت تنوى ذلك فمتى تبدأ العمل .

جلسة الثلاثاء ١٠ اغسطس ١٩٢٦

الاهرام الاثنين ١٦ اغسطس ١٩٢٦

جلسة الاحد ١٥ اغسطس ١٩٢٦

أجاب وزير الاشغال بعد كلامه عن تكوين لجنة ــ ان هذا العمل من اختصاص وزارة الداخلية والمواصلات .

داهم السيل اسوان سنة ١٩٢٣ فكانت الخسارة من جراء ذلك ٧٠ الف جنيه على الاقل وهى جسيمة بالنسبة لبلدة فقيرة بائسة كاسوان فهو

طعنة فى الصميم وانى أخشى ان تتكرر هذه الكارثة فنصيب منها مقتلا ونحن لا يهمنا . أى الوزارات تقوم بهــذا العمــل ولكننــا نطلب بالحاح أن تقوم الحكومة بعمل المصرف سريعا لكى تكون أسوان فى مأمن من غائلة السيول فى المستقبل .

١٩ أغسطس سنة ١٩٢٦

سؤال محمد صالح حرب :

أصحيح ان وزارة الحربية تنوى بناء ثكنة فى الشاطبى تكلفها ٥٧ الف جنيه للبناء فقط ؟

وما مقدار الأرض اللازمة لهذه الثكنة وما يتبعها وما يقدر لها من ثمن وما عدد الوحدات التى ستقيم بها .

الاجابة :

المساحة : ٥٦ فدان ، أى ٢٧٣٥٠٠ متر مربع

قيمة الأرض المتر : ٣ جنيه

(٨١٩٠٠٠) جنيه

النفقات قدرت بمقدار : ٥٨٠٠٠ جنيه

ولمــا كان من المستحسن اقامة الجنود بعيدا عن المساكن رات الوزارة أن تبحث عن مكان آخر أقل كلفة وانسب مقرا .

الاهرام الثلاثاء ٧ سبتمبر ١٩٢٦

جلسة الاثنين ٦ سبتمبر عن ميزانية وزارة الحربية

محمد صالح حرب :

لا أريد مناقشة الأرقام لأن الأرقام تهون فى سبيل الجيش كما تهون الدماء فى سبيل الدفاع عن الوطن ولكن الذى يهمنا أن نعرفه هو ما اذا كان الجيش المصرى آلة صالحة للدفاع أم لا فاذا كان صالحا للدفاع ففى ذلك عزاء عن كل تضحية وان لم يكن صالحا للدفاع يجب أن نرفع الصوت

عاليا بطلب اصلاحه لان الممول انما يدفع ما يطلب منه من الضرائب اذ اعتقد انها تصرف فى سبيل الدفاع عن حياته وأمواله فان لم يقتنع بذلك حق له أن يتساءل عن سبب دفعه .

لهذا ارجو دولة الرئيس أن يأذن لى بتوجيه بعض اسئلة الى سعادة وكيل وزارة الحربية . (اللواء سيد باشا على)

الرئيس تفضل :

محمد صالح حرب : هل يعتبر الجيش فى نظر وزارة الحربية فرقة واذا كان الجواب سلبيا فماذا تعتبره .

وكيل الحربية : تعتبر وزارة الحربية الجيش فرقتين

محمد صالح حرب : من هما قومندانا الفرقتين وما عدد الوحدات التى تتكون منها كل فرقة ؟

وكيل الحربية : الجيش ينقسم الى اواءات مستقلة .

محمد صالح حرب : اذن أفهم من ذلك انه لا يوجد فى الجيش المصرى جزء تام فان الجزء التام هو عبارة عن قطعة عسكرية مؤلفة من جميع الأسلحة المتنوعة للجيش مع ملحقاتها تحت قومندانية واحدة .

وكيل الحربية : تجتمع كل الأسلحة فى سوارى وطوبجية وبيادة عند الحرب ولكن التقسم الذى يشير اليه العضو المحترم غير معمول به فى الجيش المصرى فى الأصل .

محمد صالح حرب : اذن يعتبر ان سوارى الجيش قطعة مستقلة .

وكيل الحربية : نعم .

محمد صالح حرب : « ما هو سلاح السوارى ؟ »

وكيل الحربية : سلاح السوارى المزراق والقرابينة والسيف .

الرئيس : الأوفق عدم توجيه اسئلة واذا كان لدى العضو المحترم ملاحظات او بيانات فليتفضل بابدائها ونحن على استعداد لسماعها مع العلم بان المطلوب منا الموافقة على الاعتماد المقرر لوزارة الحربية أو انقاصه أو زيادته .

محمد صالح حرب : كل ما اريده هو اصلاح حالة الجيش المصرى المادية والمعنوية .

الرئيس : وعد معالى وزير الحربية باجراء الاصلاح وسنعرض على حضراتكم القوانين المتعلقة بهذا الأمر فيمكنكم اذ ذاك ان تبدوا ما يعين لحضراتكم من الآراء .

محمد صالح حرب : لم نفهم مدى الاصلاح المراد ادخاله على الجيش

الرئيس : ما هو الاصلاح الذى تريد حضرتك لفت نظر معالى وزير الحربية اليه .

محمد صالح حرب : الذى فهمته ان الجيش مقسم الى وحدات مستقلة فالسوارى مثلا لا يمكن بسلاحه الحالى أن يؤدى الواجب المطلوب منه كسوارى مستقل كما انه لا يستطيع أن يقوم بالكشف التعرضى ولا ان يكون سائرا ولا يصلح لحماية الرجعة ولا للتعقيب وكل ما يستطيع عمله هو القيام بالكشف القريب .

الرئيس : أرجو العضو المحترم أن يبين ما يريد من معالى وزير الحربية .

محمد صالح حرب : اريد أن يلحق بالقطعة السوارى مدافع ماكنه وبطارية سوارى مع ما يلزم القطعة السوارى المستقلة من الملحقات .

كذلك أرجو أن يزاد عدد بطاريات الطوبجية فى الجيش المصرى لانه لا توجد الا أربع بطاريات وانى أؤكد لحضراتكم ان بطارية واحدة (هاوزر) سريع المرمى تكفى للقضاء عليها فى أربع دقائق وتنسفها نسفا اذا حصرت الهدف ورصدت زواياه المختلفة وتثيتها .

الرئيس : ان وزارة الحربية متفقة مع حضرة العضو المحترم على ضرورة زيادة عدد بطاريات الطوبجية .

محمد صالح حرب : لا يستطيع العسكرى البيادة فى الجيش المصرى ان يؤدى واجبه ما دام سلاحه قاصرا على البندقية والسنكى مع انه اكثر الجنود عذابا وتعبا وقد جعله نقص السلاح عاجزا عن التقدم فى ساحة القتال تحت وابل من الرصاص والقنابل فيجب تلافيا لهذا النقص المعيب أن يجهز العساكر البيادة بجميع الأسلحة الحديثة اللازمة لمدافع الماكينات وغيرها حتى يستطيع أن يتغلب على الصعوبات التى تصادفه فى ميدان

القتال وانه من العار الا يوجد مدفع ماكينة واحد مع قوة البيادة وعددها ١١ اورطة مع ان افقر دولة تجهز الأورطة البيادة بأربع مدافع ماكينةوليس ذلك فقط بل وصلت الحالة ببعض الدول الى تجهيز الأرطة البيادة بسبعة عشر مدفع ماينة .

وزير الحربية : ارى من المستحسن ان يتفضل حضرة العضو المحترم بزيارة مكتبى لمناقشتى فى هذه المسائل لبحثها بيننا .

هذه مسائل فنية ولو كنت من رجال الجيش لأجبت عنها فى الحال .

وكيل الحربية : لقد فكرت وزارة الحربية فى هذه المسألة التى اشار اليها حضرة العضو المحترم .

محمد صالح حرب : اني اوافق معالى وزير الحربيــة على ما قاله بخصوص قسم الأشغال وكل ما اطلبه ان ينضم هذا القسم ويوسع اكثر من الآن بحيث يشمل كل ما يلزم للاســتحكامات . كذلك يجب أن تكون المناورات التى يقوم بها الجيش لمـا وضعت له وهو التدريب لا التعذيب لأنها وضعت لتعويد وتمرين القواد على سوق الجيش وقيادته وما يتبع هـذا من التقلبـات الحربية لذلك يجب ان تكون المنـــاورات وســيلة لتربية الملكة العسكرية وتنميتها عند الضباط وارجو قبل ختام كلامى أن يعنى عناء خاصا بتقوية القوة المعنوية فى الجيش لأن الاختراعات الحربية الحديثة لا تجعل الجيش مهما بلغت قوته المادية اقل فائدة اذا لم يكن قوته المعنوية معادلة لقوته المادية على الأقل اننا لا نريد جيشا يكون اســاس نظام الضبط والربط فيه مبنيا على الرهبة والخوف بل ان يكون قوام ذلك الضمير الحى والشعور بالواجب والا اصبح الجيش آلة صماء وكل جيش يتحرك بدافع الخوف والرهبة لا بدافع الشعور والواجب مصيره هزيمة محققة (تصفيق)

ويجب على انصافا للضباط والجنود ان اقرر ان صدام الجيش المصرى وحركاته العسكرية هى غاية الاتقان والكمال مما يجعلنا نباهى به ونفــاخر فحالة الجيش المصرى بالرغم من نقص اسلحة تدل على ان المصرى أهل للوصول الى اسمى الغايات اذا توافرت لديه الوسائل (تصفيق)

وكيل الحربية : اسال العضو المحترم (ضحك)

ومع ذلك فان الجيش المصرى من احسن جيوش العالم بشهادة اللورد كتشنر (ضحك) .

محمد صالح حرب : اننى اختم بيانى انصافا للضباط المصريين والجيش بأن اعلن ان نظامه وملابسه ونظافته العامة فى غاية الاتقان وهى شهادة ناطقة له وقد يبلغ الكمال اذا وجد وسيلة لبلوغه .

وكيل وزارة الحربية : يا حضرات الأعضاء المحترمين سمعت من حضرة العضو المحترم انه اساء سمعة الجيش المصرى مع انه احسن جيوش العالم ولقد ذهبت لأداء مأمورية بأمر مولانا السلطان وحاربت وكنت أقاتل ضد فريق من الجيش الذى ينسب له حضرة العضو والجهة التى كنت أحارب فيها هى الحجاز وأقرر لحضراتكم ان اللورد كتشنر بعد ان رجع من حرب جنوب افريقيا . قالها بالانجليزية (سوث أفريكا)

أعضاء يضحكون ويصفقون

وكيل الحربية : أقول انه عندما رجع اللورد كتشنر من جنوب افريقيا الى الخرطوم بعد الوقائع الشديدة التى علمتها منه قال فى ميس الضباط فى الخرطوم اننى كنت أتمنى أن يكون معى أورطتان وضباط من المصريين لأن الجيش المصرى قدير على اقتحام الأخطار .

أعضاء يضحكون ويصفقون .

الرئيس : أرجو من حضرات الأعضاء أن يفسحوا صدورهم لسماع كلام كل خطيب .

اليوزباشى محمد صالح حرب : اننى استشهد هيئة المجلس الموقر : هل انا فى بيانى اسأت الى سمعة الجيش المصرى .

أعضاء : لا . . . لا .

الاهرام الخميس ١٧ فبراير سنة ١٩٢٧

(خاصة بالجيش)

جاء فى خطبة كبيرة ما يلى :

ان المسألة أعظم من أن يحيط بها استجوابنا وأهم من أن ينفعنا بها جواب نحن اذا طلبنا يجب أن نطلب من الحكومة فى صراحة وجلاء أن تحل مسألة الدفاع من حيث هى :

نعم يا حضرات النواب مسألة الدفاع هى التى يجب أن تحل فى مصر نحن كأمة لها شرف قومى ولها كرامة وكدولة لها استقلال وسيادة يجب علينا وجوبا شرعيا ان نعتمد فى الدفاع عن كياننا على انفسنا قبل أن نعتمد فى ذلك على اصدقائنا .

ماذا يكون موقفنا يا حضرات النواب اذا جاء يوم واشتغل فيه هـذا الصديق بنفسه وأصبحت مصر امام خطر يتهددها بماذا نقابله .

انقابله بتوكل كتوكل العجائز ونقول نفر من قدر الله الى قدر الله من غير أن ناخذ للامر عدته لا اظن أن يقول بهذا منصف .

يا حضرات النواب ان لاستقلالنا علينا حقا وان لبلادنا علينا حقـا فلسنا مغالين ولا متعنتين ولسنا نطلب شراء اذا قلنا انه يجب علينا ان نستعد نحن لا نسعى الى الشر ولكن اذا جاء يوم وسعى الشر الينا ـ يجب أن نقابل الشر بشر يدفعه او نموت فى سبيل الدفاع كراما (تصفيق) .

يا حضرات النواب مصر لا تضمر لأحد سوءا ولا تطمع فى اكثر من ان تعيش حرة مستقلة والمصريون ربما كانوا احفظ الامم للود وأرعاهم للعهد عندما لا نظن امة بأمة خيرا نحن كما نحسن الظن بغيرنا نريد ان الغير يحسن الظن بنا ولهذا أتقدم لحضراتكم بأن نطلب من الحكومة أن تحل مسـألة الدفاع حلا ترتضيه البلاد ويتفق وكرامتنا واستقلالنا .

(تصفيق حاد)

جاء فى اهرام الخميس ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٧

أثناء الكلام عن بطاريات الجيش اعترض محمد صالح حرب على ان تكون البطاريات من نوع واحد وهو الهاونزر : قائلا يجب أن تكون البطاريات متنوعة لتتغلب على الأغراض المختلفة .

فاجاب وزير الحربية :

لم ترد الا بطارية واحدة والمطلوب واحدة اخرى ..

فقال النائب المحترم محمد صالح حرب :

ارجو ان تكون الثالثة بطارية ميدان ..

الفصل الثانى

أزمة الجيش (١)

مايو ــ يونية سنة ١٩٢٧

وقعت فى أواخر شهر مايو وأوائل شهر يونية سنة ١٩٢٧ أزمة سياسية حادة بين مصر وانجلترا ، سميت « أزمة الجيش » وكانت صورة متكررة للاعتساف البريطانى بإزاء مصر ، كما دلت على نية مبيتة من انجلترا على أن لا تمكن مصر من أن يكون لهـا جيش أو قوة دفاعية اطلاقا .

وبيان ذلك ان ميزانية الدولة عن سنة ١٩٢٧ ــ سـنة ١٩٢٨ كانت معروضة على مجلس النواب ، واتباعا للاوضاع البرلمانية احيلت على اللجنة المالية بالمجلس لبحثها وتقديم تقرير عنها للمجلس ، وقد استأنست اللجنة بآراء لجان المجلس المختلفة ، وطلبت اليها ابداء ملاحظاتها عنها ، وكانت لجنة الحربية منوطا بها ابداء ملاحظاتها على ميزانية وزارة الحربية ، فألفت لجنة فرعية لفحصها انتهت الى ابداء عدة مقترحات خاصة باصلاح الجيش المصرى وترقيته ، منها الغاء منصب السردار (وكان شـاغرا منذ مقتل السير لى ستاك) ومنها تحسين اسلحة الجيش ومهماته ، وترقية التعليم فى المدرسة الحربية ، واقترح عض أعضاء اللجنة تعديل قانون مجلس الجيش بحيث لا يكون المفتش العام للجيش وقتئذ وكان بريطانيا (اسبنكس باشا) عضوا فيه ، وذلك على غرار مجلس الجيش فى انجلترا وأبدت أيضا بعض ملاحظات على مصلحة الحدود ومصلحة خفر السواحل وعن المناطق التى كانت باقية تحت الحكم العرفى سواء فى محافظتى الصحراء أو الواحات .

قدمت اللجنة الفرعية تقريرا بهذه المقترحات والملاحظات الى لجنـة الحربية ، وقبل أن تفحصها هذه وتبت فيها برأى وصل نبؤها الى دار

---

(١) فى أعقاب الثورة المصرية ــ تأليف عبد الرحمن الرافعى بك ص/٢٧١

المندوب السامى والصحف البريطانية فهبت ترعد وتبرق ، وتتهدد وتتوعد، ونشأت هذه الأزمة . وكان مظهرها توجيه مذكرة من الحكومة البريطانية الى الحكومة المصرية بواسطة دار المندوب السامى فى ٢٩ مايو سنة ١٩٢٧، خلاصتها :

ان الحكومة البريطانية ترى انه يجب على مصر ان تساعد بريطانيا العظمى على صيانة مصر من الاعتداء الأجنبى ، وعلى حماية المواصلات الامبراطورية . وترغب أن يكون جيش مصر صالحا مستعدا للاشتراك فى الدفاع عن البلاد . وهى لذلك على استعداد لأن تقدم لمصر كل مساعدة للعمل على ايجاد مثل هذه القوة بشرط ان تكون مدربة طبقا للقواعد البريطانية وباقل عدد من الأشخاص البريطانيين ، اذ ان هذه القوة ستدعى للتعاون مع الجنود البريطانية فى مصر ، وانه لوحظ فى الأيام الأخيرة ان هناك اتجاها مقلقا يرمى الى ادخال النفوذ السياسى فى الجيش المصرى ، واصطحب هذا الاتجاه بمحاولات اكيدة لتقليل اختصاص المفتش العام للجيش والضباط البريطانيين الذين يعملون فى المصالح المختلفة التابعة لوزارة الحربية ، وهذه المحاولات لقيت اخيرا تأييدا فى بعض ما اوصت به لجنة الحربية البرلمانية فى تقريرها الذى نشر حديثا وسيطرح للمناقشة قريبا فى البرلمان ، وترى الحكومة البريطانية ان الموافقة على هذه التوصيات تقلل شيئا من الفرص التى تتهيأ للتسوية الودية لهذه المسألة الهامة بين مصر وبريطانيا العظمى ، ولذلك فانها تدعو الحكومة المصرية الى اعادة النظر فى موقفها بغير ابطاء ، وخلصت المذكرة الى طلبات الحكومة البريطانية وهى :

١ — وجوب تمكين المفتش العام للجيش المصرى (اللواء اسبنكس باشا) من أن يؤدى فى حرية وعلى الوجه المناسب اختصاصاته كما تسلمها من الواء هدلستن باشا فى يناير سنة ١٩٢٥ ، اذ هى لم تلغ قط ، ولهذا الغرض يجب ان يمنح رتبة فريق مع المرتب المتناسب وواجباته ويجب أن يعطى عقدا على الأقل لمدة ثلاثة سنوات فى أول الأمر .

٢ — اذا بقيت لجنة الضباط على شكلها الحاضر فيجب على وزير الحربية الا يتأخر عن ان يرفع الى صاحب الجلالة ملك مصر توصيات هذه

اللجنة فيما يتعلق بالتعيينات والترقيات ومنح الأوسمة ومسائل النظام عامة .

٣ ــ أن يعين ضابط بريطانى كبير برتبة لواء ليكون مساعدا المفتش العام ينوب عنه فى غيابه ، ويقوم بالأعمال التى يقوم بها المفتش العام نفسه ، وهذا الضابط يحل محله فى غيابه أو عندما يكون قائما بأعمال المفتش العام أقدم ضابط بريطانى يكون موجودا .

٤ ــ يجب أن تكون مصلحة الحدود (ومصلحة خفر السواحل اذا نفذ الادماج الذى تقرر أخيرا) ، تحت اشراف المفتش العام البريطانى للجيش أو نائبه فى غيابه ويمكن بدلا من ذلك أن يكون المدير العام لهذه المصلحة ضابطا بريطانيا ، كما كان الحال حتى ابريل سنة ١٩٢٥

٥ ــ ان تظل المراكز التى يشغلها الآن ضابط أو رجال بريطانيون فى المصالح التابعة لوزارة الحربية وكذلك فى مصلحة خفر السواحل اذا ادمجت فى مصلحة الحدود محفوظة فى أيد بريطانية ، ولا ينبغى أن تمس اختصاصاتهم لا مباشرة ولا بالواسطة .

٦ ــ وفيما يتعلق بالاختصاص القضائى تبقى الحالة الحاضرة على ما هى عليه فى الجهات الداخلة فى اختصاص مصلحة الحدود ، اى يبقى النظام العرفى فيها .

وظاهر من هذ المذكرة ان الغرض منها استبقاء الاشراف البريطانى كاملا على الجيش المصرى ، كما كان فى عهد الاحتلال والحماية .

لم تنشر الحكومة نص المذكرة بأكمله فى حينه ، واكتفت الصحف بنشر خلاصات مما وصل الى علمها عنها ، وأرادت الحكومة بعدم نشرها التهوين من خطرها وتهدئة الخواطر .

وقد رد ثروت باشا على هذه المذكرة فى ٣ يونية سنة ١٩٢٧ ردا مفرغا فى قالب الود والتسليم بمعظم المطالب البريطانية ، ذكر فيه ان الحكومة المصرية تشاطر المندوب السامى وجهة نظره فى منع ادخال السياسة فى الجيش وانها تتوق ابدا الى أن تجلو كل شك عن الجيش المصرى فى هذه الناحية ، ولم يكن ليفوتها اجراء التحقيق اذا قدمت لها حوادث معينة ، وذكر عن التقرير الذى أشار اليه المندوب السامى فى مذكرته أنه ليس من عمل لجنة الحربية البرلمانية ، بل ان لجنة فرعية منها تألفت لبحث مرسوم سنة ١٩٢٥ الذى أنشأ مجلس الجيش ولجنة الضباط ، فكلفت اثنين من

اعضائها وضع تقرير فى الموضوع ، وان مشروع هذا التقرير هو الذى نشر بغير أن يقدم لا للجنة الحربية الفرعية نفسها ، وقال ان الحكومة المصرية على استعداد لأن تستقبل بكل ترحاب الاقتراح الذى ينحو نحو المفاوضة لايجاد الترتيبات التى من شأنها أن تسهل التعاون المذكور ، ولكن فى انتظار الزمن الملائم للقيام بهذه المفاوضات ترى الحكومة المصرية انه حتى تعمل هذه الترتيبات يمكن ان يحتفظ بالموقف فيما يتعلق بأداء مأمورية الجيش المصرى كما كانت حتى الآن وبغير عائق ، وانه منذ اعلان مرسوم سنة ١٩٢٥ المذكور آنفا الذى أدخل المفتش العام فى عضوية مجلس الجيش ولجنة الضباط ، منذ هذا المرسوم والخدمات المختلفة للجيش تسير سيرا عاديا ، ومع ان بعض خلافات نشأت حول توصيات لجنة الضباط فما كانت الا نادرة وعرضية ، وكانت تدور تدور غالبا حو لمدة الترقية الوقتية ، على أنه يمكن القول بان الوزير (لمصلحة الدقة وحسن النظام) سيقبل بصفة عامة آراء اللجنة التى الفت لمساعدته على القيام بما عليه من مسئوليات والتى يتخذ منها سندا لقراراته ، وفيما يتعلق بمد خدمة المفتش العام من سنتين الى ثلاث ترى الحكومة ان عقد المفتش العام لما يكد يبدأ مدته ، ومن ثم فان هذه المسألة الشخصية ليس لها اهمية حالية ، ومثل هذ ايقال عن اقتراح الانعام عليه برتبة الفريق ورفع راتبه ، على أن وزير الحربية سيبحث من جهة اخرى مسألة تعيين ضابط بريطانى عظيم ليكون مساعدا للمفتش العام على أداء اعباء منصبه او ليحل محله عند غيابه وما دامت حاجة العمل تقتضى هذا التعيين فلن يتأخر عن القيام به فى حدود السلطة المخولة له لتعيين أجنبى فى منصب فنى ، وهذا الضابط سيحل محله متى دعت الحاجة اثناء غيابه أو نيابه عن المفتش العام اقدم ضابط بريطانى ، وفيما يختص بمصلحة الحدود فان هذه المصلحة التى تشتغل باعمال الادارة الداخلية البحتة ومنع التهريب قد الحقت بوزارة الحربية بمرسوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٢٢ ، وبمقتضى مرسوم سنة ٩١٢٥ المنشىء لمجلس الجيش يكون المدير العام لهذه المصلحة عضوا فى ذلك المجلس بحكم وظيفته ، هذا الى أنه ما دامت المسائل المرتبطة بالدفاع عن البلاد داخلة فى اختصاص مجلس الجيش فان هناك كل ما يدعو الى الثقة بأن شئون مصلحة الحدود المتصلة بالمسائل العسكرية ستنجز بكل ما يرغب فيه من ضمان وطبقا لمقتضيات الخدمة ، وفوق ما تقدم فان الضباط البريطانيين الذين يشغلون مناصب فى هذه المصلحة قد انتفعوا بالقانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٢٣ ونظر

مجلس الوزراء فى يناير الماضى فى مسألة هؤلاء الضباط عندما انتهت مدة عقودهم فتقرر ـ لمصلحة العمل ـ أن يستبقيهم فى مناصبهم وقد أعطيت لهم عقود جديدة لمدد تتراوح بين سنة وسنتين ، وهذه العقود تثبتهم فى الأعمال التى كانوا يقومون بها ولا يزالون مستمرين على القيام بها ، وانما يكون عند انتهاء هذه العقود البحث فى هل يبقى هؤلاء الضباط فى مراكزهم أم لا ، وعند بحث هذه المسألة ستكون الحكومة المصرية طبعا خاضعة لمصلحة العمل فقط لا لأى اعتبار آخر مهما كان ، اما النظام القضائى المنفذ فى المناطق الواقعة تحت سلطة مصلحة الحدود فما هو فى الحقيقة اكثر من سلطان مد المبادىء التى وضعتها الحكومة المصرية سنة ١٩١١ لشبه جزيرة سيناء قبل لحاقها بمصلحة الحدود حتى يشمل هذا السلطان مثل هذه المناطق جميعها ، ومرسوم سنة ١٩٢٢ يقضى ببقاء هذا النظام الى الوقت الذى يمكن أن يحل محله نظام أوفى ، ومنذ هذا الوقت لم تدع الأسباب الحكومة المصرية الى النظر فى وضع النظام الجديد ، ويرجع على الأقل الى أسباب تتصل بالأحوال الخاصة ودرجة التقدم فى منطقة العريش التى تتبع منطقة الحدود الشرقية ان الحكومة تدرس مسألة اعادة محكمة اول درجة باختصاصها الأصلى وهذه المحكمة هى التى كانت موجودة فى الأصل قبل وجود الادارة محل البحث .

وأعرب ثروت باشا فى ختام رده عن رجائه فى أن الايضاحات والتأكيدات المتقدمة ستبدد كل سوء تفاهم بين الحكومتين فى موضوع الجيش المصرى ، وعن رغبة الحكومة المصرية فى أن تقوى العلاقات بين البلدين يوما فيوما وان يظل حسن التفاهم سائدا بينهما وان تكلل بالنجاح مجهودات الطرفين فى الوصول الى اتفاق يقوى روابط الصداقة ويوحد بين البلدين كما يضمن مصلحتهما .

ولم ينشر الرد فى حينه ، لكى لا يثير الرأى العام على الوزارة .

وبينما كان الأخذ والرد متبادلين بين الجانبين ، اذا بالأزمة تأخذ شكلا حادا ، فقد اذاعت أنباء لندن البرقية ان ثلاث بوارج بريطانية أمرت بالسفر من مالطة الى المياه المصرية ، ثم القى السير أوستن تشمبرلين وزير

خارجية بريطانيا بيانا فى مجلس العموم عن الأزمة قال فيه ان الحكومة البريطانية انما تدخلت فى هذه المسألة لأن فريقا من الساسة المصريين ذوى الكلمة النافذة أراد استعمال الجيش أداة معادية لانجلترا ، وان الدليل على ذلك هو ما اقترحته اللجنة الحربية (الفرعية) لمجلس النواب من زيادة وحدات الجيش وأسلحته (تأمل) وأضاف الى ذلك ان الحكومة البريطانية مستعدة لفتح باب المفاوضات فى المسائل المعلقة ولكن الى أن يتم الاتفاق عليها يجب الاحتفاظ بأسباب الأمن فى مصر وان الحكومة البريطانية قد تلقت تقارير من مصر بأن هناك سعيا يبذل للتحريض والهياج ، وهذا هو ما أدى الى ارسال البوارج الثلاث الى مصر .

وقد جاءت هذه البوارج فعلا الى ميناء الاسكندرية وبور سعيد ، فكان لحضورها وقع اليم فى النفوس .

وانتهت الأزمة بأن قررت الحكومة مد مدة خدمة اسبنكس باشا المفتش العام للجيش ومنحته رتبة فريق ، وقبلت تعيين وكيل انجليزى له وهو اللواء بالمر باشا ، وعينت ضباطا انجليز جددا بالجيش .

واستبان من ملابسات هذه الأزمة ان انجلترا لا تريد ان يكون لمصر جيش قوى يعول عليه فى الدفاع عنها ، وقد أفصح المحرر الحربى لجريدة الديلى تلغراف عن هذه النية بقوله : « اذا ما قبلت زيادة عدد الجيش المصرى وجبت زيادة جيش الاحتلال واذا ما قبلت زيادة سلاح الجيش المصرى وجبت زيادة سلاح الجيش المحتل » .

وأرادت انجلترا من ناحية أخرى الضغط على الحكومة المصرية واكراهها على الدخول فى مفاوضات لعقد المعاهدة التى تربط مصر بانجلترا ، وانذارها بأنها ما لم تقبل المعاهدة فستظل انجلترا على سياستها فى احراجها واثارة الأزمات فى وجهها والتدخل فى شئونها الداخلية ، وقد اتضح فيما بعد ان عقد المعاهدة لم يضع حد لهذا التدخل ، بل كانت بابا جديدا من نوع جيد لاستدامة البغى والعدوان .

الباب الثامن

محمد صالح حرب فى الوزارة

الفصل الأول

أعماله فى الوزارة

عين صالح حرب وكيلا لمصلحة السجون ثم نقل مديرا لخفر السواحل وحين اصبح على باشا ماهر رئيسا للوزارة عينه وزيرا للحربية ، وكانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت وكان على ماهر يريد ان يجنب مصر ويلات الحرب وهذه كانت تضايق الانجليز وأترك لصالح حرب ما جاء فى مذكراته عنها .

عندما عينت وزيرا للدفاع فى وزاة على ماهر سنة ١٩٣٩ كان أول ما شغل بالى هو أن أطلع على خطة الدفاع عن حدود مصر الغربية المهددة بهجوم ايطاليا عليها فى حالة ما اذا أعلنت الحرب ، فسألت فى الوزارة عن هذه الخطة فلم أعثر على شىء كما لم أجد عنها شيئا فى رياسة أركان حرب او فى أى ادارة مصرية . الأمر الذى اضطرنى الى أن استدعى الجنرال « ماكريدى » فلما جاء وسألته عن ذلك قال لى : اننى رئيس البعثة التعليمية ولا شأن لى بالدفاع ، ويسأل عن هذا الجنرال ويلسون .

فاستدعيت الجنرال ويلسون ولما وجهت اليه هذا السؤال أجاب بقوله : الحقيقة انه ليس لدينا خطة كاملة للدفاع عن الحدود الغربية ، والقوات البريطانية الموجودة على هذه الحدود قليلة ونحن فى حاجة الى وحدات أخرى كثيرة .

وفهمت منه ان الدفاع عن الحدود غير مستكمل لعناصره التى يمكن أن نطمئن اليها فرأيت من واجبى أن أعرض الأمر على رئيس الوزراء وقد قام بدوره بعرض هذه الحالة على الملك السابق واتفق معه على أن يطلع بنفسه على حالة الدفاع عن الحدود الغربية .

وأخطرنا الجنرال ويلسون بهذه الزيارة ، وفى اليوم المحدد ذهبنا الى سراى المنتزه رئيس الوزراء والفريق عزيز المصرى رئيس اركان الجيش فى ذلك الوقت . وانا .

ضباطنا مع الأنفار الانجليز

وعندما ركبنا القطار لاحظت ان جميع الضباط الانجليز من أصغر الرتب الى أكبرها قد ركبوا عربات الدرجة الأولى بينما ركب الضباط المصريون من رتبة يوزباشى فأقل مع ضباط الصف والأنفار الانجليز فى عربات الدرجة الثانية . وآلمنى هذا الوضع أشد الايلام وطلبت من الدكتور على ماهر ان يقوم معى بالمرور فى عربات القطار وحاول أن يعرف منى السبب ولكنى اخفيته عنه وقد لاحظ بنفسه هذه التفرقة بين الضباط المصريين والانجليز وغضب لها واتفقت معه على أن يصدر امرا نافذ المفعول بوصفه حاكما عسكريا . بأن يركب جميع الضباط المصريين عربات الدرجات الأولى وقد كان ، ودامت هذه التعليمات وشملت فيها بعض ضباط البوليس .

وكانت الطوافة فوزية قد سبقتنا الى مرسى مطروح ، وثانى يوم وصولنا الى مرسى مطروح عقدنا فيها اجتماعا بناء على طلبى حضره رئيس الوزراء والفريق عزيز المصرى ، وانا من الجانب المصرى ، والجنرال ويلسون والجنرال أوكنز قائد القوات المدرعة وقائد المشاة من الجانب البريطانى .

ذكرى قديمة

وبدات المناقشة بشأن الدفاع عن الحدود الغربية .

فسألت الجنرال ويلسون : هل وجودكم فى مرسى مطروح ضرورى للدفاع ؟

فقال : نعم . . ولا يمكن الاستغناء عن هذا الميناء ، فقلت له نفهم ان جناحكم الأيمن يرتكز على البحر فما الذى يحمى جناحكم الأيسر ؟

فقال : القوات المدرعة .

قلت : الا ترى ان هذا الجناح يكونن مهددا فى حالة ما اذا احتل العدو واحة سيوة ؟

وبعد مناقشة على موقع سيوة على الخريطه التى استحضرها معه الجنرال ويلسون قال :

أمنا مقتنع الان بأهمية سيوة ولكنى اريد ان أراها على الطبيعة ، فاتفقنا على أن نجتمع فى واحة سيوة بعد اسبوع من عودتنا مع الملك السابق الى القاهرة . وفعلا عدت انا الى مرسى مطروح وقمت منها بالسيارات وبرفقتى اللواء حسن حسنى الزيدى مفتش الجيش والاميرالاى على شاهين محافظ

الصحراء الغربية والاميرالاى على موسى من سلاح الحدود والصاغ عبد الحميد غالب « اللواء عبد الحميد سفير مصر الآن فى لبنان » وكان مدير المكتب العسكرى لوزير الحربية .

تحركنا بالسيارات ومررنا على الحدود التى بين مصر وليبيا الى ان وصلنا الى الملقة ومنها الى سيوة وثانى يوم من وصولنا اليها حضر بالطائرة الجنرال ويلسون ومعه بعض الضباط أركان حرب الجيش الانجليزى وقضينا فى سيوة يومين مررنا فيهما على جميع مداخلها « النقوب » أى الدروب والآبار والمواقع الطبيعية الضعيفة منها والقوية ولم تترك ناحية تستحق المعاينة الا ومررنا عليها وأخيرا راينا ان نمر على الطريق الداخلى بين الحطايا ؛ الموصل من جنوب الى سيوة ، وساقنا ذلك الى المرور على حطية قرية الواقعة فى الشمال الغربى من سيوة على بعد ١٧ كيلو متر ولاحظ الجنرال ويلسون وجود سيفين متقاطعين على الخريطة عند هذه الحطية اشارة الى وقوع معركة فى هذه المنطقة فالتفت الى مبتسما وقد تذكر ان فى هذا المكان نشبت بينى وبين الانجليز أكبر معركة على الحدود الجنوبية الغربية قبل مغادرتنا حدود مصر الى جنوب وكان ذلك فى سنة ١٩١٧ وسيأتى ذكر هذه الموقعة مفصلا عند سرد بقية ذكرياتى

الخطة مع جندى

وبعد انتهائنا من هذه المعاينات كلها ابدى الجنرال ويلسون انه مقتنع تمام الاقتناع ان سيوة يجب أن تعد للدفاع عن الجنوب ثم قال : ولكن لى ملاحظات أريد رأيك فيها .

أولا : الطريق الوحيد الموصل اليها هو طريق مواز للجبهة من مرسى مطروح الى سيوة وهو بذلك غير صالح للامداد ولا للانسحاب .

فقلت له ان هناك طرقا أخرى يمكن استخدامها ، والاستفادة منها عامودية على الجبهة « ١ » من الضبعة الى سيوة « ٢ » من النوبارية أو وادى النطرون الى سيوة « ٣ » من الفيوم الى الواحات البحرية الى سيوة

ثانيا : أريد أن يكون لنا قوة احتياطية فى الزيتون قرب النقب وليس هناك ماء .

فأجبت : ما اسهل أن نفجر آبارا فى هذه المنطقة تعطى الماء الكافى لأى قوة .

ثالثا : يلزمنا مخازن فى بعض الطرق الموصلة الى سيوة .

فاجبت : سننشىء أى عدد تريده من المخازن فى أى من الطرق التى ذكرتها .

عند هذا قال الجنرال ويلسون « ليس عندى بعد هذا ما أقوله ، وقد أدركت تمام الادراك أهمية سيوة ، ولهذا بمجرد ان أعود الى القاهرة سنضع خطة الدفاع عنها وأقدمها لكم لتقولوا رأيكم فيها ثم نضعها موضع التنفيذ » وفعلا بمجرد أن عاد ، عمل على انجاز وضع الخطة فى خلال سبعة عشر يوما وبعثها الى وزارة الحربية مع أحد جنود القيادة العامة وكان يجب أن يحملها ضابط مسئول « فاطلعت عليها واستدعيت رئيس أركان حرب الجيش الفريق عزيزى المصرى وسلمته الخطة بنفسى وطلبت منه أن يدرسها ويضع ملاحظاته عليها وفعلا اخذها وبعد أيام جاءنى بها وعليها ملاحظاته وتناقشنا معا فى بعض هذه الملاحظات ثم استدعيت الجنرال ويلسون واطلعته على رأينا فى الخطة ووفقنا بين هذه الآراء وشرعنا فى التنفيذ واودعت الخطة فى خزانتى فى وزارة الدفاع .

وهذه الخطة هى التى زعم الانجليز فيما زعموا انها وصلت الى ايدى الطليان . وضبطت فى جيب أحد الأسرى من قوادهم واتهمونى كما اتهموا الدكتور على ماهر والفريق عزيز المصرى فى ذلك وان تعجب فاعجب لهذا الاتهام العجيب . هذه الخطة أنا الذى اقترحتها ورافقت الجنرال ويلسون واشتركت فى وضعها . وكان الانكليز غافلين عنها . فما معنى ان نحرص على حماية هذا القطاع من أرضنا ليكون واقيا من هجوم كبير على صعيد مصر ، ثم ندفعها متطوعين الى عدو نريد ان نحمى بلادنا من عدوانه ؟ ولكن اراد الانكليز ذريعة يبررون بها ما تجنوا به على الدكتور على ماهر وطلبهم اقالته بدعوى انه لم يكن امينا على تنفيذ المعاهدة وانهم لا يطمئنون على بقائه فى الحكم ، ولكن خاب فالهم ولم يفدهم هذا التجنى عندما صدمناهم اثناء التحقيق بهذه الحقائق ولم يجد ويلسون ولا غيره ما يؤيد اتهامهم وباءوا بخزيهم وافترائهم .

واستقالت وزارة على ماهر بعد ان اتمت تنفيذ كل ما طلبه ويلسون لاعداد خطة الدفاع عن سيوة ، ولكن عجز الانكليز عن شغلها بالقوة اللازمة واشفقوا على جنودهم من الحياة فى سيوة وبقيت بلا حماية فهاجمها الطليان من جغبوب واحتلوها ، ولو ان هؤلاء الطليان كانت لديهم الشجاعة الكافية وكانوا يقوون على حرب الصحراء وواصلوا تقدمهم من سيوة لخلقوا للانكليز

ارتباكا فى خطة دفاعهم لا قبل لهم به وأرغموهم على فتح جبهات بدلا من جبهة واحدة فى العلمين ولكن الخوف الشديد الذى يمتلك هذه الجيوش الغربية عن الصحراء جعل الطليان ينمكشون فى سيوة ، واضاع عليهم فرصا كانت رحمة لمصر ، ومثل هذا الخطأ أو الخوف من حرب الصحراء هو الذى اضاع على نورى « شقيق أنور بشا » وجعفر العسكرى ما كان يمكن احرازه من نصر ضد الانكليز سنة ١٩١٦ مما سأذكر تفصيله اذا اتيح لمذكرياتى أن تنشر فى مناسبة أخرى .

ثمن دخولنا الحرب

ولما الح السفير البريطانى فى طلب دخول مصر الحرب اشترط الدكتور ماهر فيما اشترط الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وعقد معاهدة اخرى تشمل الجلاء عن مصر والسودان وان تكون معاهدة الند للند . بين دولتين مستقلتين .

فرفض السفير البريطانى هذا الطلب ورفضت الوزارة وقررت بالاجماع الا تدخل مصر الحرب الا اذا هوجم جيشنا وهوجمت مدننا أو توغلوا فى أراضينا دون استفزاز .

وقابلنى ويلسون بعد ذلك وسألنى عن سبب تمسك الحكومة المصرية بعدم اعلان الحرب فقلت له :

هل المعاهدة التى بيننا وبينكم تلزمنا باعلان الحرب ؟

قال : لا

قلت : فلماذا اذن تطالبوننا باعلان الحرب ؟ قال : للصداقة التى بيننا وبينكم .

قلت : هل الصداقة تلزم مصر ولا تلزمكم ؟ فلماذا لا توافقون على الجلاء من مصر وعن السودان جلاء تاما بمعاهدة حديثة تحل مكان معاهدة سنة ١٩٣٦ ؟

ماذا أقول للضابط والجندى المصرى الذى أسوقه الى الميدان ليموت ؟ وهل أقول له ضح بحياتك من أجل الامبراطورية البريطانية ؟ وهل تعتقد أنه يقبل هذه التضحية ؟ اما اذا قلت له : انك ستضحى من أجل بلادك وحريتك ، فانه لن يتردد عن ذلك بأى حال .

وهنا أجانبى ويلسون على الفور : عندك حق ..

ولكن الانجليز ظلوا يضعون العراقيل فى طريق الوزارة ويخلقون لهـا المتاعب وطلبوا منا طلبات كثيرة بغية احراج مركز الوزارة وارغامها علـى العدول عن موقفها ، من ذلك . ان تأمر بتفتيش السفارة الايطالية والالمانية والقاء القبض على بعض رجالهما ومنهم السفراء أنفسهم كما طلبوا اعتقال الجاليات الالمانية والايطالية فى مصر .

ورد الدكتور على ماهر على هـذا الطلب قائلا : ان مصر لو فعلت فسوف يعامل المصريون فى هاتين الدولتين نفس المعاملة كما ان بريطانيـا نفسها لم تلق القبض على سفرائهما ، ولا رجالهما الدبلوماسيين فيها بل سمحت لهم بمغادرة بلادها كما تقضى بذلك التقاليد الدبلوماسية .

وطلبوا أيضا القاء القبض على بعض موظفى القصر من الطليان وغير ذلك من الطلبات غير المعقولة ورفضت الوزارة بطبيعة الحال ان ترضخ لهـذه الطلبات .

وتبين لنا ان قرار الوزارة يمنع دخول مصر الحرب قد أغضب الانجليز اشد الغضب وجعلهم يتوقون الى الخلاص من الوزارة الماهرية فى أسرع وقت ممكن . وغضبت الحـكومة الانجليزية وأرسل وزير خارجيتهـا « هاليفاكس » برقية الى الملك السابق يطلب فيها اقالة وزارة على ماهر لانه لا ينفذ المعاهدة بأمانة ولا يحوز ثقة البلاد « وكنت أود أن ينشر الدكتور على ماهر ولو هذا الجزء من مذكراته لانه كان وزيرا للخارجية أيضا فى ذلك الوقت لأن فيها تفصيلا أوسع وبيانا ادق لمـا حدث بينه وبين السفير البريطانى ليعرف الشعب كيف صمدت مصر امام الانجليز لتتجنب ويلات الحرب » .

اجتمعنـا فى الظلام

ودعا الملك السابق الأقطاب من رؤساء الوزارات السابقين ورؤسـاء الهيئات النيابية ورؤساء الأحزاب للاجتمـاع فى قصر عابدين ودعيت أنا وحدى من الوزراء مع رئيس الوزراء بوصفى وزيرا للحربية ولما اكتمل عقد المجتمعين حضر الملك السابق وقال لنا .

لقد جاءتنى برقية من الحكومة الانجليزية تقول فيها : ان على ماهر لا ينفذ المعاهدة بأمانة وانه غير حائز لثقة البلاد وانها لذلك تطلب اقالتـه وقد ارسلت برقية الى ملك بريطانيا أفند فيها ما جاء فى برقية حكومته وأؤكد سلامة موقف على ماهر .

وأضاف الملك السابق قائلا : وبعد يومين جاءنى الرد من ملك بريطانيا يقول فيه بأننى تكلمت مع رئيس حكومتى وان حكومتى مصرة على موقفها

وبما انك أملك وستوى فلا أملك أكثر من ذلك ثم أضاف الملك السـابق قائلا : « وانى أترك لكم الأمر لتقولوا رأيكم فيه » ثم تركنا وانصرف وكان الأستاذ عبد الوهاب طلعت سكرتيرا لهذا الاجتماع .

وهنا بدت المناقشة رسؤال الدكتور على ماهر عن اسباب التوتر بينه وبين الانجليز ، فاعترضت السائل قائلا : ان هذا السؤال يجب أن يسبقه سؤال آخر هو : هل هذا المجلس الموقر يرضى أن نتدخل بريطانيا فى شئوننا الداخلية الى حد طلب اقالة وزارة ؟

فرد أحد المجتمعين قائلا : اننا فى حالة حرب .

وقال احمد زيور « باشا » الملك كشف نفسه .. الملك كشف نفسه ..
وجرت المناقشـة بعد ذلك وظهر مع الأسف من البعض ما لا يتفق وصيانة كرامة البلاد فى موقفها ورفض تدخل الانجليز .

الملك يتجسس

وفى أثناء ذلك حدثت غارة جوية واطفئت أنوار القصر .. فغادرت قاعة الاجتماع أتحسس طريقى فى الظلام باحثا عن تليفون لاعرف انباء هذه الغارة بوصفى وزيرا للحربية .. وبينما أنا أغادر القـاعة احسست بيد تمسك بيدى وسمعت صوتا يقول لى : هنا التليفون ، وقادنى صاحب الصوت الى غرفة أخرى داخلية مضاءة وكان هذا الشخص هو الملك السابق وقد كان ينصت خارج القاعة الى كل ما يدور فى قاعة الاجتماع من مناقشات .. والتفت الى قائلا : « هل تظن ان عندى رجال . هو انا عندى رجال » ولعل هذه العقيدة التى كانت تستولى على الملك السابق من انه ليس بمصر رجال ، من أهم العوامل التى جرفته حتى صدم بالحقيقة عندما ثبت له أن فى مصر رجالا وان هؤلاء الرجال لهم من الشجاعة والجرأة ما جعلهم يطيحون بعرشه ون يرغموا الانجليز على الرضوخ لما لم يستطع هو أن يرغمهم على أقل منه .

وانتهى المجلس بل كتب للملك انه يؤكد دستورية وزارة على ماهر ولانها حائزة لثقة البلاد ونفذت المعاهدة ولكن ازاء اصرار على ماهر على الاستقالة لا يرى المجلس الا أن يوصى بقبول هذه الاستقالة .

واعطى هذا القرار الى الاستاذ عبد الوهاب طلعت ليوصله الى الملك وهنا قال له أحد المجتمعين : قل للملك ان هذه الاستقالة يجب أن تقبل فقال له كيف أستطيع أن أقول للملك يجب أن تقبل ؟ وجاءت بعـد ذلك

وزارة حسين صبوى ثم وزارة حسين سرى ، وتطورت الأمور من سيء الى أسوأ والانكليز يصرون على وزارة يرضون عنها وحدث ما حدث فى يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

وكنت أتوقع أن تغمر البلاد فى اليوم التالى المظاهرات الصاخبةاحتجاجا على هذا التدخل البريطانى الجارح لكرامة البلاد ولكن حدث مع الأسف أن الذين وكل اليهم الأمر استطاعوا أن يسكتوا كل صوت فى البلاد .. فدعوت أعضاء مجلس ادارةجمعية الشبا نالمسلمين وشرحت لهم الموقف وتم الاتفاق على أن أقدم باسم الجمعية احتجاجا شــديدا الى السفارة البريطانية وحملت هذا الاحتجاج وذهبت به الى السفارة وقدمتــه الى السير سمارت السكرتير الشرقى فى ذلك الوقت فما كاد يعلم فحواه حتى قال لى فى تهكم . أهو اعلان الحرب . ؟

فقلت له بنفس الطريقة : لو استطيع أن أعلنها لمــا ترددت . وانت تعرف .

واتصلت ببعض الضباط الشبان والشـــباب وشرحت لهم الموقف وما يتطلبه من وجوب اعلان سخطهم على هذا الاعتداء حتى يدرك الانجليز ان مصر لا تصبر على هـــذه الاهانة التى لحقت بكل مصرى وبدأت وفود الشباب تتقاطر على القصر معلنة احتجاجها على تدخل الانجليز ..

يطلبون نفى

وغضب الانجليز لموقفى هذا وطلبوا نفى الى سيشل أو جنوب افريقيا ولكن الحكومة اكتفت بابعادى الى اسوان كما طلبوا من الحكومات المتعاقبة أن استقيل من رياسة جمعية الشبان المسلمين فرفضت ذلك بشـــدة وأفهمتهم ان هذه الرياسة بيعة فى عنقى لا ينزعها الا الشـــبان المسلمون أنفسهم . وعلقوا عودتى من اسوان الى أن استقيل فرفضت ذلك أيضــا وبقيت مبعدا فى اسوان من سنة ١٩٤٢ الى سنة ١٩٤٥ .

واعتقل الدكتور على ماهر كذلك تارة فى الشمال وتارة أخرى فى الجنوب ولقى ما لقى ، ووددت مخلصا ان ما حصل للدكتور على ماهر لم يحصل حفظا لكرامة المصريين فى التاريخ .

الفصل الثانى

خطبه فى السودان

الاهرام الاثنين ١٩٤٠/٢/٢٦

تكلم رئيس الغرفة التجارية اثناء زيارة صالح حرب مع على ماهر

للسودان اثناء الحرب العالمية الثانية

المستر ماكارتى

ووصف اللواء صالح حرب

بأنه رجل العمل الذى انجز الكثير منه حتى جعل الجيش المصرى كامل العدة للقيام بأى واجب يدعى به ثم قال وانه لمن دواعى الاغتباط ان يقيم الجيش المصرى بين ظهرانينا للدفاع عن هذه البلاد مع الجيوش السودانية والبريطانية جنبا الى جنب محافظا على تقاليده القومية المجيدة .

ومبرهنا للعالم على شدة ايمان مصر بالمبادىء الديمقراطية .

جاء فى اهرام ١٩٤٠/٢/٢٧

عن على ماهر باشا

قضت السياسة بأعلى كما قضى ذو العرش انك فى الحقيقة ماهر

فاجعل من القطرين شعبا واحدا من فوقه علم المودة ظاهـــــر

٢٧ فبراير سنة ١٩٤٠

خطب اللواء صالح حرب فى النــــادى المصرى فى وادى مدنى بالكلمة الآتية :

امرنى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا ان اخطبكم اليوم وانا جندى متى امرت اطعت .

ابناء العمومة والخوولة

اتقدم اليكم باسم رفعة الرئيس فخر القطرين بل فخر العروبة كلهـا وباسم صديقى الكريم امير البيان عبد القوى احمد بك لأقوم بواجب الشكر ولكن هيهات فاى شكر يفى بهذه الحفاوة البالغة وهذا التكريم الكريم وهذا الشعور الفياض من خطبائكم وشعرائكم ولان شكرت حتى يبلغ الشكر مداه فما انا موفيكم حقكم فى الثناء وفى الواقع ليس فى هذا الشعور الذى تبدونه عجبا فانتم منبت الكرم فيكم واخضرت اوراقه وارتفعت سيقانه وتهدلت فروعه وكانت سحابة المكرمات فى هذه البلاد مهد البطولة والرجولة والشمم فاحييكم تحية الصديق للصديق بل تحية الشقيق الشقيق واحى فيكم السودان كله .

قال احد خطبـــائكم بانى سودانى مصرى نعم انا ابن القطرين وصلة النسبين انا ابن مصر والسودان ولا فخر حياهما الله تعالى تحية مباركة ما جرى النيل بينهما ابا رحيما وفاض على التربتين كريما وان بيننا وبين السودان صلات لا تنفصم عراها ابدا وكيف ينفصم ما بيننا وبينكم وكل الروابط والصلات تقربكم الينا .

الباب التاسع

جمعيات الشبان المسلمين

الفصل الأول

العروبة والاسلام

الواقع ان جمعية الشباب المسلمين تعد منذ نشأتها المركز الاسلامى الكبير الشديد الحساسية بكل ما يصيب العرب والمسلمين من حوادث واحداث ولقد كانت جمعية الشبان المسلمين دائما فى خدمة الاسلام والعروبة .

أربعة أهداف

لقد تأسس بالمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين فى جمادى الأولى سنة ١٣٤٦ هـ « ديسمبر سنة ١٩٢٧ » على هدى من الخطوط الرئيسية الأربعة الجامعة المدونة فى مفتتح قانونها الأساسى وهى :

- بث الآداب الاسلامية والأخلاق الفاضلة .
- السعى لانارة الأفكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر .
- العمل لازالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية .
- الأخذ من حضارتى الشرق والغرب بمحاسنهما جميعا وترك ما فيهما من مساوىء .

وقد تأسست جمعية الشبان المسلمين فى فترة كاد الشباب فيها ينسلخ من اسلامه وعروبته . وابتدأ بعض الكتاب فى ذلك الوقت يجرؤن على المجاهرة بهدم سلطان الاسلام فى النفوس . ويتطرفون بالتظاهر بالالحاد والانحلال . ثم أنشئت جامعة « فؤاد الأول » سنة ١٩٢٤ وقد بلغت جرائمهم فيها أن صاروا يضعون نصوص القرآن الكريم بين أيدى الطلبة موضع النقد الجارح والشك الشديد ويأخذون فيها بأقوال أعداء الاسلام من المستشرقين والمبشرين والمستعمرين .

حركة عظيمة

وقد كان انشاء هذه الجمعية حدثا كبيرا لفت انظار الراصدين لحركات الشعوب الاسلامية . سواء من رجال الصحافة العالمية او رجال السياسة والدارسين المستشرقين ..

كتبت جريدة التيمس « غداة تاسيس الجمعية تصفها بانها ظاهرة من ظواهر التطور والاصلاح الدينى فى « مصر » ومسايرة العصر بجهود نخبة من الجامعيين للثقافة الاسلامية والغربية . الدارسين فى معاهد أوربا .

وكان ذلك فى سنة ١٩٢٧ .

اننا نورد للقارىء هنا قول المستشرق « كامبفماير » عن حركة الشبان المسلمين : « واستطيع القول : انها الحركة الفذة العظيمة فى البلاد العربية فى ايامنا هذه . ولا نبالغ مهما قلنا عما لها اليوم وفى المستقبل من خطر وتأثير . »

الرياضة وسيلة

ولكن .. ما هى الجهود التى بذلتها الجمعية على هدى الخطوط الأربعة التى ذكرناها ..

ان الهدف الاول هو بث الآداب الاسلامية والاخلاق الفاضلة .. وهذا هو العمل الروحى الاول الذى تنهض به الجمعية ..

وقد سلكت الجمعية الى تحقيق ذلك سبيلين : السبيل الأول وسيلة الى الثانية وهى سبيل التربية البدنية التى تندرج فى الواقع كما يفهمها العقل الاسلامى فى صميم التربية الاسلامية الروحية . باعتبار الرياضة هى الوسيلة الى القوة وكمال التكوين . والقوة مطلب اساسى للمسلم . لا للاعتداء بها ولكن لدفع الاعتداء وارهاب العدو واحتمال الجهاد فى سبيل الله .

ملاعب قانونية

ومن اجل تحقيق ذلك جهزت الجمعية ملاعبها الرياضية بالانواع المختلفة من اجهزة القوة البدنية كما زودتها بالمدربين المتازين .

وفى المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ملاعب قانونية . وعدة فرق رياضية لكرة السلة والتربية البدنية والجمباز والمصارعة والملاكمة ورفع الأثقال وكمال الأجسام والبنج بنج .

ويشرف على كل فرقة من هذه الفرق مدربون أكفاء متخرجون فى معهد المدربين . وقد خرجت الشبان المسلمين آلافا من الرياضيين المجيدين والأبطال العالميين . كما ان المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين يشرف على دراسات قادة الجماعات للهيئات الأهلية . باشراف الأستاذ حسنى خليل عضو اللجنة الرياضية العليا .

جمعيات الشبان المسلمين

المحاضرات

وقد حققت الجمعية الهدف الثانى ..

لقد سعت لانارة الافكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر .. وسلكت الى تحقيق ذلك عدة سبل .

تنظيم محاضرات اسلامية وندوات دورية فى مختلف وجوه البحث الدينى والعلمى والأدبى والاجتماعى والاقتصادى .. وقد صارت القاعة الكبرى للمحاضرات بالمركز العام هى القاعة الأولى فى القاهرة نشاطا وازدحاما على موارد الثقافة الاسلامية والعربية بشتى انواعها . ومختلف نواحيها ، وهى تتسع لأكثر من خمسمائة شخص .

ندوات السبت الثقافية

وكان يشرف عليها المرحوم الأستاذ على الجمبلاطى . وكانت تعد منارة لاشاعة الوحى الروحى والقومى والثقافى والاجتماعى والادبى والفنى .

حديث الاثنين

وكان يشرف عليها الأستاذ احمد الشرباصى . وكانت عبارة عن حلقات من الدروس العامة والمحاضرات المثقفة فى الاسلام المفقهة فى الدين . الرابطة بين العقيدة والحياة .

القسم الاجتماعى

وكان الأستاذ على الغزالى الحبيالى بنشاطه المعروف يشرف عليه

التمثيل والموسيقى

وكان يستهدف خدمة الأهداف الاسلامية والوطنية .

مجلة الشبان المسلمين

ويحقق المركز العام هذا الهدف ايضا عن طريق هـذه المجلة . مجلة الشبان المسلمين التى يصدرها المركز العام لجمعيات الشبان .

وقد استطاعت ان تكمل رسالة المركز العام . كما انها الوسيلة الوحيدة القوية لنشر اخبار ونشاط فروعه فى جميع انحاء العالم .

وقد نجحت هذه المجلة والحمد لله بفضل تاييـــد المسئولين لها . وتشجيع الجمعية لها وعلى راسها السيد اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين .

حتى استطاعت ان تســد فراغا كبيرا كان موجودا فى عالم الصحافة الاسلامية .

المكتبـة

ومكتبة المركز العام وسيلة ايضا لتحقيق هذا الهدف . انها تخـدم روادها بفتح ابوابها يوميا لتثبيت روح الثقافة بين الأعضاء ، والمركز العام بصدد بناء مكتبة جديدة فى موضع لائق لتتفق مع نهضتنا ومركزنا الاسلامى العالمى .

رهط الجوالة

وقامت عشيرة جوالة المركز العام بنشاط كبير .. ونظمت بعض حفلات التعارف بين اعضاء الجمعيـة .. الى جانب حفلات السـمر الكشفيـة والرحلات المختلفة والمعسكرات التدريبية .. وهو من اقدم فرق الجوالة .

تعليم ابناء معروف

ومن الوسائل الهامة لتحقيق هذا الهدف .. تاسيس مؤسسة لتعليم الصبيان من ابناء الفقراء فى حى معروف الذى يقع فيه المركز العـام للشبان المسلمين الآن .

ويبلغ عددهم حوالى مائة فتى . وهم يدربون تدريبا رياضـيا كما يكسون ويطعمون بعض الوجبات فى دار الجمعية .

ويشرف على هؤلاء الفتيان اخصائيون اجتماعيون .

مدرسة الاكفاء

وأنشأ المركز العام مدرسة هدى الكفيف هناك فى سكة النبوية بدرب سعادة بباب الخلق بالقاهرة . وهى مكونة من طابقين . وعدد طلاب هذه المدرسة ٨٧ طالبا من البنين و ١١ طالبة . وهى خاصة لتعليم خط بريل وتحفيظ القرآن الكريم والموسيقى .

مسجد الشبان المسلمين

وللجمعية مسجد فسيح بجوارها يؤمه الكثير من المصليين يوميا وبخاصة أيام الجمعة فلا يكاد يتسع للمصلين رغما عن سعته . فتقام الصلاة فيه وفى أفنيته المركز العام بملاعبه الواسعة وحديقته الفسيحة .

الرحلات

وسلكت الجمعية الى تحقيق هذا الهدف أيضا القيام بالرحلات داخل الجمهورية العربية والى البلاد العربية والاسلامية والأوربية ، لاكتساب المعارف المختلفة والتعاون وتربية الأخلاق .

وكان المرحوم اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام للشبان المسلمين دائم التطواف بفروع الجمعية فى المحافظات المختلفة . ليبشر بالعروبة ويدعو الى القومية العربية والتمسك بالايمان والدفاع عن الاسلام، وهو فى هذا يجدد للفروع حيويتها ، ويبارك جهودها فى أداء رسالتها .

تاريخ حافل

وكان للمركز العام خلال حياته الطويلة الحافلة دور كبير فى سبيل تحقيق الهدف الثالث وهو العمل لازالة الاختلاف والجفاء بين الطوائف والفرق الاسلامية ..

ان له فى ذلك جهودا خالدة .. منها :

توسطها وسعيها الحميد حين نشبت الحرب بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية فى عهد عاهليهما المغفور لهما الملك عبد العزيز والامام يحيى فى سنة ١٩٢٨ .

مسارعتها الى الدعوة لنجدة الحبشة .. الجارة المسيحية . حينما غزتها جيوش ايطاليا فى سنة ١٩٣٨ وقد لبى نداءها المصريون جميعا على اختلاف اديانهم .

تنبيههم الأذهان واثارتها الهيئات وعقدها الاجتماعات للاحتجاج على ما بلغها من عزم فرنسا من اصدار ظهير « مرسوم » فى مراكش سنة ١٩٣٥ بمنع مسلمى البربر هناك من التحاكم الى الشريعة الاسلامية . ويحملهم على التحاكم الى العادات والتقاليد العرفية كيدا من الفرنسيين للاسلام وتمهيدا لحركات التنصير واشاعة للفرقة والاختلاف بين أبناء الوطن الواحد من عرب وبربر .

عملها الموصول للقضية الفلسطينية منذ ان استفحل الخطر اليهودى فيها . وكانت دارها المركز الأول فى « مصر » لمجاهدى فلسطين وزعمائها وانصارها وجامعى التبرعات لمنكوبى ثورتها المختلفة وما زالت للان تواصل جهدها فى الدعوة الى استرداد الجزء المحتل فيها بعد وقوع المأساة .

اثار الرأى العربى العام فى مناسبات شتى على اعمال الطليان الاستعمارية فى ليبيا . وخاصة عندما اعدموا الشهيد عمر المختار سنة ١٩٣٠ .

توجيه الأنظار الى ما يعانيه اهالى شمال افريقية تونس والجزائرومراكش من عسف الحكم الفرنسى .. وكانت دارها كذلك بمثابة منبر لزعماء المغرب والفارين من الاضطهاد الفرنسى حتى كلل الله جهود تونس والمغرب ببعض

والفارين من الاضطهاد الفرنسى حتى كلل الله جهود تونس والمغرب بما تصبو اليه . وحتى شبت الثورة الباسلة العزيزة . وما زالت فى الندوات والاحتفالات المختلفة تؤيد هذه الثورة .. حتى نالت الجزائر استقلالها .

كانت دارها ومنبرها اداة للدعاية لاستقلال الشعب الأندونيسى الشقيق وتحريره من الاستعمار الهولندى . وقد الفت فيها جماعة من الأندونيسيين والمصرين والعرب لمواصلة السعى فى هذه القضية . حتى كافأ الله جهد هذا الشعب المسلم الحر بالاستقلال .

حرصها على حضور وفود منها فى المؤتمرات الا[illegible] التى تعقد فى مناسبات مختلفة كالمؤتمر الاسلامى الأول الفلسطينى الذى عقد فى

القدس فى ويسمبر ١٩٣١ . والمؤتمرات الاسلامية التى عقدت فى باكستان عام ١٩٥٢ والمؤتمر الاسلامى العالمى الذى عقد فى القدس عام ١٩٥٣ ومؤتمر الخريجين العرب الذى عقد فى القدس سنة ١٩٥٤ ومؤتمر الشعوب الاسلامية بكراتشى عام ١٩٥٣ ومؤتمر الأدباء العرب بالكويت عام ١٩٥٩ . ومؤتمر الشباب القومى

شعورها العميق بأهمية قضية السودان وعلاقته الطبيعية الحتمية لمصر باعتبارها مسألة حيوية للقطرين الشقيقين معا . ولذا كان سعيها وجهدها الموصول لتنبيه الأذهان واثارة اليقظة لهذه القضية من أعظم ما قامت به موفوعة بعوامل من الوطنية الصادقة والعروبة والاسلام .

وكان اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام للشبان المسلمين أول من نبه الأذهان منذ أكثر من اربعين عاما الى مؤامرة الانجليز فى السودان وسعيهم لمحاولة فصله عن شقيقته مصر ، وقد شهدت منابر الشبان المسلمين سيلا من خطبه فى هذا المجال ..

اعتدال

وعملت الجمعية من اجل تحقيق الهدف الرابع من أهدافها .. وهو الأخذ من محاسن حضارتى الشرق والغرب وترك ما فيهما من مساوىء .. لقد اجتهدت من أجل تحقيق هذا الهدف على أن تكون حياتها أمام الناس صورة طبيعية مهذبة من الحياة الاجتماعية العامة ..

فروع الجمعية

وقد اينعت هذه الشجرة المباركة شجرة الشبان المسلمين وامتدت فروعها وأصبح لها الآن فروع فى جميع المحافظات ، ١٨ فرعا خارج الجمهورية منها جمعية الشبان المسلمين بأمريكا وهناك ٣ فروع فى أوربا ، ١٤ فرعا بين ربوع أفريقيا وآسيا .

ولقد كانت وفود جميع البلاد الاسلامية تحضر الى الجمعية وتكرمها الجمعية وتتناول معها الراى فى خير الطرق لخدمة الاسلام والمسلمين .

ولقد كون جماعة من المصريين والسودانيين هيئة لتعمل لخدمة وادي النيل جاء عنها فى كتاب كنت فى السودان للاستاذ محمد صبيح الصادر فى ١٩٤٦/٥/١ ما يلى :

حدث فى الشهور الاخيرة ان التفت جماعات من كبار المصريين المشتغلين بالسياسة يمثلون جميع الاحزاب كما يمثلون المستقلين واشترك من الجانب المصرى فى هذه المباحثات أصحاب السعادة محمد على علوبة باشا ومحمد صالح حرب باشا وعبد الرزاق السنهورى باشا وفضيلة الأستاذ حسن البنا وعبد المجيد ابراهيم صالح باشا ومحمد صلاح الدين بك والأستاذ فتحى رضوان والأستاذ عبد الحليم محمود وعبد القادر مختار بك واللواء محمد عابدين باشا والأستاذ جلال حسين والسيد عبد المجيد الرمالى والدكتور محمود دياب والأستاذ طاهر الطناحى والأستاذ عبد الله حسين ومؤلف هذا الكتاب واشترك فى مرحلة من هذه المداولات بصفته الشخصية محمود بك زكى وكيل وزارة التموين المساعد .

وتداولوا مع اخوانهم اعضاء الوفد السودانى فى القاهرة لكى يوضع ميثاق مصرى سودانى يحدد العلاقات المصرية السودانية وكان الاتفاق بين الفريقين المتباحثين تاما فى كل شيء وقد سلم المصريون والسودانيون بان يكون التاج واحدا والتمثيل واحدا والجيش واحدا وان يكون للسودان حكومة داخلية ترعى شئونه .

وكانت الرقابة فى ذلك الوقت شديدة وكنا نجتمع سرا فى مكتب الأستاذ محمد على علوبة باشا — وهذه الهيئة انتهت الى قرارات تعتبر خير قرارات لخدمة مصر والسودان .

ولقد رايت فى الجمعية المرحوم الرئيس اسماعيل الأزهرى والرئيس الحبيب بورقيبة وغيرهم ولا انسى كلمة الرئيس الحبيب بورقيبة وكنت أدعوه بالسيد حبيب بدل من سى الحبيب . فقلت له يوما وانا اسير معه من الجمعية فى الطريق الى عيادتى بباب اللوق ومررنا بالجانب القبلى الشرقى من دار الآثار المصرية (الانتكخانة) .

— فيما تفكر يا سيد حبيب الآن ؟؟

— فأجاب افكر فى ابنى وهو الحبيب بورقيبة الصغير
تونس سابقا)

الفصل الثانى

ابطال جمعية الشبان المسلمين



الدكتور عبد الحميد سعيد (١)

ولد من ابوين مصريين فاضلين كان ابوه المرحوم ابراهيم باشا سعيد من أكبر أعيان مصر ودخل مدرسة الابتدائية ونال البكالوريا من مدرسة التوفيقية الثانوية وسافر بعد ذلك الى باريس مبعوثا فى أول بعثة أرفدتها الجامعة المصرية الأولى سنة ١٩٠٧ وحصل على شهادة الدكتوراه للقانون والاقتصاد السياسى ثم سافر بعد ذلك الى الاستانة وتطوع فى الجيش العثمانى أثناء حرب البلقان سنة ١٩١٢ واشترك فى المعارك التى دارت بين العثمانيين والبلغار وأصيب فى معركة قرقليشا فى بلغاريا فى الرومالى وجرح واهتم بالبحث عنه الأمير عزيز حسن وكان قائدا بالجيش العثمانى حتى وجده جريحا فى بطنه وكان يحبو فأخذه الى المستشفى فى استانبول وعولج

هـذا ما نقلته شخصيا عن فضيلة الاستاذ الكبير المرحوم الشيخ محمد عبد اللطيف دراز

وخرج من المستشفى واستمر فى استانبول وتركيا اثناء الحرب العالمية الاولى وقدم نفسه الى انور باشا وزير الحربية فكلفه بالذهاب للتوفيق بين ال سعود وال الرشيد فى نجد وذهب الى هناك ولم ينجح فى وساطته وانتهى الامر بنجاح عبد العزيز آل سعود وامارته على نجد ثم كلفه انور باشا بالتوجه الى مكة وذهب الى هناك ودرس حالة الحجاز واطلع على خفاياه وعلى ما يدبره شريف مكة حسين ابن على ضد الامبراطورية العثمانيه وعرف ما يدور بين الشريف حسين ومكماهون من مفاوضات بشأن اشتراك العرب فى الحرب ضد تركيا وهنا طلب من انور باشا القبض على الشريف حسين وجميع انجاله لانهم يعملون ضد الخلافة الاسلامية وانعقد مجلس وزراء تركيا وعرض عليه الامر وقرر عدم الموافقة عليه لأنه يثير ثائرة العالم الاسلامى واعلان الأمير حسين بن على الثورة على الأتراك اثناء وجود الدكتور عبد الحميد سعيد فى مكة فهرب عبد الحميد سعيد فورا الى الشمال نحو الشام وتركيا فى طريق صحراوى شاق وحين يئس من تركيا انتقل الى بعض البلاد الاوروبية المحايدة يجاهد مع اخوانه أعضاء الحزب الوطنى ضد الانكليز .

ورجع الى مصر بعد السماح له بالرجوع مع غيره من المنفيين سنة ١٩٢٣ ولما وصلت الباخرة به الى الاسكندرية تردد محافظها فى السماح له بالنزول ورجع الى محمود باشا عبد الرازق وكيل الداخلية فى القاهرة فاصدر امره بالسماح له بالنزول فى مصر واحيل محمود عبد الرازق الى المعاش نتيجة لذلك .

صدر دستور سنة ١٩٢٣ واستعد الناس للترشيح للبرلمان وطلب اليه والده ابراهيم باشا سعيد وكان نائبا فى عهد عرابى ان يقابل سعد زغلول باشا ويلتمس منه أن يرشحه للبرلمان حتى يمكنه ان يصل الى مجلس النواب وكان اسم سعد زغلول اسما سحريا فى الانتخاب وفى العالم كله وكانت تهرت الناس فداء لسعد زغلول وكان يقال او رشح الوفد حجرا لانتخباه وبالرغم من كل ذلك رفض عبد الحميد سعيد طلب والده الكريم ان يلجأ الى احد حتى ولو كان سعد زغلول لينجح فى الانتخاب لأنه كان يؤمن بمبادىء الحزب الوطنى مبادىء مصطفى كامل ومحمدفريد ولم يشأ أن يتنكر من مبادئه ورشح نفسه للانتخابات على مبادىء الحزب الوطنى ونجح فيها نائبا عن دائرة سخا التابعة لمركز كفر الشيخ واستمر يمثل الدائرة الى آخر يوم فى حياته وكان هو وبعض نفر من أصدقائه يعدون على

الاصابع وعلى رأسهم عبد اللطيف الصوفانى أن يحرجوا الحكومة حتى اضطر سعد زغلول أن يقول لهم هاتوا لى تجريده .

ولم يترك صغيرة ولا كبيرة للحكومة الا وناقشها فيها وكاد يطبق بخناق الأستاذ وليم مكرم عبيد اثناء مناقشة برلمانية شعر فيها ان هناك مساسا بمشاعره الدينية الملتهبة .

وحدث حادث آخر مع الأستاذ عباس محمود العقاد كاد يمسك فيه بخناقه أيضا بسبب استجواب قدمه الشيخ عبد الوهاب سليم خاصا بكتاب لبرنارد شو فيه مساس بالدين الاسلامى ويدرس فى كلية الآداب وكان عميدها الدكتور طه حسين وله شهرة خاصة من ناحية الدين بكتابه فى الأدب الجاهلى واهملت الحكومة عرض الاستجواب واجلته المرة تلو المرة ولما عرضت ميزانية كلية الآداب انتهزها الدكتور عبد الحميد سعيد فرصة وتكلم فى موضوع استجواب الشيخ عبد الوهاب سليم وهو خاص بسياسة التعليم بكلية الآداب بحجة ان الحكومة خالفت اللائحة فى وجوب عرضه فى الوقت المناسب وتكلم العلماء الأزهريون وعلى رأسهم الشيخ دراز مؤيدين كلامه وقام الأستاذ محمود عباس العقاد ليرد عليهم وقال (لا خوف على الاسلام الا من المتجرين بالاسلام) وهنا هاج عبد الحميد سعيد وذهب للرجل لضربه واعترضه نواب كثيرون وفضوا المسالة .

وقد ثار ضده الدكتور احمد ماهر مدعيا انه استفاد مالا أثناء حكم اسماعيل صدقى فبين المرحوم عبد الحميد سعيد انه استفادة من تسوية الديون التى استدانها لخدمة الوطن مثلما استفاد غيره الذين استدانوها لفساد خلقهم وهذا لا عيب عليه فيه .

اما جمعية الشبان المسلمين فكاد الأستاذ محب الدين الخطيب أول من فكر فيها للتاريخ وكان سوريا نزح الى مصر واسس مكتبة الفتح وتدارس الاخوان فى شأن جمعية الشبان المسلمين ووقع اختيارهم على الدكتور عبد الحميد سعيد رئيسا لها فى ديسمبر سنة ١٩٢٧ — لسابق خدمته للاسلام والمسلمين وشهرته فى الزود عن المسلمين .

وكان انتخابه فى اجتماع شعبى كبير انعقد بدار سينما كوزمو حضره حوالي الألف شاب من الذين اشتركوا فى تأسيس الجمعية وفى هذا الاجتماع وقف أحد الخطباء (الأستاذ كير شاه) وطلب من عبد الحميد سعيد أن يكشف عن صدره ليرى الناس اثر الرصاص الذى تلقاه عبد الحميد سعيد فى حربه لنصرة الاسلام .

واجروا سراى يكن باشا وهى التى بنى مكانها مقـر مجلس الوزراء الحالى أمام البرلمان بمبلغ ٥٥ جنيه وكانت عائلة يكن لا تملك غير ربع المبنى وكان ٣/٤ ملك رجل يهودى باعوها له لفسادهم وافلاســهم ثم اقامت الجمعية يانصيبا لم يقدر له النجاح الواجب ولكنه عاد للجمعية بمبلغ ٤٠٠٠ جنيه واقرض المرحوم حسن صبرى باشا وزير المالية اذ ذاك ٦٠٠٠ جنيه من الحكومة للجمعية لبناء دارها الجديدة فى مكانها الحالى فى شـارع رمسيس الذى تمكن عبد الحميد سعيد بنفوذه الشخصى من اخذ الأرض من الحكومة بثمن رمزى وكانت تسدد الجمعية أقساطها سنويا الى الحكومة حتى مدة أخيرة .

وكنت أسمع ان الملك فؤاد هو الذى ساعد على انشاء الجمعية وأمدها بالمال وكنت أعجب لذلك فهو اللص الذى كان يأخذ أراضى الناس بالقوة ثم تأكدت بعد ذلك ان ذلك كله كان هراء فى هراء ولم يصل الى الجمعية أى قرش من السراى الملكية بالرغم من الهالة التى كانوا يحيطونه بها والصفات التى يلصقونها به على أنه المسلم الورع التقى المرشح للخلافة الاسـلامية وهو عارى من ذلك كله فلقد طلب من ايطاليا ان ترشحه ملكا على البانيـا ويغير دينه الى الكاثوليكية فرفضت وهو الذى قال فيه المرحوم احمـد شوقى قصيدته المشهورة حين رشحه الشيخ الاحمدى الظواهرى شيخ الأزهر خليفة للمسلمين .

زعموا الخلافة سيرة فى النـادى   اين المبـايع بالامام ينـادى

من باب يلتمس الخلافة فى الكرى   لم يلق غير خـلافة الصـياد

وانتهى امر خلافته بعد نشر القصيدة الى الأبد .

وكان المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد لا يبخل بماله أو حيـاته من أجل الاسلام والمسلمين فلقد باع محصول العزبة من القمح وهو مدين ليقيم وليمة افطار لشوكت على الهندى دعى اليها فريق كبير من اعيان مصر وأقيمت فى منزل بالجيزة كان يؤجره من ماتوسيان .

قام بذلك كله من اجل الاسلام والمسلمين ولم يذهب الى أوروبا وامريكا فى الصيف ليتنزه على حساب الجمعية بل كان يبيع أرضـه من اجل الجمعية .

أكتب هذا للعظة والذكرى ورحمة الله وأمثاله وادخله فسيح جناته .

الدكتور يحيى الدرديرى :

كان ثانى اثنين فى تنفيذ مشروع الجمعية : هو والمرحوم محب الدين الخطيب ولذلك وقع عليهما اختيار زعيم الجمعية الأول الدكتور عبد الحميد سعيد ليكونا جناحيه فكان الخطيب أول أمين للصندوق والدرديرى أول سكرتير عام .

ولقد تخرج الدكتور الدرديرى فى الاقتصاد الساسى من جامعة برلين ولذلك فقد ضم الى نشاط الجمعية نخبة من الشباب المتخرجين فى مختلف العلوم بالمانيا وشكل منهم لجنة ثقافية تحت اشراف العالم الجليل المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار .

وكان الدكتور الدرديرى هو المحرك الأول للنشاط فى الجمعية .. وهو الذى أنشأ أول مجلة وراس تحريرها وكانت مجلة متخصصة فى نشر بحوث العلم والدين ثم راى فيما بعد استبدالها بمجلة جماهيرية فى عهد صالح حرب .

الشيخ محمد عبد اللطيف دراز

أحد اعلام جمعية الشبان المسلمين ولد فى قرية محلة دياى مركز دسوق وتعلم فى الأزهر وتخرج سنة ١٩١٦ مشتعلا ثورة ووطنية وعين مدرسا بالأزهر وما أن قامت الثورة سنة ١٩١٩ حتى أصبح أحد أبطالها واعتقل فى ثكنات قصر النيل ثم نقل الى ثكنة سيدى بشر بالاسكندرية سنة ١٩٢٠ وفصل من وظيفته ثم عاد الى الوظيفة فى وزارة عدلى لكن حين كان يقوم بالمفاوضات فى لندن وكان عبد الخالق ثروت باشا يقوم بأعمال نائب رئيس الوزراء ثم اشتغل فى جميع وظائف الأزهر حتى وصل الى منصب وكيل الأزهر ورشح نفسه للبرلمان واصبح نائبا من سنة ١٩٣٨ الى ١٩٤٢ واعتقل مدة اثناء الحرب العالمية الثانية فى معتقل المنيا مع الرئيس أنور السادات وحسن عزت ثم أفرج عنه وانتخب عضوا بالبرلمان سنة ١٩٤٥ واستقال سنة ١٩٤٦ لتعيينه مديرا للازهر مع انه كان يجوز له الجمع بين الوظيفة والعضوية .

دخل جمعية الشبان المسلمين منذ انشائها وذهب الى اسيوط فاقام بها جمعية للشبان المسلمين بتوجيه من الدكتور عبد الحميد سعيد واختير عضوا بمجلس الادارة ثم كان وكيلا بالمركز العام للجمعية بالقاهرة .

عبد القادر مختار بك

كان ضابطا فى الجيش المصرى وفصله الانجليز لوطنيته وحولوه الى البوليس وقامت ثورة ١٩١٩ فكان احد ابطالها واستقل بكفر الشيخ كما استقل الأستاذ يوسف الجندى بزفتى وكان وفديا ثم انسلخ عن الوفد

لم يترك عبد القادر مختار السياسة بل انضم الى حزب مصر الفتاة وكان كله من الشبان ولكن عبد القادر مختار لم يعبأ بمسألة السن فلقد عاش طول عمره المديد مكافحا كاصغر الشبان وكان جريئا فى الحق يكتب ما يعن له الى الملك فؤاد والملك فاروق والرئيس جمال عبد الناصر فكان لسان حال الأمة ولم يطلب شيئا لنفسه وكانوا لا يحاسبونه لأنهم يعرفون صدق نواياه واخلاصه للدين والوطن . وكان سكرتيرا عاما لجمعية الشبان المسلمين ويحضر للجمعية من الصباح الباكر لمقابلة زعماء المسلمين من جميع اقطار الأرض .

وكان من بين اعضاء الجمعية

الاميرالاى احمد منصور بك الذى كان قد هرب من مصر مع صالح حرب الى ليبيا اثناء الحرب العالمية الأولى .

والاميرالاى على شاهين بك الذى اشتغل معه فى خفر السواحل وادى خدمات جليلة اثناء تواجده فى ليبيا .

والأستاذ احمد رمزى بك السفير بالخارجية والمتضلع فى الشئون الخارجية والاسلامية تضلعا ليس له نظير .

والدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية وكان ملما بجميع شئون العالم السياسية .

والأستاذ محمد زكى على المحامى وعضو الحزب الوطنى وكان قانونيا من الطراز الأول واعتقل اثناء الحرب العالمية الأولى وكان وكيلا للجمعية .

وقد تولى منصب الوزارة فيما بعد ثم ما لبث ان استقال منه عند أول صدام سياسى يتنافى مع مبادىء الحزب الوطنى الذى كان من اقطـــابه

الاستاذ عبد العزيز على من اكبر الأشخاص اهتماما بالمسائل الاسلامية والوطنية .

وكانت الجمعية فى عهد اللواء صالح حرب خلية نحل فى خدمة العامة والخاصة ليلا أو نهارا فكانت ملجأ لكل قاصد ولكل مضـــطهد وكانت لشخصية أعضاء مجلس ادارتها القسط المعلى فى نجاح أى طلب فلقد كان لهم سابقة فضل على الأمة وعلى الأشـــخاص البارزين فى الدولة ولذلك كانوا يقبلون رجاءهم وكان لاجتماعات الجمعية وقراراتها صدى فى الخارج ومن الأمثلة التى تذكر ان فرنسا أصدرت قانونا خاصا بالبربر فى المغرب وكانت تسميه الظهير البربرى وكان المقصود منه احياء تقاليد البربر قبل الاسلام ومحاربة تعاليم الاسلام ودعت الجمعية الى عقد اجتماع كبير وتكلم فيه كثيرون من أعلام الأمة ومختلف طوائفها ثم وجهت نداءات الى برلمانات العالم وحكوماتها تحتج على هذا الظهير البربرى وكان من أثر ذلك انذهب مسيو بوانكاريه رئيس جمهورية فرنسا الى المغرب ليرد بنفسه فى محافظاتها على بيان جمعية شبان المسلمين .

تاريخ أى تاريخ .

الفصل الثالث

مختارات من مقالات صالح حرب

كنماذج للدعوة الاسلامية والوطن

حقائق رهيبة يجب الا ننساها

من البديهيات فى فن (**المصارعة**) ، ان من يتحكم فى قبضة يد خصمه يستطيع أن يتحكم فى سائر جسده ، فان شاء لواه ، وان شاء طرحه على الأرض مسلوب القوة مقهورا والدول الاستعمارية تعرف هذا .. وتعرف الى جانبه ان الدول العربية ذراع قوية ، وان مصر هى قبضة هذه الذراع، فهى تريد أن تتحكم فى هذه القبضة لتتحكم فى جسد العروبة ، ولتسخر الشعوب العربية لخدمة الاستعمار ، وتستولى على ما فى بلادهم من خيرات ومعادن ، ومواقع استراتيجية .

لهذا حرص الاستعمار على أن تظل الدول العربية ، وفى مقدمتها مصر ، واقعة تحت نفوذه وسلطانه .. والتاريخ الطويل يكشف لنا عن هذا الهدف الخبيث فلنستعرض بعضه لنؤمن بهذه الحقيقة الرهيبة .

رجعة الى الوراء

عندما تجمعت جحافل الصليبين ، وشنت غاراتها على الشرق فى حملات متتابعة ، لم تكن هزيمتها الا على أيدى جيوش مصر بقيادة صلاح الدين ، فلما كسرت مصر شوكتهم ، وردتهم مهزومين دخلت الرهبة فى قلوب الأوربيين من جيش مصر .. ولم تمض غير سنوات حتى تدفقت جيوش المغول على آسيا فاجتاحتها شرقا وغربا ، ومضت نحو أوروبا فاستولت عليها حتى وصلت الى المجر والى قلب بولونيا ، فامتد سلطانهم من نهر الفستولا شمالا الى المحيط الهادى جنوبا .

مجلة الشباب المسلمين ١٠ مارس ١٩٥٧

ولم يبق أمامهم لكى يبسطوا سلافانهم على أهم مواقع العـالم الا ان يجتاحوا مصر ، وهى باب افريقيا ، فتدفقوا على الشـام ودكوا حلب ، ودمروها كما دمروا بغداد من قبل واستعدوا لولايات أخرى .

وهنا سارت جيوش مصر ، والتقت بالمغول المغيرين ، وصـدمتهم فى ثلاث مواقع دموية هزمتهم فى كل منها هزيمة منكرة ، وبذلك كسرت شوكتهم وردت طغيانهم ، وتركتهم فلولا لا يخشى بأسها .

بدات الخديعة

ولما رات جيوش أوروبا الصليبية ، ان لمصر جيشا لا يهزم ، يئست من فتح الشرق عن طريق الحرب وبدات أوروبا تتسلل الى الشرق فى صورة تجار مسالمين اخذوا يتزلفون الى الحكام ، ويتقربون اليهم بالتملق والهدايا فتمكنوا بذلك من توسيع اعمالهم ، وتقدمت البندقية تطلب اعفاءهم من رسوم الجمارك والضرائب .. فأجاب السلطان طلبهم . ثم توسعوا فى هذه المطالب بان طلبوا ن يحاكموا أمام قناصلهم .. ومع الزمن أصبح هذا التفضل حقا مكتسبا لهم وصارت المنحة امتيازات تطوق اعناق المتفضلين بهـــــا .

وكان تجار البرتغال وفرنسا قد اتجهوا نحو الهنـد وتبعهم الانجليز وانشأوا هناك شركة تجارية كانت هى نواة الاستعمار الانجليزى للهند ، فطردت فرنسا منها واستأثرت بخيراتها .. وكان هذا سببا فى العداء بين فرنسا وانجلترا ، ذلك العداء الذى امتد الى عهد نابليون ، ولمـا عجز نابليون عن ضرب انجلترا فى ارضها اتجه الى مصر ليضربها فيها ، وليقطع عليها طريق مواصلاتها مع الهند .

اطباق الاستعمار الشهية

ولاختصر القصة لنصل الى اللباب .. ارادت فرنسا ان تزاحم انجلترا فى أطباق الاستعمار الشهية ، فاستعانت بدليسبس لدى سعيد باشا ، فصرح له بشق قناة السويس ، وبذلت انجلترا جهد الجبابرة لتحول دون ذلك ، تارة بالوعد ، وتارة بالوعيد ، ولكنها اخفقت لأن فرنسا استعانت

بروسيا والنمسا ، فعمــدت انجلترا الى احتــلال اجزاء متفرقة فى شتى الانحاء لتحمى الهند من ان تمتد اليها يد فرنسا ، احتلت قسما من ارض سلطان عمان ، واستولت على جزر اســكوتزا من البرتغــال ، وزادت من تحصين مالطة ، وزحفت الى باب المندب منفذ البحر الأحمر الى المحيط الهندى ؛ ومكنت لنفسها فى زنزبار وتنجانيقا ، ولم تترك وسيلة من وسائل التحصين الا لجأت اليها وانتهى الأمر باحتلال مصر عقب الثورة العرابية .

وظلت مصر تكافح للتخلص من الاستعمار وفى الحرب الكبرى الأولى أخذت وعدا من بريطانيا بأن تنال استقلالها بعد الحرب ، ولكن انجلتـــرا نكثت بالوعد كعادتها .. كما نكثت بكل وعد قطعته لكل دولة تمكنت من احتلالها فهبت مصر ثائرة ، وهبت الهند متمردة .. وطال الجهاد حتى استقلت الهند ، وتحرر كثير من البلاد العربية .

المــارد العــربى

وعقب الحرب الثانية بدأ الوعى العربى يتكتل اذ ادرك العرب ان تكتلهم هو حياتهم ، وانهم بدون هذا التكتل سيكون مصيرهم ان يلتهمهم الاستعمار دولة وراء اخرى ، فاتحدت الشعوب العربية اتحادا هز بريطانيا هزة عنيفة، وصدمها صدمة قاتلة ، واحست ان لا بقاء لسلطانهم ونفوذها كدولة عظمى الا بالقضاء على قوة مصر بعد ان استقلت واصبح لها جيش يخشى بأســه ، فعملت على حرمان هذا الجيش من كل مورد يمكن ان يصـــل اليه منــه للسلاح ، والبت على مصر الدول الاستعمارية الأخرى ، وسلطت عليهـــا شراذم الاجرام الصهيونى ليشغلوها ويناوشوها ، فلما فشل كل هــذا لم تجد بدا من الاعتداء السافر المسلح على مصر ، فنفذت الجريمة بالاشتراك مع فرنسا التى تتمنى القضاء على الروح العربية عامة ، وعلى قـــوة مصر العسكرية خاصة ، خشية على مستعمراتها فى شمال افريقيا ..

واشتركت فى الاعتداء اسرائيل الذليلة .. ولكن مصر صمدت وانتصرت وازدادت قوة ، وبدات انجلترا تنهار عسكريا وسياسيا واقتصــاديا ... وها هى تكافح وتجاهد لاسترداد مجــدها الذى مرغه المــارد العربى فى التــراب ..

الطمع فى المعادن

وما زال الاستعمار طامعا فى ان يظل محتفظا بسيطرته على افريقيا فهى القارة التى تمده بالغنى والرخاء .. ففيها فضلا عن المواقع الاستراتيجية الممتازة . معادن لا غنى عنها لهذه الدولة المحاربة فى سبيل الاستعمار والتوسع ، فيها الأورانيوم الموجود بكثرة فىالكونغو البلجيكى وفيها المنجنيز الذى لا غنى عنه لصناعة الصلب ، وفيها الكروم وفيها ٩٨٪ من الماس الذى يخرجه العالم وفيها الاسبتس والمطاط والزيوت المعدنية والزنك والنحاس وغيرها من المعادن الهامة .

كما اعد الاستعمار جنوب افريقيا واوغندا وكينيا وروديسيا لاستقبال الرجل الأبيض ، كما ان افريقيا هى المهجر الطبيعى لبريطانيا اذا ما تعرضت للغزو .

من هنا جاء حرص الاستعمار على ان تظل مصر دولة هزيلة ضعيفة محكومة لأنها منفذ افريقيا ولأنها اقوى دولة مستقلة فى افريقيا .

الموت اكرم

هذه حقائق يجب أن نعيها ، وان نفتح لها عيوننا لنؤمن بأن الاستعمار سعى ويسعى . وسظل يسعى الى تحطيم قوانا ، وسلب استقلالنا حتى لا تكون لمصر قوة تهدد بها استعمارهم لافريقيا وتعجز عن السيطرة على القتال وعلى البحر الأحمر ومن أجل هذا الهدف عقدوا حلف بغداد ليكونوا ضدنا يدا واحدة ، وليخيفوا به روسيا ويهددوا به ارضها ، لقرب دول هذا الحلف من حوض نهر الدونتز الغنى بخاماته ، والممتاز باستراتيجيته وبكثرة ما فيه من مصانع ، وبذلك يحولون بين روسيا وبين الدول التى تبادلها الصداقة والمنفعة اننا نهيب بكل مصرى ، بل بكل عربى ، بل وبكل شرقى ان يتنبه الى هذه الدسائس الاستعمارية ، والى تلك الحفر الملغمة التى يضعها الاستعمار فى طريق حريته واستقراره ، علينا ان لا نمكن لهؤلاء الطغاة من ان يسلبونا كرامتنا وحريتنا واقواتنا ، وان نضع بين اعيننا ان الموت اكرم واشرف من العيش فى ظل راية المستعمر التى لن نسمح لها بأن تخفق فوق اية ارض عربية ما دام فينا عرق ينبض او نفس يتردد .

فلنعلنها حربا شعواء

اجتاحت البلاد فى الفترة الأخيرة موجة طاغية عاتية من نزعة الالحاد والاستهتار ، بالعقائد والاستخفاف بالدين ، والسخرية بالاخلاق الكريمة والفضائل السامية التى تتصل بالايمان ، والتعبد والشرف ، والمراة .

وقد كان لهذه الموجة ابلغ الأثر فى نفوس الذين يغارون على هذه الأمة المؤمنة العظيمة . ويودون لها اطراد النهوض والعزة والمجد ويحرصون على ان تظل دوافع الايمان وقواعد التدين ثابتة مستقرة فى نفوس ابنائها . حتى لا تحطمهم مقوضات الزندقة والالحاد ، فلا يصلحوا لأبناء المجتمع الكريم الذى نتطلع اليه فى وثبتنا القومية الكبرى .

كتب الالحاد والجنس

وقد تمثلت هذه الموجة الطاغية فى تلك المقالات الالحادية الكثيرة التى فاضت بها انهار بعض الصحف والمجلات ، وحملت هذه المقالات عناوين خبيثة تشير الى الأهداف الخبيثة التى يريدها اصحابها من ورائها ، فرأينا بعض الكاتبين يكتب عن انكار الله وانكار البعث ، ورأينا من يهاجم التمسك بالعفة والاحتفاظ بالبكارة والحرص على الفضيلة . ورأينا من يكتب عن الفتاة المطلوبة التى تشتهى اباها وتهواه ، ولا تعرف فى حياتها شيئا اسمه الخجل او الندم ، ورأينا من يدعو الى مهاجمة الدين ورجاله وعقائده واصوله باسم حرية الفكر ، او حرية الرأى ، او حرية الاعتقاد ، مع ان قانوننا — كسائر القوانين — يعاقب الذين يهاجمون عقائد الناس الدينية او يسخرون منها .

مجلة الشباب المسلمين ابريل ١٩٥٧

تهجم وتطاول

والواجب على المصلحين والقادرين من أبناء هذه الأمة ومن ولاة الأمر فيها ان يعطوا هذه الموجة كل عناية ، ليعرفوا بواعثها واسبابها ، وليقضوا على جراثيم الفتنة التى تحركها وليكافحوا هذا السيل المغامر من التهجم على الأديان والمعتقدات .

ان الدين هو تلك القوة الروحية العجيبة التى تسـيطر على نفس الانسان ، فتجعله يراقب حساب تلك الذات المقدسة الخبيرة القادرة التى وسع علمها كل شىء ، وامتد سلطانها الى كل شىء ، واحاطت قدرتها بكل شىء ، والتى تسمع السر والنجوى ، وتعلم ما فى الصدور وهى ذات الله جل جلاله . وهذا الاعتقاد يجعل صاحبه يسير فى الحياة الفردية والعامة على هدى من الاصلاح والتقوى . وعلى دستور من ذلك القانون الالهى الخالد : « فيمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » ..

من اجل اى مبدأ ؟

اننا امة مكافحة لا تزال تناضل لاستخلاص حقوقها وتأمين أرضها وتثبيت مكانتها والقضاء على ما يحاك لها من مكايد ودسائس . وهـذا النضال يحتاج أول الأمر الى اناس مؤمنين يعتقـدون ان حب الوطن من الايمان ، وان الدفاع عن الحمى يورث صـاحبه احدى الحسنيين ، فاما النصر والغلبة والسيادة فى الحياة ، واما الشهادة التى يعقبها الدخـول فى جنة عرضها السموات والأرض . والجندى من جنودنا اذا خـرج الى المعركة وفى صدره هذه العقيدة التى تلقاها فى محراب الدين والايمان بالله ورسوله . فانه سيقبل على مواطن النضال واماكن التضحية وسـيتعرض للموت طائعا مختارا صابرا ، لأنه يعرف انه يجاهد من اجل مبدأ يؤمن به ويغار عليه ويحيا من اجله وينتظر سعادة الدنيا ونعيم الآخرة عن طريقه وهو يعرف انه ان مات فى سبيل دينه فهو شهيد ، وان مات فى سبيل وطنه فهو شهيد وان مات فى سبيل عرضه فهو شهيـد ، ومن مات فى سبيل الذود عن ماله فهو شهيد .. واى سلطان فى الدنيا يؤكد هذا المع... من سـلطان الدين .

الثقـــافة الدينية

وهذه الأعراض والحرمات وهذه الأسر والبيوت ، بمن فيها من امهات واخوات وزوجات وبنات واولاد .. هذه الدعائم اللازمة لنهوض المجتمع فى سلام امان .. انها بحاجة الى رعاية وصيانة ووقاية ولا سبيل الى ذلك الا بغرس الدين وبث تعاليمه فى صدور الكبار والصغار والنساء والرجال فى البيت والمدرسة والجامعة والنادى وكل مكان يصلح لهـــذا الغرس ، ولا يوجد عاقل فى الدنيا يقبل ان تتعرض هذه الحرمات للتحلل .

ومن الواجب علينا ان نعنى كل العناية بالثقـــافة الدينية فى مختلف مراحل التعليم ، ونختار لها المدرس الصالح ونقرن الدراســـة بتطبيق العبادات ونجعل لهذه الدراسة الدينية تأثيرا له قيمته فى انتقال الطالب من سنة الى سنة .

ومن الواجب أن نعنى بتحفيظ القرآن الكريم داخل المدارس وخارجها

وعلى الأزهر الشريف ان يضاعف جهوده ونشاطه فى مكافحة الالحـــاد ومقاومة نزعات الزندقة ، لأن الأزهر هو حصن الاسلام .

الله وللوطن

ان علينا فى دور الشبان المسلمين المنتشرة فى خـــلال الوادى ان ننظم المحاضرات والأحاديث والندوات والدروس التى تعرض مبادىء الاســلام الحنيف عرضا مشوقا جذابا ، وان نرد على شبهات الملحدين ، وان نقف لافتراءات المفترين على الدين بالمرصاد . فلا ندع فرية يظهـــرونها الا ونرد عليها بما يحق الحق ويبطل الباطل ..

وعلى رجال الشـــبان المسلمين ان يتصلوا بولاة الأمر فى اقاليمهم وفى القاهرة ليقدموا اليهم رغباتهم واقتراحاتهم لتقوية الروح الدينية ومقاومة الالحاد ونصر قضية الايمان..

وان المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين الذى يرى مكافحة الالحاد من أول واجباته ، يرحب كل الترحيب بالتعرف المتواصل لجهود الفروع فى هذه الناحية حتى ينسق المركز العام هذه الجهود ، فعلى الفـــروع ان تتصل بالمركز العام فى خطواتها وان تتصل بالهيئات الاخرى مثل هيئـــة التحرير — بوجه خاص لتنسيق الجهود فيما بينها وبذلك نتعاون جميعــا على أداء واجبنا نحو الله والوطن ، والله أكبر . لبيك .. لبيك .. لبيك .

نداء من القلب الى القلب

الى ابناء العروبة والاسلام

يا احفاد العرب ويا ابناء النيل الكريم ، ويا ابناء خير امة اخـــرجت للناس ، أولئك الموفون بعهدهم اذا عاهدوا ومن اذا لبستهم الذمة احاطوا ذمتهم بالوفاء ، اولئك الصابرون فى البأساء والضراء وحـين البأس ، فان صادقوا صادقوا بررة مخلصين ، وان سالموا اعزة قادرين وان حاربوا كراما صـــابرين .

أنتم ابناء اولئك الاباة المجاهدين ، الذين صارعوا الباطل بسيف الحق فصرعوه ، واعلوا كلمة الله فى العالمين فعاش الناس فى ظل الدين القـــويم والفتح الرحيم الكريم عاشوا بين نعيم الحرية المصونة الطاهرة ، وفى رحاب المدنية المثالية البناءة المسالمة . فمن حقنا ان نفاخر بأوائلنا ونشيد بعظمة ماضينا ومن حق الشباب علينا ان نبرز لهم امجاد الآباء والأجداد ، ليكون لهم فيها الأسوة والقدوة الحافزة والدافع الى ان يجددوا ما درسته الايام من تراثهم ، وينشروا ما طواه الاستعمار من تاريخ اجدادهم ، فيبعثوا فيه الحياة فتية وقوية وكأنى بأرواحهم الطاهرة تشرف عليكم من اعلى عليـين وهى تلحظكم مستبشرة متشوقة لنتائج اعمالكم لتكونوا لأوطانكم حصـــنا مانعا وحساما ماضيا ولأسلافكم خلفا راشدا ، وركنا شديدا ، تهون عليكم التضحية فى سبيل الله والعزة القومية ، والوطن الغالى مهما عظمت هـــذه التضحية ، ويرخص لديكم الفداء مهما كان غريزا وتخلصون فى الوفاء للوطن **حتى لو جار الوطن عليكم فحمل بعضكم من الصبر اثقله ونال من الجـزاء اقله وليكن شعار المواطن الصالح فى الحالين الشدة والرخاء والنعيم والشقاء والعافية والابتلاء والحرمان والعطاء شعاره هو هو :**

بلادى وان جارت عـــلى عزيزة　　　واهلى وان ضنـــوا على كرام

مجلة الشباب المسلمين ــ يونيو ١٩٥٧

اين اليوم من امس ؟

فهيا يا شباب العرب ويا ورثة المجد من اطرافه هيا اركضوا جياد الغيرة فى ميادين التقدم واحيوا ماثر اجدادكم فوالله ما كان زمنهم اصفى من زمنكم ولا عيشهم اهنا ، ولا مواردهم اغنى ، ولا كتائبهم اكثر عددا ولا عددا ولا اوسع مددا ولا علومهم الكونية ابعد مدى . ولكن كانت هممهم أعلى واقوى وعزائمهم اشد وامضى ورجولتهى تأبى الدنية ولا نسام على الضيم ، فاستهانوا بوعيد اعدائهم وبأسهم وجعلوا من وعيد الله جنة ووقاية ومن ايمانهم معقلا وحماية فانتصروا وانتصروا وعزوا وعزوا وتسنموا ذروة المجد ومشوا على هامة الزمان .

اولئك ابائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا للفخار مجامع

فأين عرب اليوم من عرب الأمس ؟ اين الاحفاد من الاجداد فهل كان يرضى اجدادنا ان يدوس اليهود عرينهم ويغتصبوا فلسطينهم ويعيشوا فيها ناعمين امنين واهلها بؤساء مشردون .

فالويل لنا من حكم التاريخ فى غد ، والويل لنا من غضبة الاجداد ، ولعنة الأحفاد ، ان لم نبدل نعيم اسرائيل شقاء وجحيما وامنهم خوفا وفزعا وتشتيتا وعذابا اليما ، ونخرجهم من ديارنا اذلة صاغرين ، ولو كان لهم الاستعمار ظهيرا ونصيرا .

الفئة المقاتلة

او لا ترون البطولة فى الجزائر كيف تفعل ؟ او لا ترون الايمان كيف يحارب ويصبر ، والجزائر اين مددها ومواردها ؟ واين دولتها ومصانعها ؟ واين هذه الفطرة الظاهرة ، من بحر عدوها الزاخر بالدولة والصولة ؟ ولكنه عزم الرجال الذى لا ينثنى والايمان الذى لا يلين ويكفى العروبة فخرا أن تكون الجزائر منها اللهم انصر الجزائر وايدها بروح من لدنك .

اللهم أن تهزم هذه الفئة المقاتلة فلن تبقى للمؤمنين عزة ، وانت اكرم من ان تشيم سيفا سله المجاهدون فى سبيلك وتنكس علما نشر لواءه العاملون لاعلاء كلمتك .

فسلام على الجزائر فى كل لمحة ونفس ، ودعاء لها بالنصر من كل قلب مؤمن ولسان مسلم .

يا ابناء العمومة والخؤولة ، ويا اخواننا فى الله والعروبة ، لقد رايتم كيف امتحنت الأحداث الجسام رجولة مصر ، وعجمت المحن عودها وابتلى الهول ايمانها .

قلب لا يهاب

زلزلت الأرض من حولها وبرقت فى سمائها سحائب الموت ورعدت بصواعق الخراب والدمار فصمدت للتانبات حتى انجلت وصبرت للنازلات حتى تولت وما ضعفت ولا استكانت ، وآزرها ووقف الى جانبها حماة السلام وشقيقاتها الكرام ، وظل لواء قيادتها والروى يصرع الردى فى يد لا ترجف وقلب لا يهاب ذلكم رئيس جمهوريتنا وقائد ثورتها والأمين على امانتها وسلامتها فلم يترك لأعدائها مغمزا فى عزتها وكرامتها ، ولا وجدوا لينا فى عصاتها ، ولا ضعفا فى ثباتها ، ولا مساومة فى سبادتها وقناتها .

اى جمال ..

اذا زلزلت من حولك الارض راضها وقارك حتى تسكن الجنبات

لقد خضت بمصر الغمار بطلا وقدت معركتها رجلا ودوى صوتك يوم منشى القول فى ربوع الوادى « سنقاتل .. سنقاتل .. سنقاتل » حتى يترع الوادى دما ويتجرع العدو ندما سنقاتل ولن نسلم حتى تسلم مصر من كيد الغادرين .

هذه الجذوة

وبعد ...

هل راجع الاستعمار نفسه وهل عاد اليه رشده بعد ذلك العدوان الغاشم والفشل الحاسم والهزيمة المخزية ، كلا ، بل ما يزال هو هو ، بل زاده الفشل ضغنا وحقدا وملا صدره نقمة وبغضا ، وعداوة لا تخبو نارها وخصومة مرة لا تهدأ ثائرتها على مصر والعرب ، وما برح بريش سهام البغى والعدوان ويخلق فى كل يوم من كيده لونا جديدا وما يزال يردد فى صباحه ومسائه رغم هزيمته ، وسقوط حجته ، يزد اسطورة قناة

السويس وخليج العقبة وماء النيل وتسرب الشيوعية والفراغ فى الشرق الأوسط ومشروع ايزنهاور .

وكلما طاش له سهم برى سهما جديدا وخلق كل يوم سلاحا يحارب به مصر باعتبارها قلب العروبة النابض ، ومحور الدائرة فى الدعوة القومية العربية .

ويريد الاستعمار ان يخمد هذه الجذوة ويطفىء هذا المصباح ويسكت الصوت الذى كان عاليا حتى لا يبقى فى الشرق الأوسط الا وهو يستعبد اهله ويستنزف دماءهم ويسلب خيرات بلادهم وخاماتها ويسخر اهلها عبيدا فى خدمته وجنودا يموتون فى ساحته ليحيا عزيزا منعما وسيدا معبودا يشارك الله فى ملكه ، كأن الله خلق هذه الدنيا لأمريكا وانجلترا وفرنسا ومن يدور فى فلكهم .

ولقد اقسمت مصر على ان يدوم الصراع بيننا وبينكم حتى يبلغ الكتاب أجله فنحن نطلب للناس كافة — وخاصة لأبناء افريقيا — الحرية والعزة والكرامة فى قارتهم تراث ابائهم واجدادهم منذ خلق الله الارض ومن عليها فيا ايها المتطفلون علينا من مصاصى الدماء واعداء الانسانية ومحترفى اللصوصية هيهات ان تبلغوا الغاية .

ليس للذل حيلة فى نفوس يستوى الموت عندها والبقاء

سنشعلها نارا

ونحن فى سبيل ذلك نطلب الموت وتطلبون الحياة وترغبون فى الدنيا ونرغب فى الآخرة وغايتكم النعيم الفانى وغايتنا النعيم الخالد الباقى . .

والله لنشعلنها عليكم ان اردتم — نارا حتى يأكل اللحم لحما ويشرب الدم دما ويقرع العظم عظما ، وسترون فى افريقيا يوم تشمر للحروب ساقها ، وترفع اعلامها على غاباتها وتدق طبولها فى حلباتها ، سترون عند ذلك من اهلها فى كل شبر من ارضها نمرا رابضا وليثا هصورا ، وستلقون فى كل واحد ورابية وصحراء مجدبة دماء جارية ، وستجدون بدل «ما ماو» واحدة آلافا من « ماو ماو » تزار وتقتل وتلقى الردى لا تبالى ايها المستعمرون سوف تجعلونها دما وتتجرعونها ندما ولا تدرون يومئذ اين القرار .

والله معنا ولن يغلب الله غالب .

والله اكبر لبيك لبيك لبيك ، والله اكبر والعزة لمصر .

كذبوا .. فما كنا بالعبيد

ضلت بعض الأقلام المصرية ، غير معتمدة الاساءة الى اريخ بلادها . ولكنها صدقت ما زيفه الانكليز من تاريخنا المشرق الصفحات ، فى فترات كثيرة كان غرة فى جبين الزمن ، فمسخ الاحتلال ذلك المجد القائم . وابرزه فى صورة منكرة مرذولة . تنكس راى المصرى . وتجعله يغض الطرف حياء وخجلا من هذا التاريخ .

دس الانكليز هذه اللعنة فى تاريخنا الذى يدرس فى مدارسنا . فصوروا لنا ان مصر رزحت تحت نير الاستعمار والاستعباد . وعاشت فى ذل وصغار اكثر من الفى سنة . اى منذ غزا الفرس فى مصر فى حكم العائلة السادسة والعشرين الفرعونية فى عهد فرعونها بساتيك . ومنذ ذلك التاريخ والمصريون عبيد لم يرتفع لهم رأس . ولم يسجل التاريخ لهم استقلالا . ولا حرية ولا مجدا . ولا لمعت لهم فى كتب القرون الطويلة صحيفة فخار وقد اراد الانكليز من وراء هذا الكذب ان يهونوا على المصرى عزته القومية. فيقول : ماذا على اذا رضيت بالاحتلال الانكليزى ما دمت انا من نسل امة رضيت بهذه العبودية وهذا الاستعمار الذى جثم على صدرها آلاف السنين .

الضربة الكبرى

ألا تعس الانكليز وكبرت فرية يلصقونها بتاريخنا ليقتلوا بها عزتنا القومية . ويصوبوا طعنة فى الصميم الى ماضينا المجيد . وامجادنا الحربية وجهاد أجدادنا الخالد على الدهر وما ارادوا الا تجريد تاريخنا من مفاخره التى لا يطاولها فخاره والتى مشت على هامة الزمان والا فمن الذى هزم

مجلة الشباب المسلمين ـ يوليو ١٩٥٧

الصليبيين فى حرب دامت دهرا طويلا وانتهت فى آخر مراحلها الى هزيمتهم نهائيا . وتطهير البلاد العربية منهم ؟

ومن الذى صد المغول الذين اجتاحوا آسيا الكبرى وآسيا الصغرى ، وغزوا اوربا ، ووصلوا الى نهر الفستولا فى بولنده ولا يزالون الى اليوم فى المجـــر ؟

من الذى صدهم وهزمهم عندما ولوا وجوههم شطر مصر بعد ان دمروا العراق . ودكوا بغداد . ثم جاءوا الى الشام وخربوا حلب وكثيرا من بلاد سوريا ولكن جيش مصر الباسل ردهم على اعقابهم خاسرين فى غـــزوات دامت قرابة اربعين سنة ؟ ومن الذى هزم الفرنسيين واسر لويس التاســع ومن الذى القى الانكليز فى البحر عند محاولتهم غزو مصر فى أول مرة .

ومعن الذين كادت سنابك خيلهم أن تطأ ساحل بحر رمرة وتعبره الى اســـتامبول ؟

من غير جيوش مصر الخالدة ؟

كل هذا الفخار يذهب هباء . وكل هذه البطولة التى هزت العـــالم ، وهابتها مولدات الأقدار تقبره ، ثم تمحى بجرة قلم استنادا الى التـــاريخ المزيف الذى وضعه الانكليز لحاجة فى نفوسهم .

وقد وصلوا الى هدفهم من تهوين القومية المصرية على المصريين ، وجاء حين من الدهر اصبح فيه المصرى بعد ان درس هذا التاريخ المكذوب يتنصل من مصريته ، وينفر من الانتساب اليها ، واذا بأحدهم فى معرض الانتساب يقول : انا تركى . وآخر يقول انا شركسى . وثالث يقول انا كردى . ورابع يفاخر بانه البانى . وخامس يملا شدقيه بانه كريتلى . وهكذا وهـــكذا . واصبحت القومية المصرية العزيزة الغالية رخيصة الى حد التبرم بهـــا ، والبراءة منها . الامر الذى فطن له زعيم الوطنية وحامل لوائهـــا طيب الله ثراه الزعيم الخالد مصطفى كامل .

فطن لهذه اللعنة فقال كلمته الخالدة : « لو لم اكن مصريا لتمنيت ان اكون مصريا » وقد اراد بذلك ان يوحى الى شباب مصر عظمة الانتســـاب

الى مصر ، واننا حفدة اساتذة الدنيا منذ القدم يوم كان الغربيون رعـاة فى الأجم .. واننا سادة الأمم . واننا نحن نحن . واذا قلنا نحن أمن التـايخ ويشهد اللوح والقلم . اما الانتساب الى تركى وشركسى وكردى الى آخـر تلك الأصول الغربية فـكلها نطف اختلطت ودماء امتزجت ومصر هضمت الجميع ورثنا نحن المجد من جميع اطرافه .

نابليـــون الايطالى

ثم كيف يقال ان مصر ظلت محتلة منذ اكثر من الفى عـام . الم تكن مصر مستقلة فى عهد البطالسة . ام لم تكن مستقلة فى عهد الدول الاخشيدية والطولونية والفاطمية . والايوبية والمماليك البحرية والمماليك الشراكسـة والعلوية ؟ وهل يسلب الدولة استقلالها ويجعلها محتلة ان كان ملـكها او سلطانها ليس من أهلها . ان صح هذا فانكلترا مستعمرة منذ ادوارد السابع لأن اباه أمير المـانى ، واليوم ولى عهدها يونانى . وستظل اليونان مستعمرة ايضا ومحتلة لأن ملكها المـانى . وكذلك بلغاريا وغيرها .

وعلى هذا الاساس ليس لفرنسا ان تباهى بمجد نابليون العسـكرى لأن نابليون ايطالى من كورسيكا وليس فرنسيا .

انى اطالب وزارة التربية والتعليم وعلى رأسها الوزير الشاب الثـائر الفخور بمصريته . اطالبه باسم مصر ان يمحو هذه اللعنـة الانكليزية من تاريخ مصر الحديث . ويعيد لهذه الأمة امجادها ومفاخـرها بتصحيح تاريخها . تلك الأمجاد التى توجتها الثورة الناصرية بتاج العزة القـومية المصرية ، واعلنت قدرها ، ونشرت فى العالم ذكرها ودوى فى العالمين صوتها واصبحت مصر اليوم هى مصر الأمس التى كانت فخار الشرق والغـرب وستظل كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

التضامن الآسيوى الافريقى

اقام المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين ندوته الثقافية الوطنيــــة الكبرى التى كان موضوعها « نحو التضامن الآسيوى الافريقى » وقدتحدث عن هذا الموضوع السيد اللواء محمد صالح حرب الرئيس العام لجمعيــات الشبان المسلمين فقال :

عندما اتكلم عن التضامن الاسيوى الافريقى فانى أتكلم عن هذا التضامن من ناحية الاستعمار فانه من غير الخلاص من المستعمر لا يمكن ان يتم شىء ما . وعندما يتحقق الاستقلال يتحقق كل شىء بعد ذلك . واليوم اتكلم عن التضامن الاكبر بين آسيا وافريقيا الشقيقتين اللتين لا يفصل بينهما غابات او جبال او اية عقبات من هذا القبيل غير أن آسيا تعرضت للاستعمار قبل افريقيا بزمن بعيد وذلك لسهولة الوصول اليها وانها كانت معــروفة لدى الغرب الذى لم يحتج الى جهاد عسير فى الكشف عنها .

تعرضت آسيا للاستعمار ولم ينجها منه الا قيام الحرب العالمية الثانية التى اصابت فيها اليابان امريكا . ولقد كان المحيط الهـــادى وهو اعظم المحيطات فى العالم سبب بلاء آسيا فى استعمارها فهو موقع استراتيجى هام حشدت فيه امريكا اسطولها ومطاراتها العظمى التى تهدد بها آسيا وعـلى الأخص اليابان . كانت أمريكا تحشد اساطيلها فى ميناء بيرل هاربر بالمحيط الهادى وعن طريقه تدخلت أمريكا فى آسيا وعندما ضربت اليابان امريكا فى هذا الميناء ودمرت اساطيلها ومطاراتها ومعداتها اصبحت امريكا فى حـيرة وارتباك ولم تكتف اليابان بهذا التدمير فنجدها تستولى على الملايو وتتسرب الى سنغافورة وكانت سنغافورة فى ذلك الوقت هى الحياة بالنسبة لانجلترا ولقد كانت ضربة اليابان لسنغافورة ضربة قاسية لانجلترا وامريكا . كانت انجلترا تفخر سنجابورة التى تشرف على المحيط الهندى والهادى والتىكان

مجلة جمعية الشبان المسلمين يوليو ١٩٥٨

ميناؤها حماية لبحر الصين فاذا بها تصبح هشيما تذره الرياح ، كذلك استولت كذلك اليابان على الهند الصينية واندونيسيا كل هذه البلاد اصبحت فى زمام اليابان ولم تستطع انجلترا او امريكا او فرنسا ان تستعمر بلاد آسيا . ولقد كانت اليابان فى استعمارها قاسية لا سيما فى استعمارها للصين فلقد كان اليابانيون يعتبرون الصينى امراة والياباني الرجل .

لقد كان لنصر اليابان فى بيرل هاربر وسنجابورة كبير على امريكا اذ ان الحقد يدب فى أوصالها كيف تنتصر دولة شرقية عليهم وتصبح أمريكا لا شيء ؟ وهذا ما دعا امريكا لالقاء اول قنبلة ذرية على هيروشيما التى احدثت ببلاد اليابان البلاء والخراب فاستسلمت وسلمت ولقد كان لغزو اليابان لبلاد آسيا فائدته وذلك انها عندما جلت على اندونيسيا وسومطرة والملايو تركت وراءها مخلفات كثيرة . تركت معدات حربية واسلحة كثيرة كما انها تركت فى هذه البلاد روحا معنوية جبارة .

قلنا ان آسيا تعرضت للاستعمار منذ مئات السنين واستطاعت كل دولة قوية سواء فى الشرق او الغرب ان تلتهم جزءا منها فهذه سيبريا التى استولت عليها روسيا وسيبريا هذه مليئة بالخامات وتخرج روسيا الذهب منها بكميات هائلة وكذا المعادن والرصاص . لكن الصين هى الأمة الوحيدة التى حافظت على كيانها اربعة آلاف سنة ظلت الصين باقية على وحدتها اربعة آلاف سنة وذلك لأن الشعب الصينى يشتهر بالقسوة والنضال يحتمل قسوة الحياة ويجاهد ولا يستسلم .

وكل ما نخشاه الآن هو الاستعمار الذى لا بد وان يواجه بالقوة . واننا الآن فى اشد الحاجة الى التضامن لآسيا فى الوقت الحاضر — فلقد بلغت أمريكا ما بلغت من القوة ووصلت الى الذروة . وصلت امريكا الى اقصى نهاية تستطيع ان تصل اليها وليس امامها الآن الا ان تستسلم للزمن وتعرف ان الزمن لروسيا وربما تدعو الحماقة بها الى ان تتعجل الحرب ظنا انه خير لها أن تضرب ضربتها لعلها تنتصر . لكن هذا مستحيل امام القوة الروسية الطاغية ولكن امريكا لا ترضى ذلك ولا ترضى ان تصبح فى مرتبة ادنى من روسيا كما لا ترضى لروسيا ان تتحكم فى العالم .

هذا بالنسبة لآسيا فآسيا ولو أنها تخلصت نوعا من الاستعمار لكنه خلاص مرهون لما يأتى به القدر فما زال الحقد الامريكى كما هو والا لما كانت أمريكا تعمل تجاربها فى المحيط الهادى وهذا انتقام امريكى يقصد به تحطيم الشعب اليابانى ذلك لأن الشعب اليابانى مصدر قلق وخطر يهدد امريكا . فالاستعمار لا يزال يتربص بآسيا ولو أنه خرج منها . واننا نأسف لأن يكون بين الدول الشرقية خصام . فمثلا الخصومة بين الهندوالباكستان بسبب كشمير لا شك له أثره فى الشرق لذلك يستلزم من المؤتمرين من أجل التضامن عند انعقاد مؤتمرهم فى مصر أن ينظروا الى هذا الأمر لحل ذلك الخلاف بين الهند وباكستان .

يجب ان نعد أنفسنا ولا نسمح للمستعمر ان يعود مرة اخرى . فانجلترا وامريكا لا تستطيعا أن تعيشا بدون افريقيا وآسيا .

نتحدث عن الشرق الاوسط فهو كما يهم انجلترا وامريكا يهم أيضا روسيا . فروسيا عندما تدافع عن مصر أو سريا فانماتدافع عن مصالحها . فروسيا تعرف ان حلف بغداد انما هو خنجر موجه لصدرها ومقتل من مقاتلها وذلك لأن اكثر موارد روسيا مهددة بهذا الحلف فيوجد بين البحر الاسود وبحر قزوين أكثر منابع البترول فى روسيا كما انه فى الشمال حيث توجد اكرانياالشهيرة بحقول القمح والتى تنتج نحو ٥٠ ٪ من قمح روسيا والباقى من سيبريا . فالحلفاء عندما يهاجمون روسيا تكون مهاجمتهم من هذه النواحى المليئة بالخامات والصناعات وما دامت سوريا أعلنت حيادها الايجابى وكذلك مصر فان حلف بغداد يصبح لا شىء لأن الحلف عندما يهاجم روسيا يخاف على ظهره من سوريا ومصر .

نترك آسيا ونذهب الى القارة المظلمة التى أصبحت مضيئة الا وهى افريقيا التى لا زال الاستعمار مركزا كل آماله بها . فأمريكا عندها حديد — هذا حق — ولكن ليس عند الصلب لقد كانت تستجلب المنجنيز من آسيا فلما ضربتها اليابان فى آسيا اتجهت الى افريقيا لقد وجدت امريكا ٣٢ معدنا من لوازم الحرب فى افريقيا . فأمريكا محتلة افريقيا اقتصاديا . اذا نظرنا الى افريقيا نجدها الى الآن مستعمرة للغرب . وهناك دول فى افريقيا نعتقد انها مستقلة وهى فى الحقيقة ليست مستقلة .

يبلغ تعداد انجلترا حوالى ٤٠ مليونا ، ٢٧٠ الف نسمة . هذه الدولة تسيطر على حوالى ٤٨٥ مليون نسمة وفى هذا ما فيه من العجب .

نعود فنقول ان الاستعمار لا زال باقيا فى افريقيا وكل ما نخشاه هى تلك البعثات التبشيرية التى ترسلها بلاد الغرب الى افريقيا لا لتعليم الدين المسيحى ولكن لتعليم الزنوج الافريقيين كيفية التعصب ضد المسلمين . اننا نخشى من انتشار خطر التعصب بين الزنوج الا انه يوجد الآن ٤٧٠٠ قسيس وكذلك ٣٠٠٠ راهبة فى السودان يرسلهم الاستعمار لتعليم الافريقيين التعصب ضد العرب والمسلمين . ان الغزو التبشيرى هو أشد مرارة علينا فى المستقبل ونحن غافلون . لماذا لا نرسل بعثات ازهرية الى تلك البلاد لنشر دين الفطرة بين هؤلاء الناس يجب أن نعطى دروسا خاصة للطلبة الأزهريين والخريجين لنشر ديننا فى تلك البلاد . ان افريقيا الآن مستعمرة كبرى والانجليز يخلقون منها شعبا يكره العرب والمسلمين . لا نعتقد بأننا حققنا استقلالنا وحرياتنا فى آسيا وافريقيا فما زال الطريق طويلا والجهاد مريرا . لذلك كان التضامن ضرورة لنا كى نتحرر . واول اهداف ذلك التضامن هو الا يعود الاستعمار الى آسيا ومهما كثرت اهداف ذلك التضامن فالهدف الأول هو عدم عودة الاستعمار مرة اخرى فالاستعمار لا يحيا بدون آسيا وافريقيا فالمسالة مساة حياة او موت بيننا وبينه يجب أن يعلم المؤتمرين اننا نخشى الاستعمار ولا يمكن ان تتحقق اهداف ذلك التضامن الا اذا قضى على الاستعمار اولا وقبل شيء . يجب ان نبدا بالجزائر فنخلصها من يد فرنسا الآثمة ، يجب اعادة فلسطين لهؤلاء المشردين من العرب وطرد اسرائيل . الخلاصة انه يجب طرد المستعمرين اولا حتى نستطيع ان نبنى انفسنا ونحقق اهدافنا نحو التضامن الآسيوى والافريقى.

بعد ذلك انشد سيادة اللواء محمد صالح حرب قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم التى قالها فى اليابان وعنوانها غادة اليابان التى مطلعها :

لا تلم كفى اذا السيف نبا   صح عنى العزم والدهر ابى

وبعد ان تم سيادة الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين قصيدة شاعر النيل فاجانا بقوله : الا ترون ان هذه القصيدة وهى من شاعر النيل حافظ ابراهيم نستطيع ان نحيى بها مصر فنقول :

انا مصرية لا انثنى   عن مرادى او اذوق العطبا
هكذا « الناصرة » قد علمنا   ان نرى الأوطان اما وابا
بطل يكفيك منه انه   انهض الشرق فهز المغربا

الشرق الأوسط

يمثل الشرق الأوسط نقطة التصادم دائما بين الشرق والغرب فما من نزاع يحدث الا وكان الشرق الاوسط ضحية هذا النزاع وما من هجوم يأتى من الشرق نحو الغرب أو من الغرب نحو الشرق الا وكان الشرق الاوسط موضع التطاحن بين الكتلتين ، ونحن الى الآن لا نعرف تحديدا كاملا للشرق الاوسط انما هو يشمل مصر والسودان والحبشة وبلاد العرب كلها كما يشمل تركيا واليونان وافغانستان وباكستان .. ونظرا لأهمية هذه البلاد ، ومواقعها الاستراتيجية الهامة ، جعلت انظار العالم تتجه الى الشرق الاوسط كل يسعى للنيل منه والاثراء على حسابه ، وما قامت الحروب الصليبية الا وكان هدفها ومقصدها الشرق الاوسط وما مخاصمة امريكا لنا الا من اجل الشرق الاوسط وما صداقة روسيا لنا الا من اجل الشرق الاوسط ، والحصول على مارب منه ويجب أن نعرف هذه الحقيقة تماما حتى لا ننخدع من احد ..

لماذا انشأت امريكا حلف بغداد ؟ لانها تريد ان تكون من الشرق الأوسط جبهة معادية لروسيا ، لانها تعلم أن روسيا تدبر هجوما عسكريا على غرب أوربا وانها ستضرب ضربتها كما ضربها هتلر من قبل حتى تستطيع ان تؤمن نفسها ضد قوى الغرب ، وامريكا لا تريد ذلك انما هى تعمل على اضعاف نفوذ روسيا حتى لا تكون خطرا عليها وعلى ذلك فهى تستعد لتوجيه ضربتها هى الأخرى الى روسيا .

ان امريكا تستعد لتوجيه ضربتها الى الجبهة الشرقية التى تعتبر مقتلا من مقاتل روسيا وهى تنحصر ما بين البحر الاسود والقوقاز حيث توجد اكثر آبار البترول . وغير هذا نهر الكنج الذى يوجد فى حوضه اكثرالخامات الاستراتيجية وكثير من المصانع الحربية الروسية ، وتقوم امريكا بتكوين

جبهة ما بين تركيا وايران والعراق ، حتى تستطيع عن طريق ذلك ان توجه الضربة لهذا المقتل الروسي ، ولذلك فان روسيا تحرص على صداقة العرب وتحارب حلف بغداد حتى لا تكون هناك جبهات معادية لها فى تلك البلاد .

هذا هو الوضع الناشب بين روسيا وامريكا ، اما نحن دول الشـــرق الأوسط .. ما مصلحتنا فى ذلك . لنسأل نورى السـعيد فنقول له اى مصلحة نبتغيها من الشرق او الغرب ، اننا لا نجنى شيئا اذا انضممنا الى احداهما بل سيكون ذلك خرابا علينا وسنصبح لقمة سائغة فى بطون من ننضم اليهم سواء اكان الشرق ام الغرب ، ولذا فان الحياد الايجابى هـو الحل الناجع لنا وهو السياسة المثلى فى موقفنا ، ذلك الحياد الذى نادى به البطل جمال عبد الناصر يوم وقف ليقول امام شعوب العالم اجمع اننـا امة حيادية ايجابية لا شرقية ولا غربية انما نعادى من يعادينا ونسالم من يســالمنا .

فلنعلم ان امريكا تستعد لالقاء ضربتها فى هذا العام ، فهى لن تكون اقوى مما هى عليه الآن ، فلقد بلغت الذروة من القوة ، اما روسيا فما زال الوقت متسعا امامها لتقوية نفسها ونشر مذهبها الشيوعى الذى يســير وسط الشعوب كما تسير النار فى الهشيم . فاذا كانت امريكا لا تضرب ضربتهـا من هذا العام ١٩٥٨ فسوف لا تستطيع بعد ذلك ان تضرب ضربتها بعد ان تستفحل روسيا وتعظم قوتها ويشتد عنادها ولذلك فانا اؤكد ان الدول المنضمة الى حلف بغداد ستنفصل توا يوم تقع الحرب ، لأنها سوف تعرف انه ليس من مصلحتها الانضمام الى ايهما .

ان اخشى ما نخشاه الآن هو الاستعمار الجنسى فى افريقيا الزنجية ، فهناك وفود من الارساليات المسيحية رهبانا وراهبات يزرعون فى نفـوس الافريقيين الحقد والكراهية والتعصب الممقوت ضد اخوانهم فى جميــع الجهات ، وهذا هو الخطر وذلك هو الاستعمار الحقيقى الذى نخشــاه ولا بد ان نقابله ونقضى عليه فعندنا الجيوش التى تستطيع القضاء على ذلك البلاء ، اننا نملك الخامات فى الأزهر الشريف الذى اسس على التقــوى والايمان فعلينا ان نوجه البعثات الأزهرية الى مختلف انحاء البلاد الافريقية فى افريقيا وآسيا لتوجيه الناس وارشادهم الى الدين الحقيقى والقضـاء على ذلك الغزو التبشيرى الممقوت .

الســـودان الثائر

ان الجيش السودانى الباسل الذى قام بالانقلاب الأخير فى السودان له تاريخ حافل بجلائل الأعمال فقد حرص الانجليز منذ ان وطئت اقـــدامهم ارض السودان على ان يحرموا البلاد من جيش قوى خشية ان ينقلب عليهم فى يوم من الأيام ولكنهم عندما قامت الحرب العالمية الثانية راوا ان يستفيدوا من شجاعة الجندى السودانى فى ميدان القتال فرفعوا تعـــداد الجيش السودانى الى ٤٥ الف جندى وزودوه بأحدث الأسلحة وخاض الجيش عدة معارك مع الطليان على حدود الحبشة اظهرت قوى بأس هـــذا الجيش وصموده فى الميدان وما كادت تنتهى الحرب حتى سرحـــوا معظم الجيش السودانى واعادوه الى مجرد قوة رمزية وسحبوا منه الأسلحة ومعـــداته الثقيلة حتى يأمنوا جانب هذا الجيش خشية انقضاضه عليهم .

وكان الانجليز قد تلقوا درسا قاسيا من وقفة الجيش السودانى بجانب الجيش المصرى سنة ١٩٢٤ عندما ثارت بعض قواته واشتركت مع القوات المصرية ضد جيش الاحتلال على أثر اغتيال سردار الجيش المصرى السيرلى ســـتاك .

وروت دماء الجيش المصرى والسودانى ارض السودان وارض فلسطين واستشهد من الجانبين من استشهد وسطر الجيشان بدماءهما صفحة من صفحات الكفاح الخالد فى التاريخ ضد الدخيل فى ارض وادى النيل وفلسطين العـــربية .

وفى عهد استقلال السودان خطا الجيش السودانى سبيل التقدم وادخلت عليه عدة تنظيمات وزود بأحدث الكلية الحربية بأم درمان لتخريج الضباط الأكفـــاء وا الضباط السودانيين لاستكمال دراستهم فى أرقى الكليا العربية وفى أوربا وامريكا ، لم تمض على استقلال السو حتى أصبح جيشه قوة يعتمد عليها الشعب فى تخليصه الداخلى وحمايته من العدوان الخارجى .

ان قوة الجيش السودانى الاخيرة لأكبر دليل على بلغه هذا الجيش الباسل ومدى تصميمه على الاحتفـــاظ بحرية السودان واســـتقلاله .

مجلة الشباب المسلمن ٢١ ديسمبر ١٩٥٨

« تحيـــة للســـودان »

هممت ولم افعل ، هممت بأن اكتب فعصانى قلمى ، وهممت ان اتكلم فى ندوة من ندوات المسلمين فعصانى لسانى ، هممت عندما كنت اقـــرأ واسمع ما تحمله الأنباء وما يرويه الوافدون من السودان عن الأحـــداث الجسام والاحداث الصغار وقد تترك فى النفس من الأثر ما تترك ، هممت بأن أكتب وان اعلق وان اتكلم وكان يثنينى ايمانى وثقتى بأبنـــاء العمومة والخئولة ، ذلك الايمان العميق واليقين الثابت الذى لا يتزعزع والذى يوحى الى ان كل ما ينشر وينقل يبرأ السودان منه ويستعيـــذ بالله من كيـــد المستعمرين وكان ينير بصيرتى ايمانى فيوحى الى .. لاتعجل فسوف تنجلى غياهب الفتنة التى ينسج المستعمرون خيوطها ويلبدون فى سماء السودان سحبها وسوف ينبلج نور الحق فيمحو ظلمة الباطل وبرز السودان على حقيقته وفى يمينه لشقيقته الأولى مصر سلام ووئام وفى قلبه اخاء ومحبة واطمئنان .. والسودان هو السودان أخو السراء والضراء وتوام الشدة والرخاء صنو البأس والبأساء هو هو الوفى الأبى يعلم علم اليقين ان مصر بالنسبة له هى مصر عندما لا تظن نفس بنفس خيرا .

وها هو السودان الذى نعرفه وتعرفه مولدات الاقدار قد تكلم سـيفه ورعدت فى سمائه بطولته فجاء بالحـــق المبين وأزهق باطل المستعمرين واصبحنا كما كنا وسنكون ان شاء الله فى الحياة الدنيا اخوانا .

لنا هضبة لايدخل الذل وسطها ويأوى اليها المستجير فيعصما

وفى الآخرة اخوانا على سرر متقابلين ان قدر لنا شرف الجهاد فى سبيل امجاد العرب وعزة المؤمنين وهزيمة المستعمرين .

فسلام على السودان فى الليل اذا يغشى وسلام عليه فى النهار اذا تجلى وسلام عليه فى الآخرة والاولى وعاش وادي النيل متعصما خلف دماء ابنائه المستبسلين ولا عاش فيه عميل ولا دخيل ونحن نحن فى الشـــمال وفى الجنـــوب .

رجال من الايمان ملاى قلوبهم .. وجيش من الأبطال ظمآى قواضيبه الله أكبر لبيك وادى النيل لبيك والعزة للعرب والمؤمنين .

خاتمـــة

ان الكلام عن ابطال الكفاح الاسلامى المعاصر يحتاج الى مجلدات وحبذا لو تفضل اخواننا من افاضل الكتاب فى مختلف البلاد الاسلامية والفوا عن هؤلاء الذين ضحوا بأموالهم وحياتهم فى سبيل العقيدة والقيم الاســلامية وعملوا على رفع شأن المسلمين سواء اكان ذلك فى بلادهم ام فى جميع انحاء العالم ودافعوا عن بلادهم المحتلة باسم الاسلام حتى استقلت ورفـــع نير الاستعمار عنها .

وانه لا يكفى ان تتكلم عن محمد بن عبد الوهاب او محمـــــد بن على السنوسى او جمال الدين الافغانى والامير عبد الكريم الخطابى وعمر المختار واللواء محمد صالح حرب فانى كتبت عنهم كمثل يحتذى والواقع ان البلاد الاسلامية مليئة فى تاريخها العظيم بامثال هؤلاء الرجال وآن الأوان ان نظهر هؤلاء العظماء ردا على هؤلاء الذين ينسبون للاسلام كل تاخر وكل فســاد وهم يعلمون ان الاسلام هو الذى حرر العرب من الفرس والرومان واقام لهم دولة عالمية من الصين الى اسبانيا وفرنسا وجنوب ايطاليا وهو الذى هزم المغول والتتار والصليبيين والاستعمار الحديث وهـــو الـذى انار للانسانية كلها الطريق المستقيم .

وساذكر اسماء لامعة فى التاريخ الاسلامى الحديث على سبيل المثـــال لا الحصر .

مصـــــــر :

١ ــ عمر مكرم .

٢ ــ احمد عرابى باشا .

٣ ــ الامام محمد عبده .

٤ ــ عبـد الله النديم .

٥ ــ مصطفى كامل باشا .

٦ ــ محمد فريد بك .

٧ ــ سـعد زغلول باشا .

٨ ــ حسن البنـــا

الجـــــزائر :

١ ـ الأمير عبد القادر الجزائرى المكافح .

٢ ـ الامام عبد الحميد باديس الثائر .

٣ ـ الشيخ محمد بشير الابراهيمى الذى وصفه ابن باريس (١) بانه وعاء فى العلم والمعرفة وانا لنرجو خيرا كبيرا على يده للاسلام والجزائر) .

قال السيد مولود قاسم وزير الدولة للشئون الدينية فى احـــدى ملتقيات الفكر الاسلامى وهو شاب مملوء حماسا ونشاطا وغيره على الاسلام

(بالاسلام قاومنا وبه انتصرنا) .

ولم يحرر الجزائر غير العقيدة الاسلامية الصلبة ولم يرجع الجـوامع الضخمة التى حولتها فرنسا الى كنائس الى اصلها الاول لتكون مســاجد اسلامية غير الجزائر المسلمة ، ولقد هتف اهل الجزائر بهذا النشيد حين استقلت الجزائر : (يا محمد مبروك عليك الجزائر رجعت اليك) .

تونس :

١ ـ الشيخ محمد الخضر حسين اول تونسى اختير شيخا للازهر .

٢ ـ الشيخ عبد العزيز الثعالبى .

الســـودان :

١ ـ محمد احمد المهدى الذى حارب الأتراك والانجليز وطردهم من السودان .

الصـــــومال :

١ ـ الشيخ محمد عبد الله حسن الملا .

٢ ـ الحاج فرح عمر .

ســــــوريا :

١ ـ الشيخ بدر الدين الحسينى الذى قال (من عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوما) .

الاسلام وحركات التحرر العربية : الاستاذ شوقى ابو جبل)

٢ ـ الشيخ على الدقر الذى وصف دخول فرنسا الى سـوريا (يا اخواننا اللص دخل الدار وهو يطلب منكم ثلاثة اشياء : دينكم ومالكم وعرضكم انه فرنسا) ٩

٣ ـ يوسف العظمة .

٤ ـ الشيخ محمد الأشمر .

المغـرب :

١ ـ الأمير عبد الكريم الخطابى .

٢ ـ الملك محمد الخامس .

فلسـطين :

الجرح الدامى فى قلب الأمة الاسلامية .

١ ـ الشيخ عز الدين القسام .

٢ ـ السيد امين الحسينى .

العـراق :

١ ـ رشـيد على الكيلانى .

باكسـتان :

١ ـ محمد اقبـال .

٢ ـ محمد على جناح .

ونرى ابطالا مسلمين كثيرين فى جميع البلاد الاسلامية مثل اندونيسيا والفلبين وافغانستان .

ولست ارى خيرا من انتهاء هذا الكتاب من الدعوة الى اقامة جامعـة الشـعوب الاسلامية .

جامعة الشعوب الاسلامية

أصيبت الأمم الاسلامية بعد حرق المسجد الأقصى بصدمة عصبية قوية .

ولقد قامت على اثر ذلك المظاهرات فى جميع البلاد الاسلامية واجتمع رؤساء الدول الاسلامية فى مؤتمر قمة اسلامى انتهى الى قرارات معروفة جميعا لم نصل الى مستوى ما تنشده جماهير الشعوب الاسلامية ، فلقد كنا ننتظر ادانة اسرائيل بحرق المسجد الأقصى وسحب قرار اعتراف اى دولة اسلامية باسرائيل .

ولقد تجرأ موشى ديان بعد ذلك وذهب مع كبار قواد جيشه الىالمسجد الأقصى وفتح الباب الغربى للمسجد الأقصى ثم ذهب الى المجلس الاسلامى واخذ جميع مفاتيح المسجد الأقصى وفتح جميع ابوابه لغير المسلمين .

وكل ذلك حدث لسبب واضح هو تفكك البلاد الاسلامية وان اكثر العبر مرارة فيما يحدث هو ان ما يجرى فى معظم البلاد الاسلامية يحمل فى ثناياه الكثير من الاسباب التى ادت بنا الى هذا المصير المخزى .

وحالتنا السيئة اذا استمرت على ما هى عليه ستؤدى بنا الى هزائم جديدة .

هل يكفى ان نقول اننا اخطأنا ام نقول اننا اخطأنا وابتدأنا العمل بعد دراسة اخطائنا وعلاجها .

ما هى الخطة المدروسة الواجبة التنفيذ بالرغم مما يحيط بنا من ظلام؟

ما هى الخطة التى تقابل بها قوى عالمية غاشمة لا تعرف الرحمة بالاسلام ؟

ما هو العمل البناء الجاد البعيد عن الانانية وعن التعصب وعن الغطرسة للوصول بالأمة الاسلامية الى الخير . هذه الامة الاسلامية التى يتجه جميع افرادها بوجدانهم من اقصى المشرق الى اقصى المغرب الى قبله واحدة بمكة المكرمة فى كل وقت للصلاة هؤلاء الذين يتجهون فى اتجاه واحد خاشعين لله

الواحد الأحد الفرد الصمد لا يسجدون لغيره من طغاة الأرض فلقد راوا بأعينهم مصير الطغاة عبر القرون بين مشنوق ومحترق ومذبوح .

هذه الروح الدينية او ارتبطت ببعضها ماذا يمكن ان تعمل ؟ انها ستعود بنا الى مجدنا الكابر حين هزمت الأمة الاسلامية الصغيرة فى عددها الكبيرة بايمانها اكبر قوتين مجتمعتين فى ذلك الزمان الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية .

وهذه الروح هى التى يمكن ان تحول المسلمين الذين يتقدون عاطفة دينية من غير نشاط والذين يتشبثون بالماضى فى تفكيرهم وعملهم الى قوة ناهضة صاعدة نستطيع ان تشق طريقها وسط القضايا المعاصرة ومشكلاتها .

ان العالم الاسلامى اليوم فى حاجة الى بناء مجتمع اسلامى تقدمى يستطيع فيه الاسلام ان يعبر عن نفسه تعبيرا عمليا .

لقد عاش المجتمع الاسلامى فى القرنين الاول والثانى للهجرة قويا متدفقا بالحيوية والنشاط وصالحا للتقدم اقتطفت الحضارة الاسلامية من زخائر الحضارة الفارسية والحضارة الرومانية ولم تصب بالرق الفكرى الذى نشاهده اليوم من الرق الفكرى للغرب وحضارته وتقليده تقليدا اعمى والا انسلاخ عن روحنا الدينية وحضارتنا الاسلامية التى ملأت العالم يوما مهابة واجلالا لها .

والدين الاسلامى يطالب بالاخذ بجميع اسباب‌التقدم فى الحياة والعلم .

ان ازمة العرب حادة وفى داخلها توجد ازمة الاسلام والمشكلة الكبرى هى ان هؤلاء الذين يعرفون الدين أو يدعون معرفته قد فقدوا الصلة بالحياة الحديثة .

وان هؤلاء الذين طوروا انفسهم ليعيشوا عيشة حديثة قد فقدوا الصلة بالدين .

ما هى حقيقة اغلب البلاد الاسلامية اليوم ؟

هى فى اغلبيتها تشكو الفقر والمرض والجهل ولو قدمت حقيقة كل بلد اسلامى من الناحية الاقتصادية والصحية والتعليم لها لنا الامر واستبكينا احزان .

واذا وجد تقدم اقتصادى نسبى فى البلاد الاسلامية فليس مرجعه للاسف الشديد انه نابع من نشاط ذاتى للشعوب الاسلامية وانما هو نابع من نشاط الشركات التى تمثل الاحتكارات العالمية .

والآن بعد أن اجتاحنا التوائب والكوارث من كل جانب حتى وصلت الى احراق المسجد الاقصى اول القبلتين على يد اليهود الذين اطعمناهم من جوع وآمناهم من خوف .

ماذا ننتظر هل ننتظر حتى يصلوا الى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ؟؟

يجب أن توجه الحقائق بشجاعة وعلم واصلاح ما يمكن اصلحه باخلاص وصدق ببرنامج عملى مبنى على خطط واهداف محدده بعيده عن الخيال ونعيش فى الواقع ونعرف حقيقة التحديات المعاصرة للاسلام وحقيقة المشاكل التى نعيش فيها وكيف نعالجها .

لقد فكرت طويلا فى تاريخ الأمة الاسلامية وتتبعت الجامعة الاسلامية منذ عهد جمال الدين الأفغانى حتى الآن وفكرة الجامعة الاسلامة فكرة عظيمة فى حد ذاتها لو تحققت على الوجه الصحيح ولقد تبلغ فى الاخلاص المدى ولكننا لا نملك من الوسائل ولا من الظروف المحيطة بكل بلد اسلامى ما يجعل فى قدرتنا تحقيق هذا الأمل الجميل ولقد ظهرت فكرة التكتل الاسلامى يوما كبريق لامع ثم اتضح أن هناك من يريد استغلال هذه الكتلة لجهات معينة .

ومعنى ذلك انها حركة تعمل لحساب هذه الجهات لا لحساب الاسلام والمسلمين .

اذن وجب علينا أن نقوم بايجاد نوع من التعاون المشترك بين البلاد الاسلامية كوسيلة للنهوض باحوالها الاقتصادية والاجتماعية وكأداة لتحريرها مما تتعرض له من الوان الضغط أو السيطرة من الدول العظمى لذلك فكر كثير من مفكرى المسلمين فى قيام جامعة الشعوب الاسلامية .

ولقد اخذت فكرتها من الحج .

والحج هو المؤتمر الاسلامى الكبير الذى أوجب الله فيه على كل قادر الذهاب الى الكعبة ليطوف بها ويسعى الى الله فى رحابها وهو فضلا عن أنه عبادة خالصة لله يبتغى بها ثوابه ورضوانه فانه خير مؤتمر لجمع شمل المسلمين ويمكن أن يكون مؤتمرا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وصحيا يجتمع فيه قادة المسلمين ورجال الفكر والراى فيها والمجتهدون فى جميع نواحى المعرفة ويمكنهم أن يضعوا خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد وانه ليحز فى قلبى أن تنطوى

بعض البلاد الاسلامية تحت لواء جامعة الشعوب البريطـــانية وينطوى البعض الآخر تحت لواء جامعة الشعوب الفرنسية وها نحن نقدم لهم اليوم جامعة الشعوب الاسلامية لتكون لهم حصنا ووقاء .

هناك تعاون شامل بين جماعات من اتباع الديانات الأخرى على مهاجمة الاسلام والمسلمين وهذا يشمل ايضـــا هؤلاء الملحدين الذين يعتقدون ان الدين خرافة .

والتاريخ السابق الطويل يدل على ذلك متمثلا فيما يلى : ـ

١ ـ الحروب الصليبية .

٢ ـ الاستعمار ومساعدته لبعض مثل الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا عا ١٩٠٤ مقايضة احتلال مصر باحتلال مراكش .

٣ ـ الاتفاقات المستمرة بين المستعمرين على تمزيق البـــلاد الاســـلامية واحتلالها على مدى العصور .

٤ ـ مساعدة انجلترا لهولندا الضعيفة فى احتلال اندونيسيا .

ولـــا انحصر الاستعمار وأصبحت الدول الاســـلامية مستقلة الصلات بالدول الاستعمارية كعضو فى الكومنولث تتبادل معها الدفاع والتجارة وترك الاستعمار هذه البلاد فى حالة من التـــأخر لا تقوم معها منفردة الا بالمساعدة وقد تركت فى نفوس المسلمين آثارا سيئة منها أن دينهم رجعى وانه متخلف ولذلك نجد كثيرا من الحـــكومات الاسلامية قد بعدت عن روح الدين الأولى روح التضحية والفداء والقيم ونشر الدين .

٥ ـ وجود اسرائيل وهى أعلى مراحل الاستعمار وتكوينها من مقر لاجئين يهود الى تكوين مستعمرات يهودية الى وطن قومى لليهود الى دولة يهودية ، ولقد ساعدت جميع أمم العـــالم من الكتلة الشرقية الى الكتلة الغربية فى تكوينها وفى اعلائها ثم أصبحت الآن ربيبة للاستعمار الغربى تكون منه نقطة ارتكاز للهجوم على البلاد العربية والاسلامية كما حصل فى سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧ . وكمـــا حصـــل فى ١٩٧٨ فى اعتدائها على لبنان واحتلال جنوبه حتى نهر الليطانى بقصـــد ابادة الفلسطينيين وتكوين دولة مارونية .

ولسنا بصدد تسامح المسلمين فى جميع العصور مع غيرهم من الديانات فهذا ما يمكن أن نفرد له أبوابا وأبحاثا منذ عهد محمـــد

عليه السلام حتى الآن ولكننا بصدد تعاون جميع الغربيين فى الحرب الصليبية والحرب العالمية الأولى ضد الاسلام ولم يتأخر الجنرال اللنبى أن يقول حين دخل القدس بواسطة العرب للاسف الشديد (الآن انتهت الحرب الصليبية) .

ولقد تكرر ذلك فى دير ياسين من اليهود .

ونحن اليوم كما كنا فى عهد جمال الدين الأفغانى حينما نادى بالجامعة الاسلامية اننا لا نريد توحيد الحكومات وضمها جميعا الى حكومة واحدة ولكننا نريد اتحادا قلبيا من أفراد الشعوب الاسلامية حتى لا تتدهور العلاقة بيننا كما هى الآن اذ أن حال المسلمين اليوم يتضح فى الآتى : —

١ — تمزيق الباكستان بواسطة الهند ومساعدة روسيا لها بالأسلحة المدمرة .
٢ — صراع بين اليمن الشمالية والجنوبية .
٣ — ايران تحتل جزر الخليج العربى بعد ذهاب بريطانيا .
٤ — العراق تحتل جزءا من الكويت وتنسحب لسبب أو لآخر .
٥ — بلاد غرب افريقيا مزقها الاستعمار قبل اعطائها الاستقلال وفرض عليها التخلف بالقوة وهى وان كانت تزيد فى عدد أعضاء الأمم المتحدة الا انها للاسف لا تزيد شيئا فى القوة الحقيقية والثقل السياسى وأغلبيتها مسلمة ولكن حكامها مسيحيون .
٦ — شرق أفريقيا تحتل الحبشة ايبتريا ولقد وحدت الحبشة لغتها الى الأمهرية وألغت اللغة العربية وأعلنت أنها ستوحد الدين فى بلادها أى يصبح مسيحيا فى مدى عشرين عاما .

واحتلت اسرائيل جزر اريتريا هدية من الحبشة .

الصومال :

٧ — لقد كان الصومال امبراطورية كبرى ولكن الاستعمار فرقها بعد ضياع الامبراطورية المصرية الافريقية الى خمس صومالات الصومال الانجليزى والايطالى والفرنسى والحبشى والكينى وتوحد الصومال الانجليزى والايطالى فى جمهورية الصومال وحين أراد الشعب الصومالى فى الحبشة أن يتحد مع بنى جنسه تآمرت عليه الحبشة وروسيا وكوبا وامريكا واسرائيل وبقى تحت نير الاحتلال كحال اريتريا وكذلك الشعب الصومالى فى كينيا .

٨ ـ جنوب السودان اتفاق السودان مع المبشرين يدل على قوتهم وانه ستتاح لهم الفرصة لأن ينصروا الجنوب ويمنعوا وصول الاسلام اليه

٩ ـ الفلبين يذبح فيها المسلمون وتهدم فيها المساجد وقبرص كان يعمل بها مثل ما يعمل فى الفلبين قبل وصول القوات التركية اليها .

١٠ـ القضاء على الفدائيين فى الأردن ومحاولة القضاء عليهم فى لبنان .

١١ـ حوادث التصادم بين اندونيسيا وماليزيا واندونيسيا ممزقة بين الشيوعية والتبشير والاستعمار والصهيونية ويعمل الفاتيكان لتنصيرها فى مدى خمسين عاما .

ان الاسلام يحارب حربا لا هوادة فيها فى كل أنحاء العالم .. فالعالم الشيوعى لا اثر فيه للاسلام الحقيقى ودعنا من مظاهر الدعاية الشكلية التى تدعى وجود الاسلام به بالرغم من وجود مدارس الالحاد فيه . والعالم الغربى هو الذى يغزى الحملات الصليبية ضدنا .

ان ما وصفته صورة سيئة واسوأ منها الحقيقة والتفاصيل .

والناظر اليوم الى خريطة العالم الاسلامى يجد ان الأجانب هم الذين يغذون الخلاف بين الأمم الاسلامية وهم الذين يستفيدون من البغضاء بيننا بأخذ اى امتياز منا والعلاج السريع لهذه المحنة يبدأ بالتوفيق بين الأمم الاسلامية حتى تكف المطامع والدسائس عن بلادنا .

ولقد صدق جمال الدين الأفغانى حين وصف المسلمين .

متحدين على الخلاف مختلفين على الاتحاد مطاوعين المستعمرين والمستغلين جادين فى خدمتهم كأنها فرض من فرائض الدين .

والآن كيف تكون جامعة الشعوب الاسلامية وما هو جهازها التنظيمى .

١ ـ مؤتمر عام جامعة الشعوب الاسلامية .

يتكون من جميع الأعضاء المنتسبين للفروع المختلفة فى جميع البلاد الاسلامية التى قبلت قيام فرع للجامعة الاسلامية بها .

٢ ـ المجلس العام :

يتكون من جميع الممثلين للفروع المختلفة فى البلاد الاسلامية .

٣ ـ اللجنة التنفيذية للمؤتمر يحدد عددها المجلس العام وينتخبها أعضاء المجلس من بينهم ويراعى فيها الكتل الاقليمية .

٤ ــ رئيس منظمة المؤتمر ينتخبه المجلس العام .

ونائب رئيس المنظمة تنتخبه اللجنة التنفيذية .

٥ ــ مكتب تنسيق المنظمة .

مهمته تنسيق الأعمال بين الأجهزة المركزية للمنظمة والأجهزة المحلية للمنظمة ومنعها لما قد ينشأ من أى تعارض مع قوانين أى دولة يكتفى بخلق اطار عام لهذه الاجهزة تاركين لمنظمة الفروع المختلفة تقرير الشكل الذى تراه مناسبا لبلدها .

وعلى اللجنة التنفيذية ان تقدم لنا دراسة عن :

١ ــ كيفية تمويل المؤتمر وما هى المصادر التى يمكن أن يعتمد عليها فى استمراره .

٢ ــ دراسة اقتصاديات الدول الاسلامية .

٣ ــ دراسة تطوير مختلف البلاد الاسلامية .

٤ ــ دراسة احوال مختلف البلاد الاسلامية من جميع النواحى الدينية والسياسية والثقافية والاقتصادية والصحية والاجتماعية .

واول شىء نريده من جامعة الشعوب الاسلامية :

١ ــ دراسة الخلاف بين الأمم الاسلامية .

٢ ــ ايصاد الأبواب على المستعمرين والمستغلين حتى تنقطع المطامع التى تسول لهم العدوان على الأمم الاسلامية .

٣ ــ ايجاد الرسالة العلمية الدينية ورفع الحجر عن العقول باجازة الاجتهاد لمن يقدر عليه وتفسير الآيات العلمية فى القرآن الكريم تفسيرا يطابق العلم الحديث .

٤ ــ ايجاد نهضة علمية شاملة لان ضعف المسلمين السياسى انعكس عليهم فى صورة جهل فاضح .

٥ ــ ايجاد لغة مشتركة هى لغة القرآن العربية فى البلاد الاسلامية مع دراسة قادة الفكر الاسلامى والزعماء المصلحين .

وانى أرى أن الظروف مهياة اليوم لجامعة الشعوب الاسلامية للاسباب الآتية :

١ — جامعة الشعوب العربية تكاد تكون اليوم حقيقة واقعة وجامعةالدول العربية بالرغم مما يقال فيها فهى تصلح نواة على شرط اعادة النظر فى جهازها وتكوينه بصورة ترتفع بها الىمستوى الأحداث والمسئوليات .

واذا قدر للشعوب العربية ان تنتهج منهجا نحو تجميع شمل المسلمين، فاننا بذلك نكون قد وضعنا اللبنة الأولى فى قيام الجامعة الاسلامية .

وفى دعوتنا للجامعة الاسلامية يجب أن نكون حذرين من الاتصال بأى أجنبى مهما كان نوعه فى الشرق والغرب ، فالغرب يريد ضم المسلمين نحوه ضد الشيوعية بالرغم من انه اذلنا طول عمره .

١ — وفى دعوتنا للجامعة الاسلامية يجب أن نكون حذرين من الاتصال بأى أجنبى مهما كان نوعه فى الشرق والغرب ، فالغرب يريد ضم المسلمين نحوه ضد الشيوعية بالرغم من انه اذلنا طول عمره .

والشيوعيون يريدون أن يضمونا الى الشيوعية ضد الغرب لانه كان يستعمرنا ولكننا نريد الجامعة الاسلامية الخالصة لوجه الله والخالصة لشعوب المسلمين والخالصة لخير الانسانية جمعاء .

٢ — تحقيق الحريات فى جميع بلاد المسلمين حتى تكون نواة للتضامن الاسلامى .

٣ — ايجاد التعاون السليم بين مختلف البلاد الاسلامية للنهوض بأحوالها السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والصحية .

٤ — ايجاد المكاتب المختلفة فى البلاد الأجنبية التى تدافع عن الاسلام ووجهة نظره فى مختلف المشاكل التى تمس جميع البلاد الاسلامية .

٥ — الدفاع عن فلسطين والمقدسات الاسلامية بها من المسجد الاقصى الى مسجد الخليل ابراهيم عليه السلام .

٦ — الدفاع عن المسلمين المضطهدين فى بعض الدول والعمل على كفالة حقوقهم التى قررها لهم ميثاق حقوق الانسان .

ويجب علينا الابتعاد عن السياسة المحلية لأى دولة
السياسة المحلية والاصطدام بها خطر يجب أن نتفاداه .

فلتتعاون مختلف الهيئات غير السياسية بعضها مع بعض وتعقد مؤتمرات يحدد فيها أساليب العمل ، وتبادل الأساتذة والطلاب فى الجامعات .

ولقد نالت معظم البلاد الاسلامية استقلالها اليوم وما امامها الا ان تعمل والمطلوب اليوم القيام بما يلى :

١ ـ اجتماع المؤتمر الاسلامى فى كل عام فى مكة المكرمة أيام الحج وقيام المثقفين المسلمين كل فى فرع تخصصه بتقديم أبحاثه الى البلاد الاسلامية بلغاتها واللغة العربية .

٢ ـ اجتماع المؤتمر الاسلامى فى عاصمة كل دولة اسلامية مرة واحدة كل عام ويبدأ بالبلاد التى تقبل المبدأ حتى تشعر البلاد التى لم تنضم الى المؤتمر انها لا شىء بجوار قوة الاسلام والمسلمين وستهرع الينا من تلقاء نفسها يوما من الأيام .

٣ ـ فروع المؤتمر الاسلامى فى كل بلد اسلامى يزاول نشاطه حسب خطة موضوعة .

٤ ـ توحيد نشاط الهيئات الاسلامية فى كل بلد اسلامى أو غير اسلامى وايجاد رابطة بينهم للعمل الدائم فى خدمة الاسلام والمسلمين والانسانية جمعاء .

الدكتور
محمود دياب

مراجع الكتـــاب

١ ـ الطب والاطباء فى مختلف العهود الاسلامية ـ الدكتور محمود دياب

٢ ـ مجلة الشبان المسلمين

٣ ـ جريدة الاهـــرام

٤ ـ جريدة البـــــلاغ

٥ ـ حياة عبد الله النديم • العودة الى المنفى ـ الاستاذ أبوالمعاطى أبوالنجا

٦ ـ السنوسية دين ودولة ـ الدكتور محمد فؤاد شكرى

٧ ـ أعلام العرب • عبد العزيز جاويش ـ الاستاذ أنور الجندى

٨ ـ فى أعقاب الثورة المصرية ـ الاستاذ عبد الرحمن الرافعى

٩ ـ من ذكرياتى فى صحبة العقاد ـ الاستاذ محمد طاهر الجبلاوى

١٠ ـ مع العقـــاد ـ الدكتور شوقى ضيف

١١ ـ الشـــوقيات ـ أحمـــد شـــوقى بك

١٢ ـ ديوان ولى الدين يكن بك

١٣ ـ مذكرات العميد محمود عبد الواحد على

١٤ ـ معلومات من الشيخ محمد عبد اللطيف دراز

١٥ ـ معلومات من الأستاذ على الجمبلاطى

١٦ ـ معلومات شخصية من المؤلف



الفهرس

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٨/٢٨٦١

الترقيم الدولى ـ ١٠٤ ـ ٢٩٦ ـ ٩٧٧ ISBN



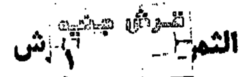
هـــذا الكتــــاب

* نحن هنا على موعد مع الدكتور محمود دياب ليقدم لنا عرضا شاملا للكفاح الاسلامي المعاصر ولابطـاله المجاهدين من أمثال محمد بن عبد الوهاب ومحمــد بن على السـنوسى وجمــال الافغانى وعمر المختــار والامير عبد الكريم الخطــابى واللواء محمد صالح حرب

* والدكتور محمود دياب مؤلف هذا الكتاب غنى عن التعريف حيث اثرى الدراسات الاسلامية العربية والصهيونية والطبية بابحاثه القيمة عبر فترة طويلة من جهاده الفكرى والوطنى والدينى وهو واحد من الرواد القلائل الذين نادوا بقيـــام جامعة الشعوب الاسلامية بدلا من الجامعة الاسلامية التابعة للخلافة التى نادى بها جمال الافغانى .

* كما شارك فى جميع المؤتمرات سواء مؤتمرات الحج التى تقيمها رابطــة العالم الاسلامى بمكة المكرمة أو فى الجــزائر أو فى مصر داعيــا لقيــام جامعــة الشعوب الاسلامية .

ومن هنا تتضح أهمية هذه الدراسة القيمة التى يجب الا تخلو منها اية مكتبة عربية او اسلامية لانها تناقش قضــية جوهرية من قضــايا المصير العربى والاسلامى .


الثمن ... قرش

مطابع دار الشعب بالقاهرة